

اليهودي
شاول بولس الطرسوسي
وأثره في العقائد النصرانية الوثنية

تأليف الدكتور

محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية ـ جامعة الملك سعود

الرياض

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م

البحث في هذا الأمر، لمعرفة مدى ذلك التأثير، وبخاصّة أنّ القرآن الكريم برّأ عيسى عليه السلام من تلك العقائد التي يدين بها النصارى على اختلاف طوائفهم وتباين مذاهبهم، إلا مَنْ شهد منهم بالحق وبه كانوا يعدلون.

وقد كُتِب في باب الردّ على العقائد المسيحية كُتُبٌ كثيرة جدًا قديمًا وحديثًا، وأستطيع حصرها في أربعة أقسام:

القسم الأول: ما كتبه المشركون الوثنيون الذين كانوا ضدًّا للمسيحية في بداية أمرها، ويعارضون انتشارها، ويرون فيها خطرًا على عقائدهم الخاصة بهم، ومنهم سلسوس في القرن الميلادي الثاني، الذي كتب كتابًا في ردّ المِلّة المسيحية. وأمثال هذه الكتب أقل الأقسام الأربعة عدداً وشُهرة، وهي شِبْه معدومة في هذا الزمان.

والقسم الثاني: ما كتبه العلماء المسلمون المختصّون في هذا الفنّ، أو كتبه المهتدون من أبناء النصارى، الذين ذاقوا حلاوةَ الإيمان، وعاينوا جمال الإسلام، ونهلوا من معينه الصافي، فكتبوا في إبطال المِلّة النصرانية وعقائدها[1]، وإثبات المِلّة الإسلامية وتأييدها، وقد ظهرت هذه الكتابات في العصور الإسلامية الأولى، والمكتبات زاخرة بأمثال هذه الكتب لمن أراد الرجوع إليها، وهي متوفرة باللغات العربية والفارسية والأردية والتركية، وذلك للصّلة الوثيقة بين أهل تلك اللغات الأربع وبين الإسلام من ناحية، ثم للإحتكاك المباشر والقديم بين أهل تلك اللغات وبين النصارى في بلاد الشرق من ناحية أخرى، ولذلك كان نتيجة طبيعية وحتمية لهذا الإحتكاك المباشر أن يكون نصارى الشرق أسبق زَمَناً وأوفر عَددًا في اعتناق الإسلام قبل غيرهم.

---

(١) أقصد الملة المحرَّفة، وهي العقائد المسيحية الحالية.

والقسم الثالث: ما كتبه ملاحدة أوروبا أمثال باركر وجان كلارك وغيرهما، وقد ظهرت هذه الكتابات بعد تقلّص سلطان الكنيسة، وبخاصّة في القرنين الأخيرين (التاسع عشر والعشرين) فقد كثر فيهما الملاحدة، ورفعوا أصواتهم ساخرين بالمِلّة المسيحية وعقائدها، وكتبوا في ذلك كتبًا يتهجمون فيها على الله تعالى، وعلى أنبيائه الطاهرين، وعلى عيسى وأمه الصِّدِّيقة، ولعلّ تصرفات البابا وسُلطاته في القرون الوسطى هي السبب الأول والهامّ في دفْع الغربيين إلى الإلحاد والكفر بإله الكنيسة والسخرية من عقائدها، وأمثال هذه الكتب كثيرة جدًّا في ديار أوروبا، ومطبوعة بمعظم لغاتها.

والقسم الرابع: ما كتبه العلماء المحققون والباحثون المدققون، من المسيحيين المتعصبين للمسيحية، والمدافعين عنها وعن عقائدها، والمستمسكين بتعاليم بولس، العاضّين عليها بالنواجذ، إلا أنهم اهتدوا في أبحاثهم وتحقيقاتهم إلى حقائق تتعلق بالمسيحية وأُصولها وتاريخ نشأتها وتطوّرها، ولم يستطيعوا السكوت عليها إنصافًا للعلْمِ، ونشْرًا للحقيقة فقط، فدوّنوا تلك الحقائق في كتبهم وأذاعوها، وحاضروا بها في جامعات العالم، دون أنْ يُتَّهموا بالإلحاد، فقد سادت في أوروبا بعد عصر النهضة العلمية فكرة تحقيق كلِّ شيءٍ، ليس في العلوم الطبيعية فحسب، بل وفي العقائد والأديان، وأصبحت هذه الفكرة حقيقة واقعية في القرن العشرين قرن العلم والتطور التكنولوجي، الذي ساعد في نبذ الخرافات الدينية التي لا تتفق مع منطق العقل السليم، ولا مع حقائق العلْم.

وأمثال هؤلاء العلماء يُعَدُّون بالألوف، ويَملأون جميع ديار أوروبا، ويَكتبون بحرّية تامة، فينقُدون أُصولَ المسيحية وينَقضونها، ويُكذّبون أهمّ عقائدها، ويَذْكُرون أن آراءهم تلك تعبّر عن رأي الملايين من شعوبهم، وقد تثور ضدّ بعضهم ضجة مفتعلة في أوساط الكنيسة وتابعيها، ثم تتلاشى دون إثبات عكس ما كتبوا، ولا الردّ

على ما حققـوا، وكتاباتهم تلك تفوق الحصْر، وأَظنّها لو جُمِعت عناوينُها وفُهْرِست لوقعت في مجلد كبير، ومعـظمهـا مكتـوب باللغـات الأوروبية، وقليل منهـا باللغة العربية، وأجرأ مَنْ كَتب في ذلك على الإطلاق في القرنين الأخيرين هم علماء فرنسا، حامية الكاثوليكية بعد روما.

منهج البحث:

بعد أنِ استقرّت لديّ تلك الفكرة ـ فكرة معرفة مدى التغيير الذي أحدثه بولس في المِلّة العيسوية ـ بدأتُ أُفكِّر في منهج البحث الذي سأسلكه، وقارنتُ في نفسي بين عدة أساليب ومناهج للكتابة، فترجّح لديّ أن أعتمد فيما أكتبه على ما دَوَّنه بولسُ نفسُه في رسائله، فجاء الكلام عن ذلك في فصلين تحليليّيْن لعقائد دينه الجديد، هما الفصل الثاني والفصل الثالث من هذا البحث، وبما أنه توجد علاقة وثيقة بين تاريخ حياة بولس وبين عقائد دينه الجديد، لذلك قدّمتُ لهذا البحث بفصل تاريخي عن حياة شاول بولس من مولده إلى وفاته، هو الفصل الأول، فجاء هذا البحث في ثلاثة فصول وخاتمة كما يلي:

الفصل الأول: (التعريف بشاول بولس ورحلاته الدعوية للدين الجديد). وقد خصصته للحديث عن حياة شاول بولس من مولده إلى وفاته، وكيفية ادّعائه الرسالة العالمية، ورأْي العلماء في تنصّره، وما جرى له في أورشليم، والأَحداث التي جرت له في رحلاته الدعوية في بلاد الرومان واليونان حتى وفاته في روما.

الفصل الثاني: (بولس واضع العقائد الأساسية للديانة المسيحية). وقد خصصته لبيان الإرتباط الوثيق بين العقائد الأساسية في الديانة المسيحية الحالية وبين بولس.

الفصل الثالث: (أساس الإنفصال بين المسيحية واليهودية). وقد خصصته لبيان أن اختلاف المفاهيم الجوهرية والعقائد الأساسية بين دين عيسى ودين بولس هو أساس الإنفصال بين المسيحية واليهودية، ثم كيف انتصر بولس على معارضيه.

وأما الخاتمة: فذكرت فيها خلاصة البحث بفصوله الثلاثة، ثم نتيجة البحث التي توصّلت إليها.

وقد جعلتُ لكل فصل من الفصول الثلاثة تمهيدًا يبصّر القارىءَ بالمراد من الفصل ويُعينه على فهم المنهج فيه.

مراجع البحث:

اعتمدتُ في أخذ الفصل التاريخي الخاص بحياة بولس ـ وهو الفصل الأول ـ على سفر أعمال الرسل الذي هو ثمانية وعشرون (٢٨) أصحاحاً، بدأ الحديث فيه عن بولس من الأصحاح التاسع وإلى آخر فقرة من الأصحاح الثامن والعشرين، ويعتقد غالبية النصارى أنّ هذا السفر دَوَّنه تلميذه الحبيب لوقا الطبيب اليوناني، فلو سلّمنا بأنه كاتِبُه، فهو على كل حال متعصّب جدًّا لبولس، وناشِرٌ لتعاليمه، فلن يكون هناك مصدر آخر أفضل ولا أشمل من سفر أعمال الرسل لتاريخ حياة بولس.

وأما في الفصلين التحليليّيْن الخاصّيْن بعقائد بولس ـ وهما الفصل الثاني والفصل الثالث ـ فاعتمدت اعتمادًا كليًّا ومباشرًا على رسائله الثلاث عشرة، فهي بالإجماع أقواله وكتاباته، ولن يَكْشِف عن عقيدة الشخص بوضوح تامّ وبتعبير دقيق أحدٌ أحسن ولا أبْين من الشخص نفسه بأقواله وكتاباته، ولذلك تُعَدّ رسائل بولس الثلاث عشرة هي المرجع الوحيد لهذين الفصلين، وهي المعبرة عن عقيدته أصدق تعبير، فقد ملأ سطور رسائله بذكر عقائده، وأحياناً تكون العقائد متداخلة في الفقرات المتوالية، أو في الفقرة الواحدة أيضًا، فذكرتُ هذه الفقرة أو الفقرات تحت أبرز عقيدة تحتويها، واجتهدتُ أنْ

لا أكررها مرة أخرى، ولم آخذ شيئاً من الرسالة الرابعة عشرة والمسماة: (الرسالة إلى العبرانيين) وذلك لعدم ثبوت صحة نسبْتها إلى بولس.

ولم أعتمد في هذا البحث على شيء من كتب الأقسام الثلاثة الأولى: أما عدم اعتمادي على ما كتبه علماء المسلمين؛ فلأنّ ذلك يكون محلّ الشكّ والتّهمة من جانب المسيحيين، ويصعب على النفس الرضوخ للخصم وقبول الحق الآتي من جهته، وبالرغم من أنّ كتب علماء المسلمين مليئة من بيان حال بولس وتجريحه واعتباره مغيّراً لدين المسيح عليه السلام، ولكنها لا يقوم بها احتجاج مباشر عليهم، ومثلها في عدم صحة الإحتجاج ما كتبه ملاحدة أوروبا في الطعن على العقائد المسيحية الحالية؛ لأنهم في نظر أتباع الكنيسة كفار خارجون عن مِلّتهم ومرتدّون عن دينهم، فطعْنهم فيها غير مقبول عندهم، ومرفوض بنفس الدرجة التي يُرْفَض فيها طعْن المشركين الوثنيين.

والكتب التي يقوم بها الإحتجاج عليهم هي كتب القسم الرابع الذي ألفه العلماء المسيحيون الثابتون على المسيحية، والمتعصّبون لبولس وعقائده وفلسفته المتميزة للدين، والمدافعون عنه وعن آرائه، والمحاربون لأعدائه، فاستعنتُ بكتابات بعضٍ منهم لتأييد كلامي على القضية التي تكون مدار الحديث، وأيّدتُ فَهْمي لعقائده بالتفسير المشهور المسمى: (تيسير الوسائل في تفسير الرسائل) للخوزي يوسف العلَم الماروني، وقدّمته على غيره لأنه أخذه عن مشاهير المفسرين، فَدَوَّن فيه خلاصة تفاسيرهم وزبدة آرائهم، وكأنّ لسان حالي يقول: هذا هو فَهْمي لعقائد بولس، وهذا هو الدليل من رسائله، وهذه هي شهادة علمائهم على صحة ما فهمتُه وكتبتُه، ولله الحمد على سُنّته الجارية بأنه يَصْدر في مختلف الأزمنة والأمكنة عن بعض العلماء المتعصبين لدينهم ما فيه تأييد للحق بالقول أو بالكتابة، وهؤلاء العلماء الذين استعنْتُ بنزر يسير من كتاباتهم مشهورون جدًّا في بلدانهم وخارجها، فمنهم مَن يعمل مدرّساً في الجامعات الكبرى أو في الكليّات المختصّة باللاهوت، ومنهم مَن يعمل قِسّيساً

وواعظاً في الكنائس والكاتدرائيات، ومنهم مَن هو مختصّ في تفسير الكتب المقدسة، أو في تاريخ نشأة المسيحية وتطوّرها، ومع ذلك لم أستكثر من مثل هذه الكتابات، لا عجزًا عن الوصول إليها والحال أنها كثيرة ومتوفرة شرقًا وغربًا وبمختلف اللغات، ولا استخفافًا بآرائها العلمية الدقيقة المؤيِّدة للحق، ولكنْ من قبيل الإستغناء بالأصل عن الفرع، وبالسابق عن اللاحق.

وقبْل سرد مراجعي أرجو من القارىء أن يلاحظ من أول البحث إلى آخره أنني لا أريد فيه الردّ التفصيلي على العقائد النصرانية وطقوسها وأسرارها؛ لأنّ بحثي ينصبّ على بيان مدى التحوّل الذي طرأ على العقائد الأساسية التي نادى بها عيسى عليه السلام، ومنهجي فيه لا يحتاج إلى كثرة المراجع، لأن المرجع الوحيد والهامّ حسب طبيعة هذا البحث هو رسائل بولس نفسه، وهي الأصل.

ويلاحظ أنني نقلتُ جميعَ النصوص من طبعة الكتاب المقدَّس المطبوعة في بيروت سنة ١٨٦٥م، وتشتمل على كتب العهدين القديم والجديد، وعنها نُقِلَتْ معظم طبعات الكتاب المقدَّس الحديثة، كطبعة سنة ١٩٧٠م و ١٩٧١م و ١٩٧٦م و ١٩٨٣م، أما إذا نقلتُ نصّاً من غيرها فأشير إليه، إذْ إنّني أحياناً قليلة نقلتُ بعض النصوص من طبعة اللاتين المطبوعة سنة ١٩٨٢م، والمذكورة ضمن قائمة المراجع تحت رقم (٧)، وأقل من ذلك ما نقلتُه عن نصّ نسْخة تفسير يوسف العلم المذكورة ضمن قائمة المراجع تحت رقم (٤).

وقد جاءت مراجعي لهذا البحث كما يلي مرتبة على حروف الهجاء:

١ ـ **أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول**: للخاتون اليزا أفرت، رئيسة المدرسة السورية الإنجيلية للبنات، طبع في بيروت سنة ١٨٧٨م.

٢ - **تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة**: للعلامة يوحنا لورنس فان موسهيم رئيس مدرسة كوتنجن الكليّة، تُرجم من الأصل اللاتيني إلى الإنكليزي عن يد العلاّمة يعقوب مردوك الأميركاني، ووقف على طبعه باللغة العربية ونقحه القَسّ هنري هرس جسب الأميركاني، طبع في المطبعة الأميركانية في بيروت سنة ١٨٧٥م.

٣ - **تحفة الجيل في تفسير الأناجيل**: جمعه الخوري يوسف إلياس الدبس الماروني اللبناني المتوفى سنة ١٩٠٧م، أخذه من تفاسير العلماء الأفاضل كرنيليوس الحجري ويوحنا ملدوناتوس ويعقوب تيريني اليسوعي، مترجماً من اللاتينية إلى العربية، طبع باهتمامه واهتمام صديقه الخواجه رزق الله خضراء في المطبعة العمومية، بيروت سنة ١٨٧٧م.

٤ - **تيسير الوسائل في تفسير الرسائل**: للخوري يوسف العلم الماروني، أحد الكهنة المرسلين اللبنانيين، اقتطفه عن بعض مشاهير المفسرين، وطبع في بيروت بالمطبعة العمومية بنفقة جناب صديقه الخواجة رزق الله ميخائيل خضراء سنة ١٨٧٣م.

٥ - **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم)**: للدكتور موريس بوكاي، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٧٨م.

٦ - **عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت**: تأليف الدكتور دونالد ديماري، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد، الناشر: مكتبة النيل المسيحية بشارع الألفي بالقاهرة، طبع بمطابع كوستاتسوماس وشركاه، ولم تُذْكَر سنة الطبع.

٧ - **العهد الجديد**: ترجمهُ عن الأصل اليوناني الأبوان: صبحي حموي، ويوسف

قوشاقجي، وهذّب عبارته الأستاذ بطرس البستاني، وراجع الترجمة عن الأصل اليوناني الأب أدوار مرقدة اليسوعي. منشورات دار المشرق، بيروت، وقد طُبعت الطبعة الأولى بالمطبعة الكاثوليكية، والنسخة التي اعتمدتُ عليها هي الطبعة الثامنة التي أعيد النظر فيها بناء على أحدث الدراسات الكتابية وطبعت سنة ١٩٨٢م، وكان تصريح الطبع من بولس باسيم النائب الرسولي للاتين، بيروت، في ٢٢/١٠/١٩٧٩م. ومدخل هذه الطبعة مأخوذ عن الترجمة الفرنسية المسكونية، وسأشير لهذه الطبعة باسم: نسخة اللاتين أو طبعة اللاتين.

٨ - **الفكر اللاهوتي في كتابات بولس، أو الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس**: للدكتور القَسّ فهيم عزيز، وهو إنجيلي مشيخي، صدر عن دار الثقافة بالقاهرة، وطبع بمطبعة دار الجيل للطباعة، ولم تُذْكَر سنة الطبع.

٩ - **قاموس الكتاب المقدَّس**: تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: الدكتور بطرس عبدالملك والدكتور جون الكساندر طمسن والأستاذ إبراهيم مطر، صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، الطبعة الثانية، بيروت، آذار سنة ١٩٧١م.

١٠ - **القواعد السنية في تفسير الأسفار الإلهية**: للقَسّ جيمس إنس الأميركاني، طبع في بيروت في مطبعة الأميركان، وكان الفراغ من طبعه في ٢١ أيلول سنة ١٨٨٠م.

١١ - **المسيحية: نشأتها وتطورها**: تأليف الدكتور شارل جنيبير، أستاذ المسيحية ورئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس، ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ولم تُذْكَر سنة الطبع.

١٢ ـ ملامح الألوهية : تأليف الدكتور رأفت عمّاري، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م، لجنة النشر الإنجيلية، راجعه لغوياً الأستاذ هاني فاخوري، ولم يَذْكر اسم المطبعة والناشر والمكان، وله كتاب **أقنوم الحق الفريد نظرة على عقيدتيِ التثليث والتجسّد**، خال من أية معلومات.

وأخيراً أحمد الله تعالى الذي وفقني لإخراج هذا البحث بهذه الصوة التي كانت هدفاً مقصوداً لي، فإنْ كنتُ قد أَصبتُ فيه شكلاً ومضموناً فذلك الفضل من الله وله وحده الحمد والمنة، وإنْ كنتُ قد جانبتُ الصوابَ فذلك مألوف في جهد البشر عموماً، وليس غريباً في طبع الإنسان الخطأ والنسيان، وعلى كلا الحالين أرجو من القارىء الكريم المعذرة لي فيما كتبت، فإنني أُشْهِد الله خيْرَ الشاهدين على أنني ما قصدتُ إلا بيان الحق وتأييده، وردَّ الباطل وتفنيده، ولم يكن قصدي الإساءة لشخص معين، أوطائفة بعينها؛ لأنّ هذا العلْم ـ علْم مقارنة الأديان ـ أصبح روّاده من الكثرة والواقعية بحيث يجدر بهم أنْ يترفّعوا عن سفاسف الأمور التي تكون حاجزاً منيعاً وحجاباً كثيفاً دُون فَهْم الحق واتّباعه، كما يجدر بهم أن يكون الاهتداء إلى الحق والوصول إلى الحقيقة العلمية هو أقصى مرادهم وغاية مأمولهم.

اللهمّ إنّا نَبْرأُ إليك من التعصب والهوى، ونعوذُ بك من الضلالة والرّدى، ونسألك التوفيق لإصابة الحق والثبات على الهدى. آمين.

وصلَّى الله وسلَّم وبارَكَ على نبينا محمد وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى مَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

د. محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي
كلية التربية
جامعة الملك سعود ـ الرياض
يوم الاثنين ٤/٦/١٤١٠هجرية
الموافق ١/١/١٩٩٠ميلادية

الفصل الأول

التعريف بشاول بولس
ورحلاته الدعويَّة للدين الجديد

تمهيـــد:

إنّ سفـر أعـمال الرسل هو السفر الذي استوعب ذكر حياة بولس ونشاطه في الدعوة والرحلات التي قام بها، ولولا سفر الأعمال لأُبهمتْ معانٍ كثيرة في رسائله، مع ملاحظة أنّ المعلومات الواردة في سفر أعمال الرسل ليست ثابتة تاريخياً، ولم تَسْلم من نقْدِ المحققين المسيحيين، فمَنْ هو كاتب سفر أعمال الرسل؟.

يُجمع المحققون من علماء النصارى أنّ كاتب البشارةِ الثالثة (إنجيلِ لوقا) وسفرِ الأعمال واحد بلا شك، وأنهما كُتِبا في وقت واحد، أو أنّ بينهما وقتاً قصيراً جداً، وبما أنه كُتب على البشارة الثالثة: إنجيلُ لوقا، حَكَم بعضهم أن كاتب سفر الأعمال هو لوقا، ولكنْ إنْ حصل شك في كاتب سفر الأعمال بأنه لن يكون لوقا، فيجوز الحكم عندئذ بأن كاتبه هو بولس نفسه، حيث لم يذكر فيه سجنه وإعدامه. وقد يكون كاتب البشارة الثالثة هو بولس نفسه أو كاتبها لوقا بإرشاد بولس واطّلاعه، وهذا الرأي الأخير هو الذي يرجحه كثيرون من محققي النصارى وعلمائهم، وعندما تحدّثتْ الكاتبة اليزا افرت عن سجن بولس في روما قالت: «ويُظَنّ أنّ لوقا في مدة هاتين السنتين كتب إنجيله بمناظرة بولس». [1] أي كتب لوقا إنجيله تحت نظر بولس وإشرافه.

وقد انفرد كاتب البشارة الثالثة عن بشارة متّى ومرقس بأفكار خاصة به تطابقت مع ما في سفر أعمال الرسل، ومع ما في رسائل بولس من أفكار، وفيما يلي بعض الفقرات مما كتبه كتّاب قاموس الكتاب المقدس[2] عند ترجمتهم للوقا وللإنجيل المسمى باسمه: «نجدُ في القرن الثاني للميلاد أنّ الاعتقاد كان سائداً بأنّ لوقا هو كاتب الإنجيل الثالث وأعمال الرسل ـ السفريْن اللذيْن كُتبا بدون ريب بقلم واحد. . . . وبالنظر إلى أنّ سفر الأعمال قد كُتب بعد كتابة البشارة بوقت قصير؛ فإنّ تاريخ كتابة بشارة لوقا يتوقف

---

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣٠٤.

(٢) انظر: ص ٨٢٢ ـ ٨٢٣.

إلى حدٍّ كبير على تعيين تاريخ كتابة سفر الأعمال، وبما أنه مرجَّح أنّ سفر الأعمال قد كُتب حوالي سنة ٦٢ أو ٦٣ ميلادية، لذا فكل الدلائل التي لدينا تشير إلى أنّ هذه البشارة كُتبت حوالي عام ٦٠ميلادي».

وتحت عنوان (بعض الخواص المميزة لهذه البشارة) ويقصدون إنجيل لوقا، كُتب ما يلي: «إنّـه يؤكّد تأكيداً خاصًّا حقيقةَ أنّ يسوع هو المخلّص الإلهي للعالم أجمع. فيسوع هو الذي يقدّم الغفران والفداء مجاناً لجميع الناس بغضّ النظر عن اللون أو الجنس أو الجنسية أو الإستحقاق للخلاص».

وهي نفس فكرة بولس التي ركز عليها في جميع رسائله.

وفي ترجمتهم لسفر الأعمال أكدوا على أنّ كاتب البشارة الثالثة وسفر الأعمال هو شخص واحد لعدة أسباب ذكروها، منها[1]:

١ - تُقدِّم البشارة إلى ثاوفيلس مثلما يُقدِّم سفر الأعمال إليه، فهما موجهان إلى شخص واحد.

٢ - يُقدِّم إنجيل لوقا صورة حية لخدمة المسيح من وجهة نظر عموميتها وشمولها العالم كله، وهي وجهة النظر التي بها كُتب سفر الأعمال.

قلت: وهي نفس فكرة بولس في رسائله.

٣ - تشابه مفردات السفرين تشابهاً قويًّا، والأسلوب واحد فيهما.

وأبـرز شخصية في القسم الأول من سفـر الأعمال هي شخصية بطرس، أما الشخصية الوحيدة البارزة في القسم الثاني وهو الأكبر: فهي شخصية بولس، ورسالته للعالم الأممي، وتأسيسه الكنائس.

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٨٨، وانظر طبعة العهد الجديد للاتين. ص ٢٢١ وص ٤٦٣.

ويرى فريق من العلماء أنّ المعلومات التاريخية الواردة في سفر الأعمال مستقاة من مصادر متأخرة، وأنّ كاتب سفر الأعمال كتبه من وجهة نظره هو، فأظهر المعلومات كما يجب أن تكون، وليس كما كانت في الواقع .[1].

وعلى كل حال وبغض النظر عمّن هو كاتب البشارة الثالثة وسفر الأعمال ـ أهو بولس نفسه أم هو لوقا الطبيب اليوناني، والذي يسمّيه بولس بالحبيب[2] ـ فإنّ المحققين عدّوا هذين السفرين خادمين لمبادىء بولس، فإنجيل لوقا انفرد عن غيره من الأناجيل بأفكار تطابقت مع ما في رسائل بولس[3]، وسفر الأعمال هو سيرة لحياة بولس، ورفعه إلى منزلة لم يبلغها المسيح في الأناجيل، والجدير بالذكر أن الإثنين ـ بولس ولوقا ـ لم يريا المسيح، وإشادة كل واحد منهما بالآخر جعلت المحققين يشكّون فيهما وفي كتاباتهما، حتى قال ترتليانوس أسقف قرطاجة: «إنّ إنجيل لوقا يُنسب كله إلى بولس» .[4]

وفي طبعة العهد الجديد للاتين ورد ما يلي في الحديث عن إنجيل لوقا[5]:

«فاستُنتج منذ أيام الكنيسة القديمة أنّ للإنجيل ولأعمال الرسل مؤلِّفاً واحداً، وأثبت النقّاد في عصرنا هذا الرأي استناداً إلى تجانس اللغة والتفكير في الكتابينْ وإلى تناسب ما يرميان إليه».

وفي نفس الطبعة المشار إليها ورد ما يلي في الحديث عن سفر أعمال الرسل[6]:

«ثمّ إنّ النظر في لغة المؤلِّفينْ وأفكارهما يؤيد هذه الوحدة تأييداً شديداً. ولكنْ مَن هو المؤلِّف؟ إنّ وجود الأجزاء بصيغة (نحن) يوحي بأنّ المؤلِّف كان منتمياً إلى بيئة بولس.

---

(١) انظر: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس للدكتور القس فهيم عزيز ص ١١.

(٢) انظر: رسالة بولس إلى أهل كولوسي ٤/ ١٤.

(٣) انظر: طبعة العهد الجديد للاتين ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩.

(٤) انظر: مقارنة الأديان ٢/ ١٠٧ نقلاً عن كتاب: يسوع المسيح لبولس إلياس ص ٢١.

(٥) انظر: ص ٢٢١.

(٦) انظر: ص ٤٦٣.

يضاف إليه أنّ الإعتدال في ذلك الإيحاء الذي يخصّه الكتاب برسالة بولس والتوافق الوثيق بين أفكار المؤلّف وأفكار بولس أمران يدعواننا إلى البحث عن هويّة المؤلّف من هذه الجهة».

ولم يأخذ سفر أعمال الرسل قانونيته إلا في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي، وبطريق التدرّج، أما قدسيّته فأُعطيتْ له في نهاية القرن الثاني، وفيما يلي ما كُتب في مدخل طبعة اللاتين بخصوص هذا الأمر، ونصه: «فهكذا يجدر بالذكْر ما جرى بين السنة ١٥٠م والسنة ٢٠٠م، إذْ حُدِّد على نحو تدرّجي أنّ سفر أعمال الرسل مؤلَّف قانوني، وقد عدّه في أواخر القرن الثاني إيريناوس ـ أسقف مدينة ليون ـ سفراً مقدَّساً، واستشهد به على أنه شهادة لوقا في كلامه على الرسل، ولابد من القول: إنّ سفر أعمال الرسل ضُمّ إلى القانون خصوصاً للصلة التي يمتّ بها إلى الإنجيل الثالث، فهو مؤلَّف تابع لذلك الإنجيل». (١)

وأكتفي هنا بتلخيص لتاريخ حياة بولس، وبموجز لرحلاته وأحداثها، والإشارة لبعض الأفكار عند اقتضاء المقام، وقد جاء الكلام في هذا الفصل بالنقاط التالية:

* اسمه ونسبه.
* نشأته.
* حصوله على الرعويّة (أي الجنسية) الرومانية.
* صناعته الاحتياطية.
* تربيته وتعليمه.
* الحياة الدينية في بلاد الرومان في زمن شاول بولس.
* اضطهاد شاول بولس للنصارى أتباع المسيح عليه السلام.
* تنصّر شاول بولس وتحوّله المفاجىء العجيب.

---

(١) انظر: مدخل إلى العهد الجديد في طبعة اللاتين ص ٤، وانظر كذلك ص ٤٥٥.

* رأي العلماء في سبب التحول المفاجىء عند شاول بولس.
* نقْد قصة رؤيا شاول بولس في طريق دمشق.
* هروب شاول بولس من دمشق إلى العربية.
* دخول شاول بولس إلى أورشليم ومحاولة قتْلِه فيها.
* سفَر شاول بولس إلى أنطاكية سورية.
* رحلة شاول بولس الدعوية الأولى وبرفقته برنابا.
* خُطْبة شاول بولس في المجمع اليهودي في أنطاكية بيسيدية.
* الاستمرار في الرحلة الأولى.
* المجمع الأورشليمي والمسألة الصعبة (الختان).
* ماذا حصل في المجمع الأورشليمي.
* نقْد المجمع الأورشليمي.
* مشاجرة شاول بولس وبرنابا وافتراقهما.
* رحلة شاول بولس الدعوية الثانية وبرفقته سيلا.
* شاول بولس في أثينا.
* شاول بولس في كورنثوس، وطريق عودته.
* دخول شاول بولس إلى أورشليم سرًّا.
* رحلة شاول بولس الدعوية الثالثة.
* وصول شاول بولس إلى أورشليم ومحاكمته فيها.
* شاول بولس أمام مجمع اليهود في أورشليم.
* سجن شاول بولس في قيصريّة.
* وصول شاول بولس إلى روما.
* هل ذهب شاول بولس إلى اسبانيا وما هي نهايته؟
* ملاحظة جديرة بالانتباه.

تاريخ حياته وأحداثها

اسمه ونسبه : اسمه العبري : شاول، وقد ورد الاسمان معاً في سفر أعمال الرسل ١٣ / ٩ «وأمّا شاولُ الذي هو بولسُ أيضاً . . .»، ومن هذا الموضع إلى آخر سفر الأعمال دُعي بولس، ومعناه: الصغير[1]، وهو اسم يوناني.

وكان أبواه يسكنان في مدينة طرسوس في شرق آسيا الصغرى، وفيها ولد ابنهما في السنة العاشرة للميلاد تقريباً، فسمّياه شاول باسم أول ملوك بني إسرائيل، وكانا من اليهود من سبط بنيامين، على مذهب طائفة الفرّيسيين، ويمارسان جميع الطقوس اليهودية.

ففي سفر أعمال الرسل ٢١ / ٣٩ «فقال بولسُ أنا رجل يهوديٌّ طرسوسيٌّ من أهلِ مدينةٍ غير دنيّةٍ من كِيليكيّة».

وفيه ٢٢ / ٣ «أنا رجل يهوديٌّ ولدتُ في طرسوسَ كِيليكيّة».

وفيه ٢٣ / ٦ «ولمّا علِم بولسُ أنّ قسْماً منهم صدّوقيّون والآخر فرّيسيّون صرخ في المجمع أيّها الرجالُ الإخوةُ: أنا فرّيسيٌّ ابن فرّيسي ».

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية ١١ / ١ «أنا أيضاً إسرائيليٌّ من نسل إبراهيم من سِبْطِ بنيامين».

وفي رسـالته إلى أهل فيلبي ٣ / ٥ «من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سِبط بنيامين عبراني من العبرانيين من جهة الناموس فرّيسيّ».

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٥ و ٥٠٤.

نشـأته : نشأ شاول بولس وأمضى طفولته في طرسوس، عاصمة ولاية كيليكيّة من أعمال الامبراطورية الرومانية، في جنوب شرقي آسيا الصغرى، وهي مبنية على ساحل متسع على بعد ١٢ ميلاً من كلٍّ من البحر الأبيض المتوسط وجبل طوروس، وتقع الآن بين مدينتي أضنة ومرسين التركيتين.[١]

وكانت مدينة طرسوس في أيام شاول بولس مشهورة جدًا، وقيل إنها كانت آنذاك أشهر من أثينا، وكانت لغة أهلها اللغة اليونانية، وامتاز أهلها بدراسة الفلسفة، وفيها مدرسة جامعة تعدّ الثالثة بعد مدرستي أثينا والإسكندرية، هذا بالإضافة إلى أنّ كيليكية كانت مركز الديانة الميترائية الوثنية.[٢]

ففي طرسوس عاش شاول بولس طفولته تحت ظل الحكم الروماني، وفي شوارعها وميناءها الواقع غربي خليج الإسكندرونة التقى بأناس كثيرين مختلفين في العقائد والعوائد واللغات، منهم القبرصيون سكان جزيرة قبرص المقابلة لطرسوس، ومنهم السريانيون من أنطاكية، ومنهم الجبَليون من كيليكيّة، ومنهم اليونانيون أصحاب الفلسفة، ومنهم العساكر الرومانيون، ومنهم التجار المسافرون على طريق القوافل من خليج الإسكندرونة نحو أنطاكية وقيصرية ودمشق والسامرة وأورشليم.

هذه هي طوائف الناس والشعوب التي عرفها شاول بولس معرفة جيدة، وتعرّف على قبائلها المختلفة، والتي نشر فيها ديانته فيما بعد.

حصوله على الرعوية الرومانية: كان شاول بولس يتمتع بجميع حقوق المواطن

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٥٧٥.

(٢) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١ ـ ٥.

الروماني وأهمّها ثلاثة[1] وهي:

أ - أنه لا يُحكم عليه بالجلد قصاصاً.

ب - أنه لا يقبض عليه إلا في كبائر الأمور.

ج - أنه له حق استئناف دعواه من الحكّام إلى الإمبراطور في روما.

وغير الرومانيين ليس لهم شيء من تلك الحقوق، وقد استفاد شاول بولس من هذه الحقوق، فهو يقول كما في سفر أعمال الرسل ١٦ / ٣٧ - ٣٨ «٣٧- فقال لهم بولسُ ضربونا جهراً غيرَ مقضيّ علينا ونحن رَجلان رومانيان وألْقَوْنا في السجن. أفالآن يطردوننا سرًّا. كلاّ. بل ليأتوا هم أنفسهم ويُخرجونا (٣٨) - فأخبر الجلّادون الولاةَ بهذا الكلام فاختشَوْا لمّا سمعوا أنهما رومانيان».

وفي سفر أعمال الرسل ٢٢ / ٢٥ - ٢٩ «٢٥ - فلما مدّوه للسياط قال بولس لقائد المئةِ الواقفِ: أيجوز لكم أن تجلِدوا إنساناً رومانيّاً غيرَ مقضيّ عليه (٢٦) فإذْ سمع قائدُ المئةِ ذهب إلى الأمير وأخبره قائلاً: انظرْ ماذا أنت مزْمعٌ أن تفعل. لأنّ هذا الرجلَ روماني (٢٧). فجاء الأميرُ وقال له قل لي: أنت روماني؟ فقال: نعم (٢٨) فأجاب الأمير: أمّا أنا فبمبلغ كبير اقتنيْتُ هذه الرَّعويَّةَ. فقال بولس: أما أنا فقد ولدتُ فيها (٢٩) وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مُزمعين أن يفحصوه واختشى الأميرُ لمّا علم أنه رومانيٌّ ولأنه قد قيده».

وفي سفر أعمال الرسل ٢٣ / ٢٧ و ٣٤ «٢٧ - هذا الرجلُ لمّا أمسكه اليهودُ وكانوا مزمعين أن يقتلوه أقبلتُ مع العسْكَرِ وأنقذتُه إذْ أُخبِرتُ أنه روماني (٣٤) فلما قرأ الوالي الرسالة وسأل من أيّةِ ولايةٍ هو وَوَجَدَ أنه من كيليكيّة».

---

(١) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٣٨.

أما كيفية حصوله على الرعوية والجنسية الرومانية فمجهولة، ولعل والده حصل عليها بوساطة بعض الرومانيين المقتدرين، مكافأة له على خدْمةٍ سياسة أو حربية قدمها للجيش الروماني وقت الحروب الأهلية، أو لعله اشتراها بمبلغ عظيم من المال، وعلى كل حال فقد وُلد شاول بولس حُرّاً وله حق الاعتماد على الجنسية الرومانية وقت اللزوم.[1]

صناعته الاحتياطية : كان شاول بولس (على ما في سفر أعمال الرسل ١٨/٣) قد تعلم صناعة نسج الخيام، وكانت هذه الصناعة رائجة في بلدته طرسوس، ولكن ليس بالضرورة أن تكون هي مورد معيشته؛ لأنّ من عادة اليهود أنّ أحدهم يعلّم ابنه صناعة تفيده حيثما توجه إذا انحط في درجات العلم، والتزم أن يمارس أشغالا اعتيادية للقيام بضرورات المعيشة.

تربيته وتعليمه : بما أنّ والديه كانا على مذهب الفرّيسيين؛ لذلك اجتهدا في تربيته على حفظ الطقوس اليهودية وتقاليدها بكل تدقيق، وفي طرسوس أتقن اللغتين العبرانية واليونانية.

ورغم أنّ الفرّيسيين كانوا يحتقرون المدارس اليونانية، ورغم أنّ اليونانيين كانوا هم الذين يديرون جميع العلوم في طرسوس، لكنْ من المحتمل جدّاً أنّ شاول بولس دخل في طفولته إحدى المدارس اليونانية ليتعلم فيها مبادىء القراءة والكتابة، وبعد نبوغه صار يستمع لقراءة الكتب المقدسة في المجمع اليهودي، وكان من عادة اليهود السماحُ للأولاد بحضور مباحثات ومجادلات الحاخامين، وتقديم سؤالات في محضر المعلمين، ومما جعله يتقدم على أقرانه ذكاؤه الشديد وعقله القوي وتأديبه الجيد باعتناء

(١) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٤.

والديه الفرّيسيينْ، فعُرِف بين الناس بأنه غيور على الدين، ومحامٍ عن الكتب المقدسة بصرامة شديدة، فرغب والداه في زيادة تعليمه على ناموس أجداده في أورشليم نفسها، فأرسلاه إليها، وقد اختلف في عمره وقت ذهابه:

فرأي يقول: إنّ والديه أرسلاه إلى أورشليم تاركاً طرسوس وهو في سن الثالثة عشرة، ويستدل أصحاب هذا الرأي بقول بولس نفسه الوارد في سفر أعمال الرسل ٢٢/٣ «أنا رجل يهوديٌّ وُلدتُ في طرسوس كيليكيّة ولكن رَبَيْتُ في هذه المدينة مؤدَّباً عند رِجْلَيْ غمالائيل على تحقيق الناموس الأبويّ».

ويقوله أيضاً في سفر أعمال الرسل ٢٦/٤-٥ «٤ ـ فسيرتي منذ حَداثتي التي من البُداءَةِ كانت بين أُمتي في أورشليم يعرفها جميع اليهود (٥) عالمين بي من الأول إنْ أرادوا أن يَشهدوا أني حسب مذهبِ عبادتنا الأضيقِ عشتُ فرّيسيّاً».

ورأي آخر يقول: إنّ شاول بولس لم يتعلم عند غمالائيل في أورشليم إلا بعد الثلاثين من عمره، وذلك بعد صعود المسيح عليه السلام.

وقد رجحت اليزاأفرت[1] الرأي الأول، وبناء عليه يكون شاول بولس قد درس العلوم والصنائع في حداثته في طرسوس، ثم ذهب إلى أورشليم حيث درس اللاهوت والفكر اليهودي عند غمالائيل، الذي كان يتزعم إحدى مدارس القدس الدينية آنذاك، وأهمها مدرستان: هما مدرسة هليل ومدرسة شمعي، وكانت كلتا المدرستين تدرّس التقاليد والشرائع الموسوية وعقائد الفريسيين، غير أنّ مدرسة هليل كانت تفضّل التقاليد على الناموس، وكانت مدرسة شمعي تفضّل الشريعة الناموسية على التقاليد، وحدثت بينهما مخاصمات مُرّة جدّاً بحيث تعسّر الإصلاح بينهما.

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٠.

وفي مدرسة هليل دَرَس حفيده غمالائيل وتضلّع في علم اللاهوت حتى نال علوماً عالية وصفات سامية، جعلته أحد الحاخامين السبعة الذين وحدهم من بين اليهود نالوا لقب رَبّوني، تعظيماً لهم واعترافاً بشهرتهم في العلوم، وكان غمالائيل هذا ـ الذي ورث مدرسة جدِّهِ ـ يحث على تعلم اللغة اليونانية وعلومها خلاف كثير من الفرّيسيين.

وفي مدرسة غمالائيل أتيح لشاول بولس أنْ يطّلع جيّداً على المؤلفات اليونانية بجانب دراسته التقاليد اليهودية والشرائع الناموسية الموسوية مما جعله غيوراً على الدين وفخوراً على أترابه حيث قال في رسالته إلى أهل غلاطية ١ / ١٤ «وكنتُ أتقدّم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذْ كنتُ أوفرَ غَيْرةً في تقليدات آبائي».

قال يوسف العلم في شرح فقرة رسالة بولس إلى أهل فيلبي ٣/٥ «ولا يخفى أنّ حزب الفرّيسيين كان عند اليهود أفضل الأحزاب وأعظمها».[1]

كما أُتيح لشاول بولس أنْ يتعلّم فنون الحِجاج والجِدال والمناقشة في مدرسة غمالائيل أيضاً، فقد كان يجتمع مجمع الحاخامين وغمالائيل في وسطهم، ويجلس الجميع صفوفاً بحسب رُتبهم وتقدّمهم في العلوم، ثم يتناقشون في التقاليد والشريعة والنبوات والمزامير والتفسير، وقد يقرأ أحد كبارهم جزءاً من التوراة أو يقدّم موضوعاً للمناقشة، وكل ذلك بحضرة التلاميذ، فقد كانت مدارس اليهود تسمح لتلامذتها بإلقاء المسائل على المعلمين ومناقشتهم والاعتراض عليهم بكل حرية، ولا شك في قدرة شاول بولس على الإستفادة من هذه المجادلات الدينية واكتساب الخبرة العالية التي استفاد منها فيما بعد في الدعوة للدين الجديد، فقد تمرس على اقتباس الأقوال من الكتب المقدسة بكل سهولة، وخزن في ذاكرته التقاليد والمسائل النافعة لفكرته، ويظهر ذلك واضحاً في حِجاجه الشديد وصلابته في دعوته وثباته على مبادئه وأفكاره.

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٣٧.

وبهذا نخلص إلى أنّ شاول (بولس) الفرّيسي ابن الفرّيسي ـ والمؤدَّب على تعاليم الفـرّيسيين ومبادئهم المتحمسة، والذي تخرج في أورشليم على يدي غمالائيل رئيس اليهود الفرّيسيين القائلين بتقديم التقاليد اليهودية على شريعة موسى وناموسه ووصاياه ـ كان يهودياً متعصباً، وملتزماً بكلٍّ تدقيق بطقوس طائفته وشعائرهم من غسل وأصوام وصلوات، وكـان يعـدُّ نفسـه فريسيّاً حتى بعد دخوله في المسيحية، فتعليمه الديني اليهودي، ونشأته اليونانية، ووراثته عن أبيه حقوق المواطن الروماني، كل ذلك جعله مُعَدّاً إعداداً تاماً لإدراك وتفهم التطلعات الدينية والسياسية لدى قومه اليهود الذين لا يؤمنون بعيسى ورسالته، وبخاصة أنّ شاول بولس لم ير المسيح طيلة حياته ولا شاهد واحدة من معجزاته، وهذا ما دعا أليزاأفرت أن تتعجب قائلة: «فياللعجب كيف لم ير شاول أحـداً من هؤلاء الأشخاص. . . فأعمال مخلّصنا العجيبة كانت تجري في كل البـلاد، وأخـيراً حُكم عليه وصُلب، ومـع كل ذلـك لم يعاين شاول شخصياً تلك الحـوادث، ولم يَذكر في إحدى رسالاته أو في أحد خطاباته بعد استنارته أنه صادف المخلِّص، ولا أنّه تعرّف بتلاميذ المسيح مع أنهم جميعهم حضروا إلى الهيكل، وظهروا لجميع النـاس في الأعياد العـظيمة، فنظنّ أنّ شاول في ذلك الوقت كان غائباً عن المدينة، ومن المحتمل أنه كان في طرسوس مثل رجوعه إلى هناك مدة بعد استنارته، وإذا غاب ثلاثين سنة، فلم تكن له فرصة للالتقاء بيسوع وتلاميذه»(١).

ولعـل شارل جنيبير أصاب الحق عندما ضعّف القول بأن شاول بولس تلقى علومه الدينية في أورشليم القدس عند غمالائيل، وقال إنّ الإسكندرية وأنطاكية كانتا تضاهيان القدس في التعليم الديني اليهودي، ورجح أن يكون شاول بولس قد أكمل تعليمه الديني المستوفى في أنطاكية؛ لأنه أحسن التعبير عن الروح اليهودية التي كانت تسود معابد المهجر المتأثرة بالفكر اليوناني(٢).

---

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٨.
(٢) انظر كتابه: (المسيحية نشأتها وتطورها) ص ٦٩ إحالة إلى كتاب ك. ج. مونتيفيوري (اليهودية والقديس بولس) طبعة لندن سنة ١٩١٤م.

ويؤيد شارل جنيبير دعواه هذه بأنّ شاول بولس كان يعتمد دائماً على الترجمة اليونانية للتوراة المسماة بـ (السبعينية)، وأنه لا يكاد يشير في كتاباته لغير نصها الإسكندري الذي أُشرب به فكرهُ، فقد كان يهود المهجر يقدّسون النص السبعيني لا العبري، وهذا يرجح أنه درس التوراة السبعينية في أنطاكيا القريبة من طرسوس، لا في أورشليم التي كانت مدارسها تدرّس النص العبري للتوراة.[1]

وقال شارل جنيبير بخصوص الادعاء بأنّ شاول بولس تعلم على يد غمالائيل في القدس: «ونكرر هنا أننا لا نثق كثيراً في هذا الادعاء، بل نعتقد أنه يبعد بنا عن الحقيقة، ومع ذلك فمن المسائل التي لا تقبل الجدل أن رسائل بولس تشهد بمعرفة للنصوص المقدسة مماثلة لما اعتدنا عليه من معرفة علماء اليهود بها، ويتضح من خلال هذه الرسائل روح مؤلِّف أخذ الكثير من الفرّيسيين في تكوينه الفكري، فهو يعشق الجدل ويمتاز بالبصيرة النافذة المدققة وبالدهاء الشديد في تقديم البراهين أو هدمها».[2]

---

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٤.
(٢) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٣.

الحياة الدينية في بلاد الرومان في زمن شاول بولس

كان الفريجيون ـ سكان مقاطعة فريجيا شمال غرب طرسوس ـ قد اختصّوا بعبادة الإلهـة الأم الكبرى (سيبيل) ورفيقها (أتيس) الذي كان يلقب (هيزستيوس) أي : الأعلى، وعند الفريجيين إله آخر يعبدونه اسمه (سابازيوس)، وهو يعادل الإله (جوبيتر) أو (ديونيزيوس)[1].

ويعتقدون أنّ الإلهة الأم سيبيل كانت تحب الإله أتيس، وكانت الإلهة اشتار تحب الإلـه تموز في بلاد ما بين النهرين، وكانت الإلهة إيزيس تحب الإله أوزيريس المصري، وكانت الإلهة أفروديت تحب الإله أدونيس الشامي، الذي هو نفسه ثمرة علاقة غير مشروعة بين أخ وأخته من الآلهة.[2]

أمّا في طرسوس ـ بلد شاول بولس ـ فكان بها إلهان لهما مكانة خاصة، الأول يدعى (بعل طرز) أي سيد طرسوس، وهو الذي قرن أهل اليونان بينه وبين زيوس، فارتفعت مكانته في المدينة. والإله الثاني هو (ساندان)، وهو قريب من المؤمنين به وكانوا يحتفلون به فيتـظاهـرون بإحـراقه، ويزعمون أنه يرتفع بعد ذلك إلى السماء، فكان ساندان في طرسوس كأتيس في فريجيا، وتموز في بابل، وأدونيس في الشام، وأوزيريس في مصر، وغيرهم من الآلهة المتشابهين في بلاد أخرى.[3]

وفي مدينة لسترة كان هيكل للإله زفس، وكان أهل لسترة يعتقدون أنّ هرمس رسول زفس ووزيره، قالت أليزا أفرت في حديثها عن زفس وهرمس: «إنّه كان بين القدماء رأي بأنّ الآلهة تتزيّا بزيِّ البشر وتترايا لناسٍ على الأرض»[4].

---

(١) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٢، نقلاً عن كتاب الديانات الشرقية في العبادات الرومانية لكومون المنشور في باريس سنة ١٩٠٩م.

(٢) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٢.

(٣) المرجع السابق ص ٧٩.

(٤) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٩٠.

ويُفهم من بقية حديثها أنّ تلك العقائد السائدة في لسترة سهّلت مهمة بولس في دعوته أهلها إلى دينه، ولم يصعب عليهم فهْمُ كلامه.

وهـذا الإله زفس أو زاويش هو كبير الآلهة عند اليونانيين، ويسمى باللاتينية (جوبيتر)، أمّا هرمس فهو إله الفصاحة، ويسميه الرومانيون (مرقوريوس).

وقد ذكر شارل جنيبير[1] أنّ التركيبات والامتزاجات المتماثلة بين العقائد المختلفة ـ وبالذات في مصر وسورية ـ كان لها تأثيراتها المختلفة على التفكير الديني لدى القديس بولس، فالناظر إلى الحياة الدينية يتبين له أنّ عدداً من الآلهة احتلوا مركز الصدارة خلال العهد الأول لقيام المسيحية، وكانت بين تلك الآلهة أوجه شبه كثيرة ومتقاربة، لدرجة أنها امتـزجت وتـوحّـدت في بعض الأحيان، وكـان أشهر الآلهة: أتيس في فريجيا، وأدونيس في الشـام، وملكـارت في فينيقيا، وتمـوز ومـردوك في بلاد ما بين النهرين، وأوزيريس في مصر، وكان الإله الفارسي ميترا قد بدأ يشتهر أيضاً في ذلك العصر في رحاب الامبراطورية الرومانية، وهذا التشابه في العقائد والأساطير والطقوس المقدمة لتلك الآلهة الممتزجة المتداخلة، عُرف في تاريخ الأديان بـ (التأليف الديني الشرقي).

يقول شارل جنيبير[2]: «وإنّ الخاصة التي تثير الإنتباه أكثر من كل الخصائص الأخرى لآلهة المنطقة عند دراسة تاريخهم الأسطوري لهي تلك التي بمقتضاها يموتون في موسم معينّ من السنة، ثم يُبعثون بعد ذلك في موسم آخر. . . ولم يكونوا سوى رجالا أُلّهتهم إرادة الآلهة الآخرين، ولم يرتفعوا شيئاً فشيئاً إلى مرتبة أعلى من مرتبتهم البشرية الأولى، ولم يصِلوا إلى مصافّ الآلهة المهيمنة على الأرض، إلا بفضل الأهمية

(١) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٢-٦٣.
(٢) المرجع السابق ص ٧١-٧٢.

الكبيرة التي أعطيتْ بالتدريج لوظائفهم بالنسبة إلى الإنس. . . والظاهر أنّ ميترا كان إلهاً شمسياً لذلك احتفل بمولده في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر[1] أي في موعد الانقلاب الشتوي».

وكان احتفال سكان بلاد ما بين النهرين بموت الإله تموز واحتفال أهل سوريا بموت الإله أدونيس في تمام موعد الانقلاب الصيفي، أمّا الاحتفال بموت وبعث الإله الفريجي أتيس فكان في النصف الثاني من شهر مارس (آذار) بحلول الاعتدال الربيعي.[2]

وعلى حسب الأساطير الشائعة في عبادة هؤلاء الآلهة، فإنّ الخطوات التي يسيرها الإله في مخيلة الناس للقيام بدوره كما يلي: يتعذب الإله تماماً كما يتعذب الإنسان، ثم يموت كموت الإنسان، ثم يتغلب على العذاب وعلى الموت فيبعث من جديد ويتمتع بحياة السعادة في ديار الخلد الإلهية، ولذلك سينجو أتباعه لأنّه شاركهم في ظروفهم الإنسانية بعذابه وموته مشاركة انتهت إلى أعمق أعماق المشاركة المصيرية التي تنتهي بهم إلى البعث والحياة الأبدية في ديار السعادة مع الإله الذي هو بالنسبة لهم «المنقذ الإلهي».[3]

---

(١) وهذا التاريخ ١٢/٢٥ هو تاريخ احتفال النصارى بعيدهم.

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٣) المرجع السابق ص ٧٤، وسترى تطابق هذه العقيدة تماماً مع عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام.

إضطهاد شاول بولس للنصارى أتباع المسيح عليه السلام

وردت عدة نصوص واعترافات بخصوص هذا الأمر في سفر أعمال الرسل وفي رسائل بولس نفسه، ومن هذه النصوص ماورد في سفر أعمال الرسل ٧/٥٤-٦٠ بخصوص قتل إستفانوس «٥٤ - فلماسمعوا هذا حَنِقُوا بقلوبهم وصرّوا بأسنانهم عليه (٥٧) فصاحوا بصوت عظيم وسدّوا آذانهم وهجموا عليه بنفس واحدة (٥٨) وأخرجوه خارج المدينة ورجموه. والشهودُ خلعوا ثيابهم عند رجْليْ شابٍّ يقال له شاول (٥٩) فكانوا يرجمون إستفانوسَ وهو يدعو ويقول: أيها الرب يسوع: اقبل روحي (٦٠) ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: ياربُّ لاتُقِمْ لهم هذه الخطيّة. وإذْ قال هذا رقد. وكان شاولُ راضياً بقتْله».

وفي سفر أعمال الرسل ٨/٢-٣ «٢ - وحمل رجالٌ أتقياءُ إستفانوسَ وعمِلوا عليه مناحة عظيمة (٣) وأمّا شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجرّ رجالاً ونساءً ويسلّمهم إلى السجن».

ويقول شاول بولس عن نفسه في رسالته إلى أهل فيلبي ٣/٦ «مِن جهة الغَيْرةِ مضطهِدُ الكنيسةِ».

وهذه النصوص تدلّ على أنّ شاول بولس كان ممتلئاً حقداً وغيظاً على المسيح وأتباعه، ويَعُدّهم طائفة جديدة يفسدون معنى الكتب المقدسة، ويبشرون بتعاليم مضرة، ويشكّلون خطراً دينياً وسياسياً يوجب استحقاقهم للإبادة، ولذلك شارك في حادثة رجم الرجل البار إستفانوس أول شهداء النصرانية، وكان بولس يحرس ثياب الذين رجموه، إظهاراً لغيرته على ناموس آبائه وتقاليدهم، واتحد مع الفرّيسيين ليبيد تلك الطائفة من أتباع المسيح عليه السلام، ومما زاد في حنقه وحقده عليهم الازدياد

المستمر في عدد التلاميذ، وإيمان كثير من الكهنة بعيسى عليه السلام وتعاليمه، ففي سفر أعمال الرسل ٧/٦ «وكانت كلمةُ الله تنمو وعددُ التلاميذ يتكاثر جدّاً في أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان».

وكان شاول بولس يلاحق أتباع المسيح ويعذبهم تعذيبا شديدا حتى عَدّ رئيس المضطهدين لهم، ولشدة بطشه خافه التلاميذ المؤمنون بعيسى عليه السلام ففروا من أورشليم وتشتتوا واختبؤوا في أنحاء فلسطين والشام، فقرر بولس الذهاب إلى دمشق ليوثق المؤمنين بالمسيح ويسوقهم إلى أورشليم للسجن والتعذيب، وأخذ معه رسائل ووصايا بهذا الأمر من رئيس الكهنة في أورشليم إلى جماعات اليهود في دمشق، وكان هذا الأمر حوالي سنة ٣٥م[١].

ولم تذكر النصوص ولا المفسرون بأية طريق سافر بولس إلى دمشق، غير أنه لم يكن بدّ من ذهابه شمالاً ماراً بالسامرة والجليل المقاطعتين اللتين حدثت فيهما أغلب الحوادث في سيرة المسيح عليه السلام، وفي هذه الأثناء حصل التحول المفاجىء والتخطيط العجيب، فهو يعاني مشاق السفر إلى دمشق ويحمل معه رسائل، ولكن أتباع المسيح منتشرون في مدن كثيرة والطرق إليها متشعبة، والأمل في القضاء عليهم ضعيف؛ لأنّ الإيمان سرّ في القلب لا يطّلع عليه إلا الله سبحانه، ولأنّ أتباع المسيح إنْ ضُيّق عليهم في بلد فيهربون إلى غيره، ولأنّ الاضطهاد والعنف لا يزيدهم إلا ثباتاً على دينهم وتمسكاً بتعاليم المسيح عليه السلام، لذلك كله فكّر شاول بولس بوسيلة تكون أنجح في القضاء على تعاليم عيسى المسيح وأتباعه المبشّرين بها، وأضمن لاستمرار اضطهادهم فيما يستقبل من الزمان، فهداه عقله إلى أسلوب جديد وخطة جديدة. هذا الأسلوب، وهذه الخطة هي ما يسمى بـ: تنصّر بولس وتحوله المفاجىء العجيب[٢].

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦-١٩٨.

(٢) سبقت الإشارة أن هذا الأمر تمّ حوالي سنة ٣٥م، أي بعد رفع المسيح عليه السلام بسنتين، وكان عمر شاول بولس آنذاك حوالي ٢٥ سنة.

تنصّر شاول بولس وتحوله المفاجىء العجيب

هذا الأمر مذكور في ثلاثة مواضع من سفر أعمال الرسل في الأصحاحات ٩ و ٢٢ و ٢٦ ، وفيما يلي نقلها بنصها:

الموضع الأول : ما في سفر أعمال الرسل ٩ / ١-٣٠ وفيما يلي نص فقراته: «١ - أمّا شاولُ فكان لم يزلْ ينفثُ تهدّداً وقَتْلاً على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة (٢) وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أُناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم مُوثَقين إلى أورشليم. (٣) وفي ذهابه حدث أنّه اقترب إلى دمشق فبغتةً أَبرق حوله نور من السماء (٤) فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له شاول شاول لماذا تضطهدني. (٥) فقال منَ أنت ياسيد. فقال الربُّ أنا يسوع الذي أنت تضطهده صعبٌ عليك أنْ تَرْفُس مَنَاخِسَ[1]. (٦) فقال وهو مرتعد ومتحير ياربُّ ماذا تريد أنْ أفعل. فقال له الرب قمْ وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. (٧) وأما الرجالُ المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً. (٨) فنهض شاول عن الأرض وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق. (٩) وكان ثلاثة أيام لا يبصر فلم يأكل ولم يشرب. (١٠) وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيّا. فقال له الربّ في رؤيا ياحنانيّا. فقال هأنذا ياربُّ(١١) فقال له الربُّ قمْ واذهب إلى الزُّقاق الذي يُقال له المستقيمُ واطلبْ في بيت يهوذا رجلاً طرسوسيّاً اسمه شاول. لأنّه هُوَذَا يصلّي(١٢) وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيّا داخلاً وواضعاً يده عليه لكي يبصر (١٣) فأجاب حنانيّا ياربُّ قد سمعتُ من كثيرين عن هذا الرجل كمْ من الشرور فعل بقدّيسيك في أورشليم. (١٤) وههنا له سلطان من قِبل رؤساء الكهنة أن يُوثِق جميعَ الذين يَدْعون باسمك. (١٥) فقال له الربُّ اذهب. لأنّ هذا لي إناءٌ مختار ليحْمِل اسمي أمام أُممٍ وملوكٍ وبني إسرائيل. (١٦) لأنّي سأُريه كمْ ينبغي أنْ

(١) في طبعة ١٨٢٣م و١٨٨٢م (المهماز)، وفي طبعة ١٨٢٥م (الأسنة).

يتألّم من أجل اسمي. (١٧) فمضى حنانيّا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال أيها الأخ شاول قد أرسلني الربُّ يسوعُ الذي ظهر لك في الطريق الذي جئتَ فيه لكي تبصرَ وتمتلِئَ من الروح القدس. (١٨) فللوقتِ وقع من عينيه شيء كأنّه قُشورٌ فأبصرَ في الحال وقام واعتَمَدَ. (١٩) وتناول طعاماً فتقوّى. وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً. (٢٠) وللوقتِ جعل يَكْرِزُ في المجامع بالمسيح أنْ هذا هو ابنُ الله. (٢١) فبُهت جميعُ الذين كانوا يسمعون وقالو أليس هذا هو الذي أَهلك في أورشليم الذين يَدْعون بهذا الاسم. وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقَهم مُوثَقين إلى رؤساء الكهنة. (٢٢) وأمّا شاولُ فكان يزداد قوة ويحيّر اليهودَ الساكنين في دمشق محقِّقاً أنّ هذا هو المسيحُ. (٢٣) ولمّا تمّتْ أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه. (٢٤) فعَلِم شاولُ بمكِيدتهم. وكانوا يراقبون الأبواب أيضاً نهاراً وليلاً ليقتلوه. (٢٥) فأخذه التلاميذ ليلاً وأنزلوه من السُّور مدلّين إيّاه في سَلٍّ. (٢٦) ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أنْ يلتصق بالتلاميذ. وكان الجميع يخافونه غيرَ مصدّقين أنّه تلميذ. (٢٧) فأخذه بَرْنابا وأحضره إلى الرسل وحدّثهم كيف أبصر الربَّ في الطريق وأنه كلّمَهُ وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع. (٢٨) فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم ويجاهر باسم الربِّ يسوع. (٢٩) وكان يخاطِب ويباحِث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه (٣٠) فلمّا علِم الإخوةُ أحدروه إلى قيصريّة وأرسلوه إلى طرسوس».

والموضع الثاني: ما في سفر أعمال الرسل ٢٢/١ - ٢١، وفيما يلي نص فقراته: «١ - أيها الرجالُ الإخوةُ والآباءُ اسمعوا احتجاجي الآن لديكم. (٢) فلمّا سمعوا أنّه ينادي لهم باللغة العبرانية أَعْطَوا سكوتاً أحرى. فقال(٣) أنا رجل يهودي ولدتُ في طرسوسَ كِيليكيّةَ ولكنْ رَبيتُ في هذه المدينةِ مؤدَّباً عند رجلَيْ غمالائيل على تحقيق الناموس الأبويّ. وكنتُ غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم. (٤) واضطَهدتُ هذا الطريق حتى الموتِ مقيِّداً ومسلِّماً إلى السجون رجالاً ونساءً. (٥) كما يشهد لي أيضاً رئيسُ الكهنة وجميعُ المشْيَخةِ الذين إذْ أخذتُ أيضاً منهم رسائلَ للإخوة إلى دمشق ذهبتُ لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيَّدين لكي يعاقبَوا. (٦) فحدَثَ لي وأنا ذاهب ومتقرِّب إلى دمشق

أنّه نحوَ نصفِ النهار بغتةً أَبرق حولي من السماء نور عظيم. (٧) فسقطتُ على الأرض وسمعتُ صوتاً قائلاً لي شاول شاول لماذا تضطهدني. (٨) فأجبتُ من أنت ياسيد. فقال لي أنا يسوعُ الناصريُّ الذي أنت تضطهده. (٩) والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوتَ الذي كلّمني. (١٠) فقلتُ ماذا أفعل ياربُّ. فقال لي الربُّ قمْ واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتَّبَ لك أنْ تفعل. (١١) وإذْ كنتُ لا أبصر من أجْلِ بهاءِ ذلك النورِ اقتادني بيدِي الذين كانوا معي فجئت إلى دمشق(١٢) ثم إنّ حنانيّا رجُلاً تقيّاً حسَبَ الناموسِ ومشهوداً له من جميع اليهودِ السّكانِ (١٣) أتى إليّ ووقف وقال لي أيها الأخُ شاول أبصِرْ. ففي تلك الساعة نظرتُ إليه(١٤) فقال إله آبائنا انتخبك لتعْلَمَ مشيئتَه وتُبصِر البارَّ وتَسمعَ صوتاً من فمه. (١٥) لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيتَ وسمعتَ. (١٦) والآن لماذا تتوانى. قمْ واعتمدْ واغسلْ خطاياكَ داعياً باسمِ الربِّ. (١٧) وحدث لي بعدما رجعتُ إلى أورشليم وكنت أُصلّي في الهيكل أنّي حصلتُ في غَيْبةٍ (١٨) فرأيتُه قائلاً لي أسرعْ واخرجْ عاجلاً من أورشليم لأنّهم لا يَقبلون شهادتك عنّي. (١٩) فقلت ياربُّ هم يَعْملَون أنّي كنتُ أحبِسُ وأَضرِبُ في كل مجمع الذين يؤمنون بك. (٢٠) وحين سُفِك دمُ إستفانوسَ شهيدِك كنتُ أنا واقفاً وراضياً بقتله وحافظاً ثيابَ الذين قتلوه. (٢١) فقال لي اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً».

والموضع الثالث: مافي سفر أعمال الرسل ٢٦ / ٩-١٨ وفيما يلي نص فقراته: «٩ - فأنا ارتأيتُ في نفسي أنّه ينبغي أنْ أصنعَ أموراً كثيرة مضادّة لاسمِ يسوعَ الناصريّ. (١٠) وفعلتُ ذلك أيضاً في أورشليم فحَبستُ في سجونٍ كثيرين من القِدّيسين آخذاً السلطان من قِبل رؤساء الكهنة. ولمّا كانوا يُقتلون ألقيتُ قُرعةً بذلك. (١١) وفي كل المجامع كنتُ أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطرهم إلى التجديف. وإذْ أَفرط حَنَقي عليهم كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج. (١٢) ولما كنتُ ذاهباً في ذلك إلى دمشق بسلطانٍ ووصيةٍ من رؤساء الكهنة(١٣) رأيتُ في نصف النهار في الطريق أيها الملِك نوراً من السماء أفضلَ من لمعان الشمس قد أبرق حولي وحول

الـذاهبـين معي . (١٤) فلمّا سقطنا جميعًا على الأرض سمعتُ صوتاً يكلّمني ويقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدني . صعبٌ عليك أن تَرفُس مَنَاخِس . (١٥) فقلت أنا مَن أنت ياسيد فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده . (١٦) ولكنْ قُمْ وقفْ على رِجْلَيْكَ لأنّي لهذا ظهرتُ لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيتَ وبما سأَظهرُ لك به(١٧)منقذاً إيّاك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أُرسلك إليهم (١٨) لتَفتَح عيونَهم كي يَرجعوا من ظلماتٍ إلى نورٍ ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيباً مع المقدَّسين» .

هذه الأخبار الثلاثة عن تنصّر شاول بولس وتحوله المفاجىء العجيب يُفهم منها أنه في أثناء ذهابه إلى دمشق من أجل أنْ يضطهد النصارى الذين فيها ، وكان قد اقترب منها في وسط النهار، فبغتة أبرق حوله نور عظيم أسقطه على الأرض ، وسمع صوتاً يقول له بالعبرانية : شاول شاول لماذا تضطهدني؟ ثم لمّا استفسر شاول عن شخصية القائل ، أخبره بأنّه يسوع وأنّه اختاره رسولاً للأمم ، ولكن شاول بولس كان قد ذهب بصره من شدة النور، فاقتاده رفقاؤه إلى دمشق ، وفيها أبصر عل يد حنانيّا ، وبعد اعتماده أخذ يَكْرِز ويبشر في المجامع بأنّ المسيح عيسى هو ابن الله .

وغـيّر شاول اسمه العبراني (شاول) وتسمّى باسم يوناني جديد هو (بولس)، ومعنى بولس زهيد أو صغير، أي إنّه أصغر الرسل والقدّيسين[1]، وقد وضع شاول اسمه الجديد (بولس) في جميع رسائله ماعدا الرسالة إلى العبرانيين[2]، ولعل التسمية ببولس أقرب لاجتذاب اليونان والرومان لمذهبه ونيل مودتهم ، وأرضى لخواطرهم ؛ فهم يعرفون أنّ اسم شاول اسم يهودي ، وكانوا يحتقرون اليهود، فتغيير اسمه ساعده في جذب قلوبهم إليه ، قالت اليزا افرت : «إنّ بولس في ما بعد استعمل اسمه العبراني على

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦ .
(٢) ولعل ذلك دليل أكيد على أنه ليس هو كاتبها .

صورته في لغة الأمم، لكي يبيّن أنّه كان صاحب الأمم ومعلّمهم»[1].

وذكر يوسف العلم[2] في تعليقه على فقرة رسالة بولس إلى أهل رومية ١/١ التي يقول فيها: «بولسُ عبدٌ ليسوعَ المسيحِ» أنّ بولس بعد ادّعائه الرسالة لم يُدْعَ إلا بهذا الاسم ولا اختار سواه في كتبه.

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٥٧.
(٢) انظر كتابه: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢.

رأي العلماء في سبب التحول المفاجىء عند شاول بولس

أجمع علماء النصارى على أنه لا بد من ممهدات للرؤيا التي رآها بولس في طريقه إلى دمشق، فليست مجرد رؤيا فجائية، وليس لها قيمة ما لم تربط بما سبقها.

وقد ظهرت عدة آراء ونظريات لتفسير هذه الرؤيا وسبب التحول المفاجىء الجاسم في حياة شاول بولس، وفيما يلي أهمها:

١ ـ نظرية الصراع النفسي الداخلي:

وقد تبناها شارل جنيبير، وتقوم على بعض الاستنتاجات المأخوذة من كتابات بولس، فهو يقول في رسالته إلى أهل غلاطية ١/١٤ «وكنتُ أتقدّم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذْ كنتُ أوفرَ غَيْرَةً في تقليدات آبائي»، وهذا النص وغيره من النصوص المشابهة، تدل على أنّ بولس كان واحداً من أخلص اليهود المتمسكين بالناموس كما يفهمه اليهود أنفسهم، لقد كان يهوديّاً متعصباً، يريد أنْ يُتمم كل الناموس مع كثرة ما فيه من ثقل وأمور دقيقة وكبيرة، ودون كلل، إنّ بولس ليس متمسكا بالناموس المكتوب فقط (أي التوراة) بل بالناموس الشفوي أيضا (أي تقليدات الآباء)، وكانت عنده رغبة عارمة في محاربة كل فكرة ضد تقليدات آبائه، فحارب أتباعَ المسيحِ وتعاليمَه بلا هوداة، ولكن شجاعتهم في تحمل الأذى مما لم يشاهده بولس عند غيرهم، ولّد عنده صراعاً نفسياً داخليّاً عنيفاً، لم يَعرِف كيف يتغلب عليه بادىء الأمر، ووصل هذا الصراع قمته بينما كان في طريقه إلى دمشق[1].

٢ ـ نظرية التقليد النبويّ:

وقد تبنّاها جوهانس مونك الذي رفض النظرية السابقة، فقال: إنّ بولس حاول

(١) انظر كتاب: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص ٦٩، وكتاب الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس للدكتور القس فهيم عزيز ص ٢٩ـ٣٠.

أنْ يقلّد أنبياءَ العهـد القديم كعاموس وإشعياء وحزقيال وإرميا، ويشبّه نفسه بهم، واستند جوهانس مونك إلى كتابات بولس نفسه أيضاً، فهو يقول في رسالته إلى أهل غلاطية ١/١٥-١٦ «١٥ ـ ولكنْ لمّا سَرَّ اللهَ الـذي أَفـرزني من بطن أُمي ودعـاني بنعمته(١٦) أنْ يُعلِن ابنَه فيَّ لأبشّر به بين الأمم للوقت لم أَستشِرْ لحماً ودماً»، وهذا النص وغيره من النصوص المشابهة تدل على أنّ بولس قد وضع نفسه في صف الأنبياء العظام الـذين دعاهم الربُّ، فأقنع نفسه بأنّ الله دعاه من بطن أمه ليكون رسولاً للأمم، فرسالته وعالميتها كانتا حسب تدبير الله وإرادته في أن يُحضِر الأمم إليه، فهو الشخصية الهامّة في تلك العملية العظيمة النهائية التي انتظرها اليهود والمسيحيون معاً للخلاص[1].

٣ ـ نظرية التعصّب الفرّيسيّ :

وهـذه النـظرية يجنـح أتبـاعها إلى تفسير سبب التحول المفاجىء عند بولس بالتعصّب الفرّيسيّ، فيقولون: إنّ بولس كان يفخر ويتكبر على أقرانه بعلمه وفهمه للناموس، فهو إذاً أكثر من غيره معرفة بتعاليم المسيح، وأدقّ تقديراً لآثارها وللنتائج الخطيرة المترتبة عليها ضد الديـانة اليهودية، فالناموس هو مجدُ اليهودِ وفخرُهم، وهو الذي يلتفون حوله فيميزهم عن غيرهم، وهو الذي يبشرهم بالمسِيّا الآتي إليهم، وقد تخصص جماعة منهم بحفظ الناموس فقيل لهم (ناموسيون)، وكان لهم سلطة كبيرة على الشعب.

وكانت التعاليم التي علّمها المسيحُ لأتباعه تقلِب الأمر إلى نقيضه، وفيها إغاظة لليهـود، وتشنيع بهؤلاء النـامـوسيين والحُفّاظ، وفيها خطر على وحدة اليهود القومية والسياسية والـدينية، فهـل يمكن لفـرّيسيّ متعصب أنْ يسكت عن هؤلاء الأتبـاع وتعاليمهم التي ظهر خطرها على شعبِه اليهودي؟ فكيف وقد كان شاول قبل ذهابه إلى

(١) انظر كتاب: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس للقس الدكتور فهيم عزيز ص ٣٢.

دمشق يغلي دمُ قلبه حقداً عليهم وتعصباً ضدهم، واشتعلت فيه نار الكراهية لمعلّمهم الأول المسيح عليه السلام؟[1].

يقول الدكتور القس فيهم عزيز: «وكان شاول ذكيّاً لدرجة أنّه عرف خطورة السيد[2] على النـامـوس واليهودية أكثر مما كان يعرف المسيحيون أنفسهم. . . . وفي ذهابه إلى العربية لم يكن هناك في فراغ، بل لا بدّ أنّه قد أخذ معه حصيلة كبيرة من أفكـار المسيحيين ليعـرف وليدْرس وليتـأمّل، ومن هناك جعل يَكْرِز أنّ يسوعَ هو المسيح. أعمال الرسل ٩/ ٢٠-٢٢». [3]

هذا هو ملخص النـظريات الثلاث في تفسير سبب التحول المفاجىء لشاول بولس إلى النصرانية، وإنّي أرى أنّ هذه النظريات الثلاث ليس بينها خلاف، فسيرة شاول بولس تستوعب هذه التعليلات مجتمعة، ويمكن أنْ يقال: إنّ تعصّبه الفرّيسيّ وحقدَه على المسيحِ وأتباعِه، وعجزَه عن القضاء عليهم وعلى تعاليمهم الخطرة على اليهودية، وشدة ثباتهم وتمسكهم بأقوال معلمهم المسيح، ولّد في نفسه صراعاً داخليّاً مبهـماً طويلاً غامضاً، انتهى به إلى القرار الخطير في التحول المفاجىء الظاهري إلى جانب النصارى، لا كتابع، ولكنْ كرسولٍ على نمط رسل العهد القديم، بل زاد عنهم بادّعائه عالمية الرسالة؛ ليستطيع ترويج أفكاره ومحاربة أفكار خصومه بحُريّة تامّة.

---

(١) انظر كتاب: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٣٣-٣٥.
(٢) يقصد بالسيد:المسيح عيسى عليه السلام.
(٣) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٣٦، وأقول هنا للدكتور القس فهيم عزيز: المفروض أن تكون العبارة الأخيرة كما يلي: (ومن هناك جعل يكرز أن يسوع المسيح هو ابن الله)، فقد أشار الدكتور فهيم عزيز إلى فقرة سفر الأعمال ٩/ ٢٠ ونصها كما يلي: (وللوقتِ جعل يَكْرِز في المجامع بالمسيح أنْ هذا هو ابنُ الله). وعلى كلٍّ فالدكتور فهيم عزيز قد برأ ذمته بالإشارة للفقرة دون التصريح بالنص.

نقد قصة رؤيا شاول بولس في طريق دمشق

من المسلَّم به أنّ بولس كان شديد العـداوة لأتباع المسيح عليه السلام، وأنّ توجهه إلى دمشق كان بقصد التنكيل بهم، وفي الطريق حصل التغيّر المفاجىء، فادّعى بولس أنّ الربَّ يسوع ظهر له وكلّمه، وأرسله رسولاً إلى الأمم جميعها، وهو كما ترى موقف عظيم وخطير، حصلت فيه أمور عجيبة ملفتة للنظر لا يمكن إخفاؤها مع شدة الدواعي لإظهارها وهي:

* ظهور النور الشديد اللمعان.
* فقدان بولس بصره بسبب النور.
* سماعهُ صَوتَ الربّ يكلّمه.
* وقوعه على الأرض.
* اقتياده وهو أعمى إلى دمشق، وإبصاره فيها على يد حنانيّا.

وقد أجمعت الروايات الثلاث للرؤيا على حصول هذه العجائب بحضرة جَمْعٍ من المسافرين مع بولس، وهم الذين اقتادوه أعمى إلى دمشق، وفيها ادعى رسالته العالمية.

إنّ ادّعاء الرسالة لابد أنْ يكون مقترناً بالدليل والشاهد على صحتها؛ لإرغام أنوف الجاحدين لها، وإقامة الحجة على المعاندين، وبما أنّ بولس ادعى رؤيةَ الربِّ وتبليغه بالرسالة العالمية، وحصول العجائب الأخرى بمشهد جَمْعٍ من الناس المرافقين له في طريقه لدمشق، فما هو الدليل الذي أقامه لإقناع المنكرين لرسالته؟.

إن أول ما يخطر في الذهن على الأقل أنْ يستشهِد بولسُ المرافقين له، الذين شاهدوا الحادثة العجيبة وحصل لهم بعض ما حصل له، وبخاصة أنّ الحواريين في فلسطين تشككوا في رسالته، وحذّروا منه، حتى إنّ برنابا وسيطه لديهم تشكك فيه وفارقه آخر الأمر، فما هو موقف هؤلاء المرافقين لبولس بعدما شاهدوا ما حصل له، وعلِموا بإنكار الحواريين لرسالته؟.

فإن صاروا من جملة أتباعه المؤمنين برسالته، فلِمَ لَمْ يشهدوا بها عند معارضيه ويساعدوه في نشر دعوته؟

وإنْ صاروا من المعاندين له النّافين لرسالته، فلِمَ لَمْ يحتجّ عليهم بما شاهدوه برفقته في طريق دمشق؟.

إنّ سفر أعمال الرسل ورسائل بولس أيضاً ساكتة عن مصير هؤلاء المرافقين بعد وصولهم إلى دمشق، وكأنّهم ذابوا فيها، وابتلعتهم أرضها، ولم يَعُدْ لهم أيّ ذِكْر، وهل يُعقل أنْ يسكت جمعٌ من الناس شاهدوا أموراً عجيبة، وقعتْ لشخص مشهورٍ جداً، ومعروف بخصومته الشديدة لأتباع المسيح، ثم يتحول فجأة إلى صفهم ويدّعي الرسالة إليهم؟!.

ثم إنّ سفر أعمال الرسل ورسائل بولس أيضاً فيها أسماء كثيرين من أعداء بولس المشكِّكين في رسالته، والمحذِّرين الناس منه، وليس فيها على الإطلاق اسم شخص واحد من المرافقين له في طريق دمشق، ممن سمعوا الربَّ يكلّمه، أو ممن سقطوا على الأرض مثله، أو ممن اقتادوه إلى دمشق، علماً أنّ ذكْر اسم واحد منهم أمر مطلوب في

هذا الموقف، فقد كان أعداؤه يقولون عنه: إنّه أشد عدو لهم وأكبر ناقض لمذهبهم[1]، فصارت الحاجة ماسّة إلى معرفة أسماء الشهود، ليشهدوا له إنْ كانوا مؤمنين به، أو ليشهدوا ضده إنْ كانوا كافرين به، إذ المفروض في الوصف الأخير أن يستشهِدهم أعداؤه، لكنّ الأمرين لم يقعا، لا الشهادة له ولا الشهادة ضده، وهذا ما يثير الشكوك في بولس، وينقض ادّعاءه حصول الرؤيا من أساسها، لأنه هو الراوي الوحيد للرؤيا، فرواياتها الثلاث وردت عنه إمّا بضمير المتكلم المفرد أو الجمع، وإمّا بضمير المفرد الغائب، ولم تَرِد رواية منها على لسان الشهود أو أحدهم في بيان ما حصل.

وأودّ أنْ أُشير هنا إلى اختلاف أساسي وهامّ في سياق قصة الرؤيا، ففي سفر أعمال الرسل ٩/٧ «وأمّا الرجالُ المسافرون معه فوقفوا صامتين يَسمعون الصوتَ ولا يَنظرون أحداً».

وفي الأصحاح ٢٢/٩ «والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يَسمعوا صوتَ الذي كلّمني».

فالأصحاح ٩ أثبت سماعَ رفقائه الصوت، والأصحاح ٢٢ نفى سماعهم الصوتَ، وأما الأصحاح ٢٦ فساكت عن سماعهم وعدمه.

وقد أغفل بولس نفسه وكتّاب النصارى جميعاً تحديد المكان الذي حصلت فيه الرؤيا، كما أغفلوا ذِكْر الأدلة التي يستدل بها على أنّ الذي كلّم بولس هو الإلهُ الربُّ يسوع المسيح، وافترضوا صحة وقوع الرؤيا استناداً إلى قول بولس نفسه في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٩/١ «أَمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا»، وقد أشار مؤلفو قاموس

(١) ذكر ذلك يوسف العلم في كتابه تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٤١.

الكتاب المقدس[1] إلى قول بولس المذكور وقالوا: «وإنّه من المؤكد أيضاً أنّ الربَّ يسوعَ لم يتكلم فقط مع بولس بل أيضاً ظهر له فرآه مرأى العين».

وبهذا نرى أنّ شاول بولس قد أجاد حبك هذه القصة ضد دين المسيح عليه السلام وأتباعه، فتظاهر بأنه أراد دخول دمشق مضطهِداً للنصارى، لكنه دخلها رسولاً إليهم، وهو كما ترى أسلوب جديد، إذْ زعم تلقيه الوحي من المسيح بلا وساطة، فهو الذي كلّمه وأرسله رسولاً للعالم.

وعلى أية حال فإنّ هذا التحول المفاجىء الغريب يدعو للشك والريبة في مقاصد بولس ونواياه، وفي هذا يقول شارل جنيبير: «وكان في البدء على عداء عنيف للمسيحيين، ثم تحول إلى صفهم على أثر أزمة نفسية لن نتعرض لها الآن بالتحليل التفصيلي، بل نكتفي بالقول بأنها كانت نتيجة صراع داخلي مبهم طويل، ولقد انتهت هذه الأزمة إلى رؤيا حاسمة، حيث أيقن بولس أنه أبصر بالسيد المسيح أو تلقى منه كلمات، واختص منه بالتشريف الأعظم: أنْ يكون من الحواريين، وذلك خلال رحلة له قاصداً دمشق، ويجب أنْ نشير هنا إلى أنّ بولس لم يلتق بعيسى مدة حياته... والقضية التي ثبتت لنا على أيِّ حال هي أنه لم يعرفه، وأنّ النصوص التي تحوز أكبر قدر من الثقة في هذا المجال ـ وهي رسائل بولس نفسه ـ تقدِّمه لنا على أنه كان مِن مضطهِدي (كنيسة الله) قبْل أنْ تحدث معجزة طريق دمشق، وأنّ تفاصيل ما ترويه لنا أعمال الرسل (٧/٥٨ و ٨/١ ـ ٣ و ٩/١-٢) عن عنفه في الشر لتبعث على الشك،

(١) انظر ص ١٩٧.

ويبدو لنا من المرجح أنّ الغرض منها لم يكن إلا إبراز تحوله المفاجىء عن هذه العداوة الشديدة في صورة برّاقة». [1]

وقد ذكر لوقا في أعمال الرسل ٩/ ٢٠ جملة ذات اعتبار بالغ، ولها أهمية كبرى في تعريفنا بمبدأ دخول الخلل في دين عيسى عليه السلام، وهي قول لوقا: «وللوقتِ جعل يَكْرزُ في المجامعِ بالمسيحِ أنْ هذا هو ابنُ الله». ونصها في طبعة سنة ١٨٢٣م: «ولوقتِه بدأ ينادي بيسوع في الجماعات نداءً إنّه هذا هو ابن الله».وفي طبعة سنة ١٨٢٥م: «وفي ذلك الآن أخذ يَكْرِز في المجامع بأنّ المسيح هو ابنُ الله»، وفي طبعة اللاتين: «فأخذ من وقته ينادي في المجامع بأنّ يسوعَ هو ابنُ الله».

وهـذه الفكـرة التي هي نقطة الانحراف الخطير في تاريخ النصرانية، لم تكن معروفة للمؤمنين بالمسيح من قبل، فأنكروا هذه الدعوى وحذروا من قائلها بولس، الذي هو ليس من الحواريين ولا من التلاميذ السبعين، ولم ير المسيحَ قط، ولم يتابعه على فكرته هذه سوى لوقا الحبيب الطبيب اليوناني الذي لم ير المسيحَ أيضاً، ولذلك لجأ بولس إلى بَرْنابا ليزكيه لدى التلاميذ المتوجسين منه خيفة، المعتقدين أنه مشوِّه لتعاليم المسيح عليه السـلام، ومشكوك في مقاصده، وفي ذلك يقول شارل جنيبير: «ولكنه يسهل علينا أن ندرك الحافز الذي دفع بأهل أورشليم ـ دون أنْ يرتابوا في إخلاصه لدينه الجديد ـ إلى التحفّظ فيما يتعلق بحقيقة ما ادّعاه من رسالة، وإلى عدم الاقتناع في يسر بحـديثه الواثق عن عيسى، وكأنه عرفه مثلما عرفوه، وأقام بجواره مثلما أقاموا، وهو الذي لم يحظ من ذلك بشيء، فلما رأى في أعقاب سنوات ثلاث أنْ يصعد إلى أورشليم لم يَجِدْ في مجتمع الحواريين المحدود بها سوى نظرات الحذر والتشكك، ولولا بَرْنابا لما استطاع حتى الاتصال بهذا المجتمع . . . ومنذ ذلك الحين كان ولا شك يفترق عن الحواريين في الأمور الخاصة بعيسى، أيْ إنّه كان يتعلق بصورة المسيح التي رسمها

(١) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٦٩ و ٨٦.

الهيلينستيون، والتي كانت أوسع في أبعادها من صورته لدى الحواريين»[1].

وقد توقع شاول بولس من الحواريين والتلاميذ سؤالاً عن معلّميه في الدين ـ وهو الذي لم ير المسيحَ مطلقا ـ فأعدّ للسؤال جوابا مسبقا وغامضا غموض قصة تنصّره، ذكـره في رسالته إلى أهل غلاطية١/١١ ـ ١٢ فقال: «١١ ـ وأُعرّفكم أيها الإخوةُ: الإنجيلَ الذي بَشَّرتُ به إنه ليس بحسب إنسان(١٢) لأني لم أَقبلْه من عند إنسان ولا عُلّمته بل بإعلان يسوعَ المسيحِ».

وهو كما ترى جواب لا يملك العقل السليم إلا رفضه كما يرفض سائر الخرافات والأوهام؛ لأنّ هذه الرؤيا المزعومة في طريقه إلى دمشق لا تكفي لسكب تعاليم المسيح في شاول بولس دفعة واحدة، وبخاصة إذا نظرنا إلى ما صاحبها باعترافه من رعب، وانفعالات نفسية، وسقوط على الأرض، وعمى أبصر منه بعد مدة، فكيف وقد ادّعى شاول بولس لنفسه الرسالة العالمية! والأمانة على دين المسيح وتعاليمه! وليس لأحد أن يمنعه من نشرها بالشكل الذي يراه! ولا أنْ يعارضه في نشر تعاليم تخالفها! لأنه ـ أي بولس ـ هو الوارث الفعلي للمسيح وتعاليمه! وصاحب الحق الأول في تعليمها ونشرها!؟.

ولكنّـه على كل حال نجح في قطع الطريق على كل شاكّ فيه أو متسائل عن تعاليمه، فزعم أنه تلقاها بالوحي من المسيح مباشرة بلا وساطة أحد، وبذلك وضع نفسه على قدم المساواة مع الحواريين الأولين الذين لم يستطيعوا إحسان الظن به، ولا مجاراته في آرائه الجديدة، واستطاع أنْ يصرِف الأنظار عن الفجوة الواسعة بينه وبين المسيح الذي لم يره ولم يسمع منه.

---

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٢.

هروب شاول بولس من دمشق إلى العربية

بعد اختراع شاول بولس لقصة الرؤيا والنور على طريق دمشق التي مر تفصيلها في الفصل السابق، وادعائه الرسالة العالمية[1]، استمر في سفره حتى وصل الى دمشق، وفيها تعرض لمحاولة قتل[2]، فهرب إلى العربية، وفي ذلك يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية ١/١٥ ـ ١٩ «١٥ ـ ولكنْ لمَّا سرَّ اللهَ الذي أفرزني من بطن أُمّي ودعاني بنعمته (١٦) أنْ يُعلِن ابنَه فيَّ لأبشّر به بين الأمم للوقتِ لم أستشِر لحماً ودماً (١٧) ولا صعِدتُ إلى أورشليم إلى الرسل الذين قَبْلي بل انطلقتُ إلى العربية ثم رجعتُ أيضاً إلى دمشق (١٨) ثم بعد ثلاثِ سنينَ صعِدتُ إلى أورشليم لأتعرَّف ببطرس فمكثتُ عنده خمسة عشر يوماً (١٩) ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوبَ أخا الربّ».

فزعَم بولسُ أنّ الله دعاه للرسالة مباشرة، وأنّه لم يشاور في ذلك أحداً من الناس، ولا قابل أحداً من الرسل قَبْله في أورشليم أو فاوضه في شأن رسالته، بل أخذ يبشر في الشام وأرابيا (العربية)[3]، وكان ذلك ما بين سنتي ٣٥ ـ ٣٧م.

ومن الصعب تحديد المنطقة العربية التي غادر إليها بولس بعد هروبه من دمشق، ولم يَذكر لوقا في أعمال الرسل ذهاب بولس إلى العربية، بل سكت وسكوته جالب للشكّ، ولعل بولس اختفى في مكان قريب من دمشق، ولم يجسر أنْ يرجع فوراً إلى أورشليم، ولعله ذهب إلى العربية فعلاً ليخلو له الجو لتأسيس ديانته بعيداً عن أعين التلاميذ، وقد صرحت الكاتبة أليزا أفرت[4] بأنّ ذهابه إلى العربية كان بإرشاد إلهي،

---

(١) حسب ما في سفر أعمال الرسل ٩/١-٢٢ و ٢٢/٥-١٦ و ٢٦/١٢-١٧.

(٢) انظر: سفر أعمال الرسل ٩/٢٣-٢٥، ورسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١/٣٢-٣٣.

(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٤٢، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٩٨، وطبعة العهد الجديد للاتين ص ٥٧٦.

(٤) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣٣.

لأجـل التـوبـة والتقوّي في البرِّية ، واستعداداً لشغله العظيم بواسطة تأثيرات إلهية خصـوصية، بينـما صرح الـدكتور القس فهيم عزيز بأنّ بولس أخذ معه إلى العربية حصيلة كبيرة من أفكار المسيحيين ليعرف وليدرس وليتأمل(١).

وعلى كلٍّ فقد كان رجوع شاول بولس إلى أورشليم بعد ثلاث سنوات من إيمانه المفاجىء، غيّر خلالها اسمه، وأحكم فيها خطته لإفساد دين المسيح عليه السلام، بوضع قواعد وأسس الدين الجديد.

(١) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٣٦.

دخول شاول بولس إلى أورشليم ومحاولة قتله فيها

بعد غياب بولس في العربية فترة ثلاث سنين[1] ـ كثر خلالها تشتت الحواريين وتـلاميذ المسيح عليه السلام خارج أورشليم على أيدي اليهود والرومان ـ ذهب إلى أورشليم[2] ظانّـاً أنّ الجـو الديني الأورشليمي سيكون مناسباً لعرض أفكاره وأسس دينه، وهذا هو السفَر الأول إلى أرشليم، وفيها التقى ببطرس ويعقوب أخي الربّ[3]، وعرض عليهما تعاليمه التي أهمها وأخطرها:

أولاً : أنّ بولس رسول يوحى إليه ورسالته عالمية.

وثانياً : أن المسيح عيسى هو ابن الله، وهو الله نفسه الذي صُلِب تكفيراً عن خطايا البشر.

وثالثا : أنّ المسيح عيسى ابن مريم هو نفسه المسيح المبشَّر به في الكتب المقدسةالذي يظهر آخر الزمان.

ورابعاً : أنّ الخـلاص والنجـاة عند الله يكون بالإيمان بما سبق دون الالتزام بأعمال الناموس؛ لأنّ المسيح نفسه أبطل جميع أحكام التوراة.

ويظهر أنّ شاول بولس لم يلق استجابة من بطرس ويعقوب أخي الرب ولا من أحدٍ من التلاميذ طيلة الخمسة عشر يوماً التي قضاها في ضيافة بطرس، وتعرض لمحاولة قتل في أورشليم أيضاً، ربما كانت على أيدي بعض التلاميذ الذين استنكروا دعوته ولم

(١) ما بين سنتي ٣٥-٣٧م كما في قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٨.

(٢) سنة ٣٧م.

(٣) انظر: رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١/ ١٧-٢٤.

يصـدقوا رسالته[1] ، وكيف يصدقونه وهم يعرفون جيداً ماضيه الأسود ضدهم من جهة، ولم تكن قصته الغريبة على طريق دمشق المصاحِبة لادّعائه عالمية رسالته كافية لإقناعهم من جهة ثانية، فعندها فرَّ بولس من أورشليم مسرعاً خوفاً على روحه قاصداً قيصرية فطرسوس، ففي سفر أعمال الرسل ٩/ ٢٦ و٢٩ و٣٠ «٢٦ - ولمّا جاء شاولُ إلى أورشليم حاول أنْ يلتصق بالتلاميذ. وكان الجميعُ يخافونه غيرَ مصدِّقين أنّه تلميذ(٢٩) وكان يخاطِب ويباحِث اليونانيين فحاولوا أن يقتلوه(٣٠) فلمّا علِم الإخوةُ أَحدروه إلى قَيْصريّة وأرسلوه إلى طرسوس».

ولكنْ شاول بولس زعم أنّه إنما خرج من أورشليم بأمر الربّ الذي اختاره رسولاً للأمم البعيدة، فهـو يقـول حسبما في سفر أعمال الرسل ٢٢/ ١٧ و١٨ و٢١ «١٧ - وحدَث لي بعدما رجعتُ إلى أورشليم وكنتُ أصلّي في الهيكل أنّي حصلتُ في غَيْبَةٍ (١٨) فرأيتُه قائلاً لي: أسرعْ واخرجْ عاجلاً من أورشليم لأنّهم لا يَقبلون شهادتك عني (٢١) فقال لي: اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيداً».

ومن هنا نلمح دهاء بولس، فقد فسّر ما كان يقع له من أحداث مزعجة تفسيراً يخدم دعوته الجديدة، فبينما أسند السفر التاسع خروج بولس من أورشليم إلى إجماع الإخوة دون الإشارة إلى أمر الربّ، أسند بولس ذلك الخروج إلى أمر الرب وحده دون الإشارة لرأي الإخوة في ذلك، ولا شكّ أنّ هذا تناقض فاحش وخلل يصعب رتقه، وعلى كل حال فقد وجد ملجأً في طرسوس مسقط رأسه.[2]

(١) (٢) في طبعة العهد الجديد للاتين ص ٥٧٧: «فرحّله التلاميذُ إلى وطنه طرسوس».

سفر شاول بولس إلى أنطاكية سورية

في أثناء سفره من أورشليم إلى قيصريّة فطرسوس كان بولس يدعو لدينه الجديد بحرارة بالغة، وقد تأثر به بعض الأشخاص من الوثنيين، وبخاصة أنّ تربيته السابقة ومعرفته بأحوال الأمم المحيطة به صارت نافعة له في دعوته، يضاف إلى ذلك معرفته التامة بالكتب المقدسة وتعاليم الحاخامين والتقاليد اليهودية. تقول أليزا افرت: «وكل معرفته بمباحثاتهم المدققة لم تذهب سدى؛ لأنه بتلك الواسطة عرف كل أوجه مجادلات اليهود، ومن كتبهم المقدسة كان يبرهن لهم أنّ يسوع الناصريّ هو ابن الله»[1].

ولما سمع التلاميذ في أورشليم القدس أنّ بولس مازال جادّا في نشر تعاليمه المخالفة لتعاليم عيسى عليه السلام أرسلوا بَرْنابا القبرصي - وجزيرة قبرص قريبة من طرسوس - ليتبين حقيقة الخبر ويكشف لهم عن هذا الأمر، وفيما يلي نص فقرتي سفر أعمال الرسل ١١/٢٢ و٢٥ «٢٢ - فسُمِع الخبرُ عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم فأرسلوا بَرْنابا لكي يجتاز إلى أنطاكِيَة(٢٥) ثم خرج بَرْنابا إلى طرسوس ليطلب شاولَ. ولّما وجده جاء به إلى أنطاكِيَة».

وكان بَرْنابا مرسَلاً من التلاميذ في أورشليم ليتحقق الخبر في أمر بولس وتعاليمه، لكن سفر أعمال الرسل أظهر موافقة بَرْنابا التامّة لِما يقوله بولس وكأنهما على منهاج واحد، ففيه ١١/٢٦ «فحدَث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً. ودُعِيَ التلاميذُ مسيحيين في أنطاكِيَة أوّلاً».

وفيه ١٣/٤٣ «ولّما انفضّت الجماعةُ تَبِع كثيرون من اليهود والدُّخلاء المتعبِّدين بولسَ وبَرْنابا اللذيْن كانا يكلّمانهم ويقنعانهم أنْ يثبتوا في نعمة الله».

---

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣١.

وكذلك فعلت الكاتبة أليزا أفرت في كتابها[1] حيث أوحتْ باقتناع بَرْنابا برسالة شاول بولس وعمله معه في الدعوة الجديدة بكمال رضا الخاطر، وعلى كل حال فقد مكث شاول بولس في طرسوس وأنطاكية سورية ما بين عامي ٣٧ ـ ٤٤م.[2]

ومن فقرة سفر أعمال الرسل ١١/٢٦ «ودُعِيَ التلاميذُ مسيحيين في أَنطاكِيَة أوّلاً» نفهم أنّ أتباع المسيح عليه السلام في فلسطين لم يكن يطلق عليهم اسم (مسيحيين)، بل هم حواريون وتلاميذ ومؤمنون، وأنّ هذا الإطلاق اختُرع فيما بعد في كنيسة أنطاكيةالسورية التي كان معظم أتباعها من الوثنيين، وإنني على يقين بأنّ بولس هو الذي اخترع هذا الاسم ليميّز أتباعَ دينه الجديد المؤمنين بأفكاره، عن أتباع دين عيسى المؤمنين ببشريته ورسالته، غير أنّ شارل جنيبير رجّح أنّ هذا الاسم أطلقه الوثنيون في أنطاكية على أتباع كنيستها، فهو يقول في حديثه عن كنيسة أنطاكية: «ويبدو لنا أنّ صفة (المسيحيين) التي أُطلقت حينئذ لأول مرة على أعضاء هذه الكنيسة من جانب المشركين، تدل على أنّ عامة الناس في المدينة ميّزوا تمييزاً واضحاً بينهم وبين الطائفة اليهودية الأصيلة، ومن المرجح أيضاً أنهم افترقوا سريعاً عن هذه الطائفة بتشكيلهم جماعات مستقلة ذاتياً».[3]

---

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٤١.

(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٨.

(٣) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٩٠، وانظر طبعة العهد الجديد للاتين ص ٥٧٧.

رحلة بولس الدعوية الأولى وبرفقته بَرْنَابا[١]

ثار اضـطهادٌ عظيم على بولس في أنطاكِيَة سورية من وجوه المدينة والمتعبِّدين فيها، فخرج منها وبرفقته بَرْنابا إلى سلوقية ثم إلى سلاميس وبافوس في جزيرة قبرص، ثم إلى بلاد الأناضول، فأتيا إلى بَرْجة بَمفيليّة وأَنطاكية بيسيديّة، وفي يوم السبت ألقى بولس خطبة في مجمع اليهود في هذه المدينة.

خطبة شاول بولس في المجمع اليهودي في أنطاكية بيسيديّة:

هذه الخطبة مذكورة في سفر أعمال الرسل ١٣/١٥-٤١، وقد ركز فيها بولس على أنّ نبيَّ الخلاص الموعود به في الكتب المقدسة والذي سيظهر في آخر الزمان قد ظهر، وهو عيسى المسيح ابن مريم المسمى يسوع الناصري، الذي هو الربّ المنجي، وهو ابن الله الوحيد الذي صلبه اليهود ومات، ودفن في القبر ثم أقامه الله من الأموات، وهذا المخلِّص والمسيح المنتظَر هو من نسل داود عليه السلام، وأنّ بشارات الكتب السـابقة عن المَسيّا المنتظَر تنطبق عليه، لا على غيره[٢]، وأنّ مَن آمن بهذه الأفكار خلص ونجا ونال غفران الخطايا، وأنّ النجاة لا تكون بطاعة الناموس الموسوي بل بالإيمان بما سبق ذكره. فيسوع المسيح هو المَسِيّا المبشَّر به في الكتب المقدسة الذي ينتظره العالم لا غيره.[٣]

يقول ول ديورانت في حديثه عن بولس: «وكان الجو اليوناني الذي يحيط به في طرسـوس يتحـدث عن منقذ ينتشل البشرية، كما كانت علوم بني جنسه من اليهود تتحـدث عن حياة (مسيح) منتظر، ولِمَ لا يكون يسوع صاحب الشخصية العجيبة

(١) انظر: سفر أعمال الرسل ١٣/٤-٥٢ و ١٤/١، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٩٨، وأجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٩٠-١٠٠.
(٢) لاحظ حقد بولس على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المبشَّر به في الكتب السابقة.
(٣) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٦٨-٧٢.

الغامضة الفتانة الذي لا يتردّد الناس في استقبال الموت من أجله، هو ذلك المسيح المنتظَر؟»[١].

وقد أغفل سفر أعمال الرسل دور بَرْنابا في مجمع أنطاكية، ولا شكَّ أنّه إغفال مقصود، فلَمْ يُشِرْ إلى معارضته ولا إلى موافقته لبولس، وكذلك فعل كتّاب قاموس الكتـاب المقدس[٢]، لكن الكاتبة اليزا افرت أعطت بَرْنابا دوراً لا يتلاءم مع وحي الرسالة المزعومة لبولس، فقالت: «وفُرِض على بَرْنابا أنْ يعرّف شاول بشغله»[٣].

وكيف يعرّف بَرْنابا شاولَ بشغله، وهو الذي احتجّ لصحة أفكاره التي بثها في المجمع بقوله: «لأنْ هكذا أَوْصانا الربُّ. قد أقمتُك نوراً للأمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض»[٤].

ولكن هذا الاحتجاج لم يمنع من ثوران الاضطهاد ضدّ بولس مرة أخرى في أنطاكِيَة بيسيديّة حتى اضطر لمغادرتها.[٥]

الاستمرار في الرحلة الأولى:

خرج بولس وبَـرْنابا مكرهينْ من أَنطاكِيَة بيسيديّة وتوجّها إلى إيقُونِيَة، ولما ثار أهلها ضدهما وقرروا رجمهما هربا إلى مدينة لِسْترة.[٦]

وفي لِسْترة أيضاً ثار الناس ضد بولس ولم يَنجُ من الرجم هذه المرة، فقد رُجم

---

(١) انظر: قصة الحضارة ٢٥٣/١١.
(٢) انظر: ص ١٩٧.
(٣) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣٩
(٤) انظر: سفر أعمال الرسل ٤٧/١٣.
(٥) انظر: سفر أعمال الرسل ٥٠/١٣-٥١.
(٦) انظر: سفر أعمال الرسل ١/١٤-٦.

حتى ظنَّ الناسُ أنّه مات، وجرّوه خارج المدينة[1]، وفي اليوم الثاني هرب وبرفقته بَرْنابا إلى دَرْبة، ولم يطل مكوثهما فيها، وقفلا راجعيْن بنفس الطريق إلى أَنطاكِيَة سورية، بعد غيابهما عنها حوالي أربع سنوات من سنة ٤٥ ـ ٤٩م، وكانت هذه الرحلة الأولى لبولس مقتصرة على بعض مدن آسيا الصغرى، ولم يجتزها إلى أوروبا.

(١) انظر: سفر أعمال الرسل ١٤/١٩.

المجمع الأورشليمي والمسألة الصعبة (الختان)[1]

في أثنـاء غياب بولس عن أنـطاكِيَة سورية، كان بعض التـلاميذ ـ وبخاصة القادمون من فلسطين ـ يعلّمون بوجوب طاعة الناموس الموسوي على الداخلين في دين المسيح عليه السلام، والالتزام بجميع أحكامه؛ كمسألة الختان وأكْل اللحوم الطاهرة وشرائع الغسل والذبائح، ففي سفر أعمال الرسل ١٥/١ «وانحدر قومٌ من اليهودية وجعلوا يعلّمون الإخوةَ أنّه إنْ لم تَخْتَتِنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلُصوا».

وهذا يدلّنا على أنّ تيار المعارضة لتعاليم بولس كان قويّاً في أنطاكِيَة وسائر المدن الرومانية، فضلاً عن أورشليم وسائر مدن فلسطين.

فلمّا رجـع بولس من سفـره وعَلِم ما يُعلِّمه التلاميذ في أَنطاكِيَة غضب غضباً شديداً؛ لأن تعليمهم ينقض تعليمه من أساسه، فهو يُعلِّم ويُشَدِّد بعدم التزام المؤمنين بالمسيح بشرائع الناموس الموسوي وعلى رأسها الختان، فالختان في نظره علامة الخضوع لتوراة موسى لا للإنجيل الجديد، وهنا قرر بولس الذهاب إلى أورشليم؛ لفصل مسألة الختان مع الحواريين، وكان صعوده إلى أورشليم هذه المرة أشدّ اعتباراً مما جاء بسببه قَبْلًا، فقدِم إلى أورشليم أواخر سنة ٤٩م، وكان قد تنصّر سنة ٣٥م، فكان قدومه إلى أورشليم هذه المرة بعد ١٤ سنة من تنصّره، وكان هذا القدوم بالاجتهاد لا بالوحي، ففي سفر أعمال الرسل ١٥/٢ «فلمّا حصل لبولس وبَرْنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رَتّبـوا أنْ يصعـد بولس وبَـرْنـابا وأُناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة».

---

(١) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٠٣-١١٤، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٩٨.

لكن بولس من أجْل أنْ يُكسب تعاليمه اعتباراً أكثر من تعاليم معارضيه زعم أنْ صعوده هذا إلى أورشليم كان بأمر الله، ليناقشهم في قضية الختان، وليَعرض عليهم بالانفراد إنجيله الذي اؤتمن عليه، وقد ذكر ذلك في رسالته إلى أهل غلاطية ٢/١-١٠. وأقتطف بعض الفقرات منها «١ - ثمّ بَعْدَ أربعَ عشرةَ سنةً صعِدتُ أيضاً إلى أورشليم مع بَرْنـابـا آخـذاً معي تِيطُس أيضـاً(٢) وإنـما صعِـدتُ بمـوجب إعلان[1] وعَرضتُ عليهم الإنجيلَ الذي أَكْرِزُ به بين الأمم ولكنْ بالانفراد على المعتَبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعَيتُ باطلاً(٤) ولكنْ بسبب الإخوةِ الكذَبةِ المُدْخَلين خُفْية الذين دخلوا اختلاسا ليتجسسوا حُرّيتنا التي لنا في المسيح كي يَستعبدونا(٥) الذين لم نُذعن لهم بالخضوع ولا ساعةً ليبقى عندكم حق الإنجيل(٧) بل بالعكس إذْ رأَوْا أني اؤتمنتُ على إنجيل الغُرْلَةِ كما بطرسُ على إنجيل الختان(٨) فإنّ الذي عَمِل في بطرسَ لرسالة الختان عَمِل فيَّ أيضاً للأمم». [2]

وفي شرح يوسف العلم للفقرات السابقة [3] يظهر الاضطراب والتناقض في الأفكار، وعدم انسجام المعاني، وأقتطف من شرحه العبارات التالية: «يعني أنّ صعوده إلى أورشليم كان عن وحي إلهي. . . . لأنّ الرسل الكذَبة أخصامه كانوا يقولون عليه: إنّ تعليمه مغاير تعليم باقي الرسل من وجه أنّه كان يعلّم بين الشعوب ببطلان الشريعة القديمة خلافا للرسل مثل بطرس ويعقوب ويوحنا، فأراد أنْ يَعرِض تعليمه وبشارته على هؤلاء ليظهر أنّه موافق لهم في تعليمه وغير مغاير لهم في شيء وأنّ قول الأخصام كاذب. . . وكان قصدهم أنْ يوجبوا على المؤمنين حفظ رسوم الشريعة القديمة التي ألغـاهـا المسيح وأعتق المؤمنين من عبوديتها. . . ولم نوافق هؤلاء الإخوة الكذبة على غرضهم ولا ساعة واحدة، وذلك لنقيم عليهم الحجة، ويتحقق عندهم أننا قد أُعتقنا

---

(١) في طبعة اللاتين (بوحي)، وفي طبعة سنة ١٨٢٣م (بوحي أُوحي إليّ)، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م (كما أُوحي إليّ).

(٢) نص الفقرة (٨) في طبعة اللاتين كما يلي: (لأنّ الذي أيّد بطرسَ في رسالته لدى المختونين أيدني في رسالتي لدى الوثنيين).

(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٤٤ - ٣٤٨.

بالإنجيل من الشريعة . . . إنّ الرسل لم يغيّروا شيئاً من تعليمه لأنّهم وجدوه مطابقاً لتعليمهم . . . اعلم أنّ الشريعة القديمة صار إلغاؤها عند إذاعة الشريعة الجديدة يوم العنصرة . . . وتبعْنا إيمانَ المسيح لعلْمِنا أنه لا يتبرر أحد بأعمال الناموس بل بالإيمان بيسوع المسيح ؛ لأنّ كلَّ الذين تبرروا مثل إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم قد تبرروا بالإيمان بالمسيح لا بأعمال الناموس».

ووضوح التناقض في الأفكار السابقة يغنيني عن التعليق، وأكتفي بالقول: إنّ زيارة بولس لأورشليم هذه المرة كانت للتباحث في مسألة مهمة جدّاً وخطيرة غاية الخطورة وهي :

هل يجب على المؤمنين بالمسيح إطاعة ما رُتّب من ختان وغسلات وأصوام وذبائح وأعياد وسائر الطقوس التي في الشريعة الموسوية؟

فمن أجل ذلك حضر بولس وبَرْنابا وتيطس اليوناني إلى أورشليم، واتصل بولس خُفْية بيعقوب وبطرس ويوحنا، وتعينّ موعد الاجتماع المشهور في تاريخ الكنيسة باسم (مجمع الكنيسة المسيحية الأول).

ماذا حصل في المجمع الأورشليمى [١]:

أولاً : بدأ بطرس الكلام على حسب ما في سفر أعمال الرسل ١٥/٦-١١، وأكتفي بنقل الفقرة العاشرة وهي كالخلاصة لرأيه ونصها: «فالآن لماذا تجرّبون اللهَ بوضعِ نيرٍ على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أنْ نحمله».

---

(١) انظر: سفر أعمال الرسل ١٥/٤-٢٩، وأجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١١٢.

وكـاتب سفـر الأعـمال يوحي بهذه الفقرة موافقة بطرس لرأي بولس في نسْخ الشرائع التوراتية وأنّه سمّاها نيراً يصعب حمله.

ثانياً : **ثم قام يعقوب الصدّيق**[1] على حسب سفر أعمال الرسل ١٥/١٣-٢١، فتكلم محاولاً أنْ يأتي بحكم وسط بين بولس ومعارضيه، وهذا الحكم هو رأيه فقط، وليس له صفة الوحي بدليل قوله في الفقرتين التاسعة عشرة والعشرين، وهما كالخلاصة لكلامه ونصهما: «١٩ ـ لذلك أنا أرى أنْ لا يُثقَّل على الراجعين إلى الله من الأمم (٢٠) بل يُرسَل إليهم أنْ يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم».

وهذا الرأي من يعقوب الصدّيق كما ترى هو موافق لرأي بولس أيضاً في نَسْخ الشرائع التوراتية العملية جميعها وعلى رأسها الختان، وأمّا الاقتصار على تحريم الأربعة المذكورة فهو أمر سلبي؛ لأنّ الفطرة السليمة نفسها تأبى الزنا وأكل ما ذُبح للصنم والمخنوق والدم، ثم نسخها بولس فيما بعد بفتوى الإباحة العامّة، وبذلك تحرر أتباع بولس من طاعة الشريعة الموسوية العملية جملة وتفصيلاً.

ثالثاً: انعقد الإجماع على النسْخ على حسب ما في سفر الأعمال ١٥/٢٢-٢٩، فإن الكاتب صرّح بموافقة حُضّار المجمع على رأي يعقوب الصدّيق وحُكْمه الوسيط بين بولس ومعـارضيه، وهكـذا انتهت المسألة الصعبة بهذا «الحكْم العادل المصيب المقنـع»[2]، وكتب الجميع كتـابـاً إلى الأمم في أنـطاكِيَة وسورية وكِيليكيّة دوّنوا فيه مصادقتهم على هذا «الحكْم العادل الوسيط»، وأرسلوا الكتاب مع يهوذا بَرْسابا وسِيلا المرافقيْن لبولس وبَرْنابا، وخلاصته في الفقرتين ٢٨ و٢٩ ونصهما كما يلي: «٢٨ـ لأنه قد رأى الروحُ القدسُ ونحن أنْ لا نضع عليكم ثِقْلاً أكثرَ غيرَ هذه الأشياء الواجبة (٢٩)

---

(١) أمّا يعقوب أخو يوحنا فقتله هيرودس على حسب سفر الأعمال ١٢/٢.
(٢) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١١٤.

أنْ تمتنعوا عمّا ذُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إنْ حفظتم أنفسكم منها فنعمّا تفعلون».

فأخـذ الأربعةُ (بولس وبَرْنابا ورفيقاهما يهوذا بَرْسابا وسِيلا) الكتاب المتضمن تأييد بولس في نسْخ الختان وسائر شرائع التوراة باستثناء المحرمات الأربعة، وساروا إلى أنطاكية لتبليغ قرار المجمع الأورشليمي الخطير.

نقد المجمع الأورشليمي :

هذا المجمع مشكوك فيه وعليه عدة انتقادات:

الأول : أنّ كاتب سفر الأعمال لم يذكر من حُضّار هذا المجمع سوى الأربعة (بطرس ويعقوب وبولس وبَرنابا)، فهل يكون حزب المعارضة لبولس متمثلاً في بطرس ويعقوب؟ وكان بولس قد التقى بهما سرّاً على انفراد قبْل المجمع على حسب ما في رسالته إلى أهل غلاطية ٢ / ٢ ، علماً أنّ ذِكْر اسم واحد من المعارضين مفيد جدّاً في هذا المقام.

والثاني : أنّ دور بولس وبَرنابا في هذا المجمع كان مغفَلاً تماماً، وهو أمر غير معقول؛ لأنّ بولس جاء من أنطاكية إلى أورشليم خصيصاً لحضور هذا المجمع وإبداء رأيه فيه، وبـولس نفسـه سبب المشـاكل والخلافات التي حصلت حول قضية الختان والطقوس التوراتية، فلا يُعقل سكوته هكذا؛ وهو موقف سلبي مغاير لما عُرف عن بولس من جرأة ونشاط في الدعوة، وإصرار على المبدأ، وتركيز على نسْخ جميع الأحكام العملية للتوراة.

والثالث: أنه لم يذكر من أقوال المعارضين لبولس قولاً واحداً، ولا بيّن لهم حُجّة، ولم يذكر شيئاً من المناقشات والمداولات التي جرت في هذا المجمع سوى عبارات يسيرة لبطرس ويعقوب، وهما حسب ما يفهم من سفر أعمال الرسل من مؤيدي بولس لا من معارضيه، غير أنّ يعقوب كان أقلّ تطرفاً من بولس وبطرس.

والرابع : أنّه من المحتمل جدّاً أنّ ما نُسب إلى هذا المجمع من قرارات خطيرة اتخذت فيما بعد، بجلوس الأربعة في بيت صغير دون حضور أحد من المعارضين، بل من المحتمل أيضاً أن الكلامينْ المنسوبينْ إلى بطرس ويعقوب مزوران، أو زُوِّرت بعض فقراتهما لتكون نافعة لدعوى بولس، وما المانع أنْ يكون ادّعاء حصول المجمع مزوَّراً أيضاً؟ وبخاصة أنّ مصدر المعلومات الوحيد في هذا الأمر الخطير هو سفر الأعمال الذي إمّا أنْ يكون كاتبه لوقا تلميذ بولس، وإمّا أنْ يكون كاتبه بولس نفسه ونسبه لتلميذه، ألا ترى كيف أوحى الكاتب بموافقة جميع الرسل والمشايخ بسرعة ودون تردّد على ما ورد في كلام يعقوب الصدّيق وإذعانهم لنسخ الشريعة الموسوية؟

والواقع أنّه لا يوجد دليل على موافقة الرسل والمشايخ على ذلك، وإلا لماذا بقي التلاميذُ وأتباعُ المسيح في أشد أنواع الاضطهاد؟ وموافقتهم لو حصلت كافية لرفع الاضطهاد عنهم، والحال أنه لم يُرفع.

والخامس : أنّ بولس في رسالته إلى أهل غلاطِيّة ٢ / ١١-٢١ ذمَّ بطرس وبَرْنابا ذمّاً كثيراً صريحاً بسبب تمسكهما بالناموس، علماً أنّ بطرس هو الذي خطب أولاً في المجمع مطالباً بعدم وضع نيرِ الشريعة على عنق التلاميذ على حسب ما في سفر أعمال الرسل ١٥ / ١٠، وهو بهذا يمثل جبهة التأييد المطلق لأفكار بولس، فلماذا يكون نصيبه من بولس الذمّ والتحقير؟! إذن ما نُسب إليه من كلام في هذا المجمع أو المجمع نفسه محل الشكّ.

وكذلك بَرْنابا كان رفيق بولس في أسفاره ووسيطه عند الحواريين والتلاميذ الشاكّين فيه على حسب ما في سفر الأعمال ٩ / ٢٧، أفهذا جزاء الإحسان إليه؟!

ويلاحظ هنا أنّ رسالة بولس إلى أهل غلاطية كتبت ما بين سنتي ٥٦ ـ ٥٧م في أَفَسُس، وكان انعقاد المجمع الأورشليمي سنة ٤٩م قبل كتابة رسالة غلاطِيّة بأكثر من ستة أعوام، فيكون بولس قد شهد برسالته الغلاطيّة على تمسك بطرس وبَرْنابا في آخر

حياتهما بأحكام التوراة العملية وطقوسها، وأنهما ليسا على مذهبه، وهذه الشهادة تتضمن كذب ما نُسب إلى بطرس من أقوال في المجمع المذكور، بل كذب ادّعاء حصول المجمع أساساً، ولو كان حصوله واقعاً لاحتجّ بولس في ذمّه لبطرس بأقواله في المجمع، ولكن رسالته إلى غَلاطِية لا تروي شيئاً من ذلك.

والسادس: أنّ ما جرى في هذا المجمع لم يذكره بولس في رسائله إطلاقاً، عِلْماً أنه أَكْثَرَ الشكوى من معارضيه الذين يوجبون الإلتزام بأحكام الشريعة الموسوية، وحذّر منهم أتباعَه تحذيراً شديداً، وشواهد ذلك كثيرة في رسائله، فكان الأحرى به أنْ يستشهِد بما جرى في هذا المجمع لتأييد رأيه ضد خصومه، وأنْ يَقْرِن شَكْواه منهم وتحذيراته لأتباعه بالإشارة لهذا المجمع ولو مرة واحدة لتكون نافعة لدعواه، ولكنه لم يفعل ذلك في جميع رسائله عِلْماً أنه عاش أكثر من خمسة عشر عاماً بعد عام ٤٩م التي انعقد فيها هذا المجمع المزعوم، وكتب خلالها ثلاث عشرة رسالة، فهل نسي بولس هذا المجمع وما جرى فيه أمْ أنّ لوقا ذكر أحداثاً خيالية توهمها ولم تقع؟

مشاجرة بولس وبَرْنابا وافتراقهما

على حسب ما في سفر الأعمال ١٥ / ٣٠-٣٥ فإنّ بولس وبَرْنابا ورفيقيْهما يهوذا وسِيلا انطلقوا جميعاً حاملين رسالة المجمع الأورشليمي إلى أنطاكِيَة في سورية، ونصّ الفقرة ٣٥ كما يلي: «أما بولس وبَرْنابا فأقاما في أنطاكِيَة يعلّمان ويبشّران مع آخرين كثيرين أيضاً بكلمة الربّ».

ولكن صفاء الجو بينهما لم يدمْ سوى أيام قلائل وأنشب الخلاف بينهما أظفاره، وعلى حسب ما في سفر الأعمال ١٥/٣٦-٤١، كان سبب خلافهما بخصوص يوحنا مرقس، فرأى خالُه بَرْنابا أنْ يأخذاه معهما في سفرهما للدعوة، ورأى بولس أنْ لا يرافقهما في سفرهما، فتشاجرا وافترقا فراقاً لا لقاء بعده، وأكتفي بنقل الفقرات ٣٩ و٤٠ و٤١ ونصها كما يلي: «٣٩ - فحصل بينهما مشاجرةٌ حتى فارق أحدُهما الآخر. وبَرْنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرس(٤٠) وأمّا بولس فاختار سِيلا وخرج مستودَعاً من الإخوة إلى نعمة الله(٤١) فاجتاز في سوريّة وكِيليكيّة يُشدّد الكنائس».

وهو كما ترى سبب غير مقنع ولا موجب للافتراق، بل هو مخترَع من كاتب سفر الأعمال في محاولة لإخفاء السبب الحقيقي للخلاف والافتراق، ولن يكون هذا السبب غير قضيّة الختان وسائر أحكام الشريعة الموسوية، ألا ترى أنّ ذِكْر شجار بولس وبَرْنابا وافتراقهما مذكور بعد ذكر رسالة المجمع الأورشليمي في نفس الأصحاح الخامس عشر من سفر الأعمال؟ وهو يدل على أنّ خلافهما نشأ فور وصولهما إلى أنطاكِيَة، عندما بدأ بولس ينسخ أحكام التوراة علناً غير مقيم وزْناً لتعاليم الحواريين والتلاميذ ومنهم بَرْنابا، ويلاحظ هنا تعصب كاتب سفر الأعمال لبولس ضد برنابا، فقال إنّ بَرْنابا سافر إلى قبرس، وأمّا بولس فخرج مستودَعاً من الإخوةِ إلى نعمة الله ليشدّد الكنائس، ولا يخفى ما فيه من تحقير وتهوين لشأن بَرْنابا.

وأُذكّر القارىء هنا بأهمية بَرْنابا بين التلاميذ، إذْ وقع منهم عليه وحده الاختيار في السابق لملاحقة بولس في رحلاته وإتيانهم بحقيقة أمره ودعوته، ولكن كاتب سفر الأعمال أغفل دور بَرْنابا من البداية، ولئن كان يمكن التسامح في ذلك، فلا يمكن التسامح في مسألة إغفال دوره في المجمع الأورشليمي، إذْ لم يُشرْ له بكلمة واحدة لا بالتصريح ولا بالتلميح، ولا بالموافقة ولا بالمعارضة، وعلى فرض صحة انعقاد المجمع الأورشليمي واتخاذه قرار قصر المحرمات على أربعة ـ وهو فرض بعيد جدّاً ـ فالأغلب أنْ يكون بَرْنابا لم يطّلع على ذلك القرار الخطير، ولم يكن على علم بها في كتاب المجمع المذكور، وإني أرجّح أنّ المجمع وقراره كليهما مزوَّران، وأنّ بَرْنابا ضلّل بولس ودعوته وتعاليمه الجريئة في أنطاكِيَة سوريا، فتشاجرا وافترقا لهذا السبب، ألا ترى أنّ بولس في رسالتـه إلى أهل غَلاطِيَّة (٢/١١ـ٢١) صبّ جام غضبه واحتقاره لبطرس وبَرْنابا، وذمهما بالاسم الصريح لا بالتلميح، وحجته في ذلك تمسّكهما بأعمال الناموس؟ عِلماً أنهما كانا نصيريْه الوحيديْن في أورشليم على حسب ما في سفر أعمال الرسل ٩/٢٧ و١٥/١٠، ولكنْ لأنهما ليسا على مذهبه ولم يوافقاه في منهجه، نالهما من الذم والتحقير ماصرح به، وأكتفي بنقل آخر فقرة من الأصحاح الثاني من رسالته إلى أهل غَلاطِيّة يبرر فيها سبب هجومه عليهما، فقال في الفقرة ٢١ «لأنّه إنْ كان بالناموس برٌّ فالمسيحُ إذاً مات بلا سبب».

وقد وافق المفسرون بولس على هذا الذم والتحقير[1]، وحاولت الكاتبة اليزا افرت أنْ تبرره وأنْ تهوِّن من أمر افتراق بولس وبَرْنابا وأسباب ذلك فقالت: «أمّا بولس فكان متّقِد الطباع، قليل الصبر، سريع الغضب، وبَرْنابا كان قَبْلًا رئيساً في أنبياء أنطاكِيَةَ، وبولس أخاً، وأمّا حينئذ فبولس رئيس الجميع»[2].

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ليوسف العلم ص ٣٤٧ـ٣٥١.
(٢) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٢٥.

وواضح أنّه اعتذار لا يغيّر شيئاً من السبب الجوهري للخلاف وحقيقته، كما أنّه عذر غير مقبول؛ لأن كتّاب القاموس[1] صرَّحوا أنّ هذا الفراق كان سنة ٥٠م، فيكون بولس قد جاوز الأربعين من عمره، وصرحوا أيضاً[2] بأنّ كتابة بولس رسالته إلى أهل غَلاطِيّة كان ما بين سنتي ٥٦- ٥٧م، أي بعد المجمع الأورشليمي بأكثر من ست سنين، مما يدل على أنّ بطرس وبَرْنابا كان آخر أمرهما التمسك بالناموس وتشريعاته بشهادة بولس لهما، وهذا التمسّك عينه هو سبب ذمّه لهما، وهو أيضاً عينه سبب مشاجرته لبرنابا وافتراقهما، ويُفهم ذلك السبب بكل وضوح من رسالة بولس إلى أهل غَلاطِيّة ٢/١-١٣، ففيها التصريح بتمسّك بَرْنابا بالختان.

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٨.
(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٩.

رحلة شاول بولس الدعوية الثانية وبرفقته سِيلا[1]

بعـد مشاجرة بولس وبَرْنابا وافتراقهما في أنطاكِيَة سوريّا، خرج بولس وبرفقته سِيلا واتجها من أنطاكية إلى طرسوس ثم إلى دَرْبة ثم إلى لِسْترة، وفي لِسْترة التقى بولس بتيموثاوس الذي هو من أُمٍّ يهودية وأبٍ يوناني، فختنه بولس[2] على حسب ما في سفر أعمال الرسل ١٦/١-٣، ثم واصل سفره إلى إيقُونِيَة وأنطاكِية بيسيديّة، وفريجيّة، وكورة غَلاطِيّة، وميسِيّا، حتى وصل إلى تَرُوَاس على الأرخبيل (الدردنيل وبحر إيجه)، ثم بدأ سفره إلى أوروبا، فأقلع من تَرُواس إلى ساموثْراكي ونِيابُوليس ثم إلى فِيلبّي التي هي أول مدينة في مقاطعة مَكدونيّة، وهي: كُولونيّة.

وفي مدينة فِيلبّي سُجن بولس وسِيلا، وضُربا بالعصي بسبب إحداثهما بلبلة في المـدينـة، وبعـد خروجهـما من السجن سافـرا إلى تَسـالُونيكي مارّيْن في أمْفِيبوليس وأبولُونيّة، ولمّا وصلا إلى تَسالُونيكي بدأ بولس بنشر أفكاره وتعاليمه، فهاج الناسُ عليهما فاختبآ في بيت ياسون، وفي الليل هربا إلى بيريّة، ولمّا وصلاها حدث أيضاً هياج ضد بولس، فهرب بولس وحده إلى أثينا، تاركاً سِيلا وتِيموثاوس في بِيريّة.

شاول بولس في أثينا:[3]

في أثينا رأى بولس صنمها الكبير نبتون (إله البحر)، ورأى كثرة الآلهة الوثنية المنتشرة في كل مكان منها ـ حتى كان يقال: إنّ لقاء إله في أثينا أسهل من لقاء إنسان ـ، وفيها التقى بالفلاسفة الذين يقدّسون الأوثان، ثم أُخذ بولس للمحاكمة في أريوس

---

(١) انظر: سفر أعمال الرسل ١٦/١-٤٠ و ١٧/١-٣٤.

(٢) ليس من تفسير لهذا العمل غير أنّ بولس ـ ناسخ الختان للأمم ـ ما زال يهودياً متمسكاً بتعاليم التوراة ويطبقها على نفسه وعلى بني قومه اليهود، وأنّ عِداءه الظاهري للشريعة الموسوية إنما هو من قبيل: الغاية تبرر الوسيلة، وهو عِداء صورى لتحقيق مآرب يرجوها في إفساد دين المسيح عليه السلام، ونسْخُ الختان للأمم في دينه الجديد لا يضر قومه اليهود.

(٣) انظر: الأصحاح ١٧ من سفر أعمال الرسل.

باغوس أي (تل إله الحرب) أو (تل القاهر)، وكان هذا المحل للحكم والقضاء، وتحت مجلس القضاة في فتحة في الصخرة رسم الآلهة الثلاثة المنتقمات. تقول الكاتبة أليزا أفرت عن بولس: «ورأى على واحد من المذابح عنواناً مكتوباً لإله مجهول، بناه الشعب المتوسوس حذراً من أنْ يكونوا قد غفلوا عن إله واحد غير معروف عندهم وتركوه بدون عبادة وتكريم، مثل عيد جميع القديسين عند بعض طوائف النصارى وعلى هذا بنى خطابه النفيس»[1].

ولكن الأثينيين قابلواخطابه فيهم بالاستهزاء والسخرية، فلم يكمل خطابه، ولم يسمعوا لوعظه، فسافر إلى كورنثوس.

شاول بولس في كورنثوس وطريق عودته[2]:

وصل بولس إلى مدينة كورنثوس الواقعة غربي أثينا، وفيها ضاف عند يهودي بُنْطِيّ الجنس، اسمه أكِيلا، واسم امرأته برِيسْكِلاّ، وهما من إيطاليا، وكان حاكم روما قد طردهما، فسكنا في كورنثوس، وعندهما أقام بولس، ثم لحقه سِيلا وتيموثاوس، وبقي الجميع في كورنثوس سنة ونصف السنة، ثم شُكيَ على بولس، فخرج منها مسرعاً باتجاه كَنْخِريا، وهي ميناء كورنثوس على بعد ١٠ كم شرقي المدينة[3]، وفيها حلق رأسه لأنه كان عليه نذر ديني خصوصي نذره[4]، وكان قد طال شعره كثيراً.

دخول شاول بولس إلى أورشليم سرّا:

ومن كَنْخِريا ركب بولس إلى أفسس، ومنها إلى قيصريّة فأورشليم حيث حضر فيها أعمال العيد اليهودي، ففي سفر أعمال الرسل ١٨/٢١ «بل ودّعهم قائلاً: ينبغي على كل حالٍ أنْ أعمل العيدَ القادم في أورشليم».

---

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٧٥.

(٢) انظر: الأصحاح الثامن عشر من سفر الأعمال.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٧.

(٤) انظر: سفر أعمال الرسل ١٨/١٨، وهو دليل على تمسكه بالطقوس اليهودية.

تقول الكاتبة اليزا افرت[1]: «ولا ذكر لما حدث له في أورشليم سواء كان من مواجهة سائر الرسل أو من المباحثات عن أمور دينه . . . وربما كان سبب هذا السكوت عما يختص بزيارته هذه هو عدم وقوع حادثة تتعلق بعمله بين الأمم. قيل فقط: إنه سلّم على الكنيسة وانحدر إلى أنطاكِيَة».

قلت: صرح نفسه بوجوب حضوره العيد في أورشليم، وكان عليه نذر ديني يهودي خصوصي، فحلق شعره الطويل قبل سفره إلى أورشليم، وأسرع بالعودة إليها لكي يصلها قبل مضي أيام الذبيحة الواجبة بعد الحلاقة، وكل ذلك دليل على تمسكه بالطقوس اليهودية، فبالجزم يكون قد دخل أورشليم متخفياً وعمل الطقوس اليهودية فيها سرّاً، ولم يظهر فيها للحواريين والتلاميذ، والأغلب أنْ يكون قَدّم للمجمع اليهودي (السنهدريم) في أورشليم، تقريراً وافياً عن عمله في إفساد دين المسيح عليه السلام، وإغرائه الأمم بالدخول في دينه الجديد.

وبعد خروج بولس من أورشليم عاد إلى أنطاكِيَة مُنْهِياً بذلك رحلته الثانية في الدعوة للدين الجديد، والتي استغرقت ما بين عامي **٥١ ـ ٥٣م**.

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٢٠١.

رحلة شاول بولس الدعوية الثالثة[1]

بدأت رحلة بولس الدعوية الثالثة بنفس الطريق الذي سلكه في رحلته الثانية، حيث خرج من أنطاكِيَة سوريّة إلى مدن كورة غَلاطِيّة وفريجيّة، ثم إلى مدينة أَفسُس، وهي من المدن الكبيرة في آسيا الصغرى، وفيها هياكل وثنية للإله زفس، وفي خارجها بُني هيكـل عظيم للإلـه أرطاميس، وكان أهل أَفَسُس مجمعين على عبادة الأصنام، فوعظهم بولس ثلاث سنين [2]، ولم ينجح في اجتذابهم لدينه، بل هاج الناس عليه، حتى اضطروه لمغادرة مدينتهم، فخرج منها باتجاه مَكدُونِيّة، وجال في عدة مدن حتى وصل إلى مِيليتُس، فبعث واستدعى أتباعه في أَفَسُس وخطب فيهم خطبة[3] تكلم فيها عن نفسه كثيراً، ثم حذرهم من اتّباع أي تعليم آخر، فقال: «٢٩ ـ لأنّي أعلم هذا أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئابٌ خاطفة لا تُشفِق على الرعية(٣٠) ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور مُلْتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم».

ثم ودّع أتباعه في مِيليتُس، وسافر بحراً حتى وصل إلى قيصريّة ثم سافر إلى أورشليم.

---

(١) انظر: سفر أعمال الرسل ١٩/١ـ٤١ و ٢٠/١ـ٣٨.

(٢) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٢١١، وقاموس الكتاب المقدس ص ١٩٩.

(٣) انظر: خطبته في سفر أعمال الرسل ٢٠/١٧ـ٣٨.

وصول شاول بولس الى أورشليم ومحاكمته فيها[1]

عندما رجع بولس من رحلته الدعوية الثالثة ووصل إلى أورشليم سنة ٥٨م، سمع بوصوله اليهود وأنه مازال مصرّاً على نشر أفكاره وتعاليمه بنسْخ الختان وسائر طقوس التوراة، فثارت ضده ضجة كبيرة وحدثت بلبلة عظيمة، فأراد بولس أنْ يثبت لهم أنه مازال يهوديّاً متمسكاً بالناموس ملتزماً بطقوسه متعصباً ليهوديته، وأنّ قوله بنسْخ أحكام التوراة العملية إنما هو لغاية في نفسه خفيتْ على كثيرين من اليهود، ولا يستطيع هو أنْ يصرح بها علناً، ألا وهي محاربة عيسى عليه السلام وتعليماته، وتشويهها عند الأمم غير اليهود، فلمّا حان موعد الحلْق والذبح حلَق رأسه وقدّم ذبائح على سنّة اليهود، وقد حاولت الكاتبة اليزا افرت أنْ تعتذر عن عمل بولس ذاك فقالت: «وكان في المدينة أربعة من اليهود المتنصّرين، كان عليهم نذر[2] بحسب ناموس موسى (انظر فصل ٣٠) فيجب على هؤلاء إذا حان وقت نذرهم أنْ يقدّموا الذبيحة المعتادة التي يطلبها الناموس، فإذا طهّر بولس نفسه معهم وذهب معهم إلى الهيكل ودفع عنهم نفقة الذبيحة التي تُقدَّم في نهاية النذر يكون عمله هذا تكذيباً لما تُهِم به، لأنه بذلك يشاركهم في نذرهم ويُظهِر بحفظه طقساً من الناموس أنه يَعتبِر الناموس ولا يحتقره، وبعمله هذا لا يسلّم بأنه يجب على الأمم أنْ يعملوا مثله لأنهم عرفوا من حُكْم المجمع السابق أنه ليس عليهم حفظ شيء مثل هذا، وأنّ بولس نفسه لمّا كان عليه نذر في سفره السابق أراد أنْ يعمل مثل ذلك بقصد منع الفتن والمشاكل.

وفي الغد أخذ بولس الرجال وتطهّر معهم وذهب معهم إلى الهيكل، واشترى الحيوانات للذبيحة وأخبر الكاهن بأنّ أيام نذرهم قد تمّت وأنه اشترى الحيوانات،

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٩، وسفر أعمال الرسل الأصحاحات ٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤.

(٢) انظر: سفر أعمال الرسل ٢١/٢٣.

وقصده أنْ يشاركهم في نذرهم بانتظاره إلى حين تقديم الذبيحة، وحلق شعره وحرقه على المذبح[1]».

إلا أنّ ذلك النَّذْر وتلك الذبائح التي قدّمها لم تقنع بعض اليهود، وربما وصفوه بالنفاق والتقلّب، وعلى حسب فقرة سفر أعمال الرسل ٢١/٢٧، فإنّ اليهود القادمين إلى الهيكل من آسيا، أهاجوا ضده الجموع، حتى قبضوا عليه بتهمة محاربة الناموس الموسوي وتدنيس الهيكل، وضربوه ضرباً شديداً بقصد إزهاق روحه، ولم ينقذ حياته من بين أيديهم سوى أمير العسكر المتمركزين في الحصن الملاصق للهيكل، ويسمى حصن أنطونيوس[2]، فقد حجز الناس عنه، وقيّده بسلسلتين، وساقه إلى المعسكر، وبينما هو يصعد الدرج طلب من أمير العسكر - كلوديوس ليسياس - السماح له أنْ يخطب في الجمهور الهائج الذي يتبعه، فأذن له[3]، فخطب بالعبرانية، وبدأ الحديث عن نفسه، ثم برأ نفسه من التهمة الأساسية وهي: أنه في كل مكان تكلم ضد اليهود وضد ناموسهم المقدس، فكان من جملة دفاعه عن نفسه:

(الأول) أنه ولد يهودياً وتعلم العلْم اليهودي في أورشليم عند رِجلَيْ غمالائيل وكان غيوراً.

(الثاني) أنه لم يكن في كلامه شيء يدل على احتقار الناموس والهيكل، نعم: إنه بعد أنْ كان عدوّاً للمسيح والمسيحيين صار مبشّراً بالمسيح، ولكنه مع ذلك أكرم الناموس والهيكل، وكان اضطهاده للمسيحيين لظنه أنهم مخالفو الناموس، وكان ذهابه إلى دمشق للقبض عليهم كل ذلك لخدمة الناموس، ولكنْ حصل ما حصل معه وهو ذاهب إلى دمشق فضرب بالعمى بواسطة ظهور يسوع الناصري، فعَرف أنّ يسوع هو

---

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٢٧٩-٢٨٠.

(٢) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٢٨٤.

(٣) انظر: سفر أعمال الرسل ٢١/٢٧-٤٠.

المسيح ابن الله، وفي دمشق رُدّ له بصره بوساطة رجل تقي حسب الناموس، وأخبره أنه يجب عليه أنْ يشهد إلى كل الناس بما رأى وسمع، فقام واعتمد باسم الربّ.

وهنا علَتْ أصوات الجمهور الثائر وأبكموا بولس على الدرج فلم يكمل خطبته، وطرحوا ثيابهم ونشروا الغبار في الجو، فأمر الوالي ليسياس أنْ يأخذوه إلى المعسكر ويجلدوه، ولما ادّعى بولس أنه روماني حلّوه من قيوده ولم يضربوه، وفوّض الأمير محاكمته إلى مجمع اليهود في أورشليم(١).

بولس أمام مجمع اليهود في أورشليم(٢):

أرسل أميرُ المعسكر بولسَ إلى مجلس اليهود القانوني بحراسة جنود الرومان، فأمر حنانيًا - رئيسُ الكهنة - بضرب بولس على فمه فضربوه، فتلوّن بولس حسب اقتضاء المقام، وأكتفي بنقل فقرات سفر أعمال الرسل ٢٣/٦-٨ «٦- ولمّا علِم بولسُ أنّ قسْماً منهم صَدّوقيون والآخر فرّيسيّون صرخ في المجمع أيها الرجال الإخوة: أنا فَرّيسيّ ابن فرّيسي. على رجاءِ قيامةِ الأمواتِ أنا أُحاكَم (٧) ولمّا قال هذا حدثتْ منازعةٌ بين الفرّيسيين والصدّوقيين وانشقتِ الجماعةُ(٨) لأنَّ الصدّوقيين يقولون إنه ليس قيامةٌ ولا مَلاَكٌ ولا روحٌ. وأما الفرّيسيون فيُقرّون بكل ذلك».

فانظر كيف نادى بولس بأنه مضطَهَد بسبب محاماته عن مذهب الفرّيسيين وعقيدتهم في القيامة، ولكن هذا التلوّن وإنْ أعجب الفرّيسيين الذين هم حزبه، غير أنه لم يعجب الصدّوقيين، بل زادت المنازعة، وتعرض بولس لمحاولة قتل إمّا من الصدّوقيين، وإما من بعض التلاميذ المؤمنين، ففي سفر أعمال الرسل ٢٣/ ١٠ و١٢ و١٣ «١٠- ولمّا حدثت منازعة كثيرة اختشى الأميرُ أنْ يَفْسخوا بولسَ فأمر العسكرَ أنْ

---

(١) انظر خطبته والحوادث السابقة في: سفر أعمال الرسل ٢٢/١-٣٠.
(٢) انظر: سفر أعمال الرسل ٢٣/١-٣٥.

ينزلوا ويختطفوه من وَسْطهم ويأتوا به إلى المعسكر(١٢) ولمّا صار النهار صنع بعض اليهود اتفاقاً وحَرَموا أنفسهم قائلين إنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس(١٣) وكان الذين صنعوا هذا التحالف أكثر من أربعين».

سجن شاول بولس في قيصرية:

ولمّا علم أميرُ العسكر بانشقاق المجمع اليهودي في أمر بولس ومحاولة قتله، أرسله مع الجنود إلى فِيلِكْس والي قيصريّة[1]، وكانت زوجته دُرُوسلاّ يهودية، فاحتفظ ببولس مسجوناً عنده في قيصريّة سنتين كاملتين، ثم أُتي بحاكم جديد لقيصريّة اسمه فَسْتُوس، فجاء أغريباس ملك خلكس (وهي البلاد الواقعة شرقي أنطاكية ونهر العاصي) إلى قيصريّة لتهنئة فستوس بالولاية، فسمع ببولس ودعوته، فرغب في رؤيته والسماع له، فجيء ببولس أمام فستوس وأغريباس وأذن له بالكلام[2]، فبرأ نفسه من تهمة الهرطقة ضد الناموس اليهودي، وذكر أنه قد عاش فرّيسيّاً حافظاً للناموس بالتدقيق، وأنه لم يخالف اليهود إلا في قوله: إنّ الوعد العظيم لليهود من الله قد تمّ وكمل بعيسى، فيسوع الناصريّ هو المسيح الموعود لا آخر غيره[3]، بينمايعتقد كل اليهود أنه سيأتي وقت يتِمُّ فيه ذلك الوعد العظيم، ثم شرح بولس اضطهاده للمؤمنين بعيسى وما حصل معه في طريقه إلى دمشق، وأنّ المسيح أرسله رسولاً للأمم، وهنا لم يستطع الوالي فَسْتُوس الصبر فعارضه حسبما في سفر أعمال الرسل ٢٦/ ٢٤ «وبينما هو يحتج بهذا قال فَسْتُوسُ بصوت عظيم: أنت تَهذي يا بولس. الكتبُ الكثيرة تحوّلك إلى الهذيان».

---

(١) كانت مدينة كبيرة في العهدالروماني، تقع على البحر الأبيض المتوسط على بعد ٧٠ كم جنوبي عكا و ٧٥ كم شمال غربي أورشليم، جدد بناءها هيرودس الكبير سنة ١٠ ق.م وسماها قيصرية إكراماً لأوغسطس قيصر، وهي الآن غير عامرة. (قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٥).

(٢) انظر: سفر أعمال الرسل ٢٦/١-٢٣.

(٣) انظر كيف يحارب محمداً صلى الله عليه وسلم بمحاولته نفْي ظهور نبي موعود به بعد عيسى عليه السلام، وذلك مذكور في سفر أعمال الرسل ٢٦/٦-٨، وانظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣١١.

ثم اتفق الواليان فَسْتوس وأَغرِيباس على إرسال بولس إلى روما؛ ليحاكَم عند أُغسطس قَيْصر، فأُرسِل في سفينة ذاهبة إلى إيطاليا، فوصلها في سنة ٦١م[١].

وصول شاول بولس إلى روما:

وصل بولس إلى روما فجُعِل عليه حرس في سجن خاص، وبعد ثلاثة أيام سُمِح له بالاجتماع بيهود روما، فألقى فيه خطبة[٢] أكتفي بنقل فقرتين منها، يفهم من الأولى تعصبه لجنس اليهود ودينهم ضد أي دين آخر ولو كان دين عيسى المسيح الذي هو أصلاً من بني إسرائيل، ويفهم من الثانية محاربته لمحمد صلى الله عليه وسلم، وإنكاره النبوّة بعد عيسى الذي هو بزعمه نبي الخلاص الموعوه به، ونص الفقرتين كما يلي:

«٢٠ـ فلهذا السبب طلبتُكم لأراكم وأُكلِّمَكُم لأني من أجل رجاء إسرائيل مُوْثَق بهذه السلسلة(٢٨) فليكنْ معلوماً عندكم أنّ خلاصَ الله[٣] قد أُرسِل إلى الأمم وهم سيسمعون».

وقد تأخرتْ محاكمة بولس في روما سنتين، وعند هذا الحد من سيرته انتهى سفر أعمال الرسل.

وأنقل آخر فقرتين منه وهما من الأصحاح ٢٨ / ٣٠ـ٣١ «٣٠ـ وأقام بولسُ سنتين كاملتين في بيتٍ استأجره لنفسه. وكان يَقْبلُ جميعَ الذين يَدخلون إليه(٣١) كَارِزاً بملكوتِ الله ومُعلِّماً بأمرِ الربِّ يسوعَ المسيحِ بكلّ مجاهرةٍ بلا مانع».

ومن الذي يمنعه من نشر تعاليمه في روما النائية عن فلسطين، والبعيدة عن أعين التلاميذ والحواريين؟!

---

(١) انظر: سفر أعمال الرسل الأصحاحين ٢٧ و٢٨، وانظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٩.

(٢) انظر خطبته في: سفر أعمال الرسل ٢٨ / ١٧ـ٢٩.

(٣) يقصد أنّ النبي الموعود به في الكتب المقدسة قد ظهر، وهو يسوع الناصري عيسى المسيح، ولا نبي بعده.

تقول الكاتبة أليزا افرت: «ونعلم جيداً أنّ بولس لم يذهب إلى رومية قبل ذلك الوقت، ولا يوجد سبب للظن بأنّ رسولاً آخر بشّر هناك؛ لأنّ بولس كان يحرص على أنْ لا يبني على أساس لآخر»[1].

وبهذا نلاحظ أنّ بولس كان مستقلاً بتعاليمه، متميزاً فيها عن غيره، ولا يحبّ أنْ يبشّر بها في مكان بشّر فيه أحد قبله، ولا أنْ يأتي أحد يبشّر في مكانه، خشية انكشاف زيف تعاليمه، وتفرّقِ أتباعه، فكان يبشر في مناطق ليس فيها معلّمون مخلِصون من تلاميذ المسيح، ولعل هذا هو سرّ تبشيره الدائم في بلاد الوثنيين اليونان والرومان، ونفوره من التبشير في فلسطين، وتحذيره الشديد لأتباعه من قبول أي تعليم مخالف لتعليمه، بل إنه في رسالته إلى أهل غَلاطِيّة ١/٨-٩ أعلن الحرمان واللعنة على كلِ مَن يخالفه في التعليم.

هل ذهب شاول بولس إلى اسبانيا؟ وما هي نهايته[2]؟

بقي بولس مسجوناً في رومية سنتين، ثم أُطلق سراحه وربما كان ذلك بتأثير زوجة الامبراطور نيرون اليهودية، وقد اختلف في وقت موته:

فذهب بعضهم إلى أنه أُعدِم في نهاية مدة حبسه في روما ولم يذهب إلى اسبانيا، ورجح هذا الرأي القديس توما وسوتوس والبابا جلاسيوس.

وذهب بعضهم إلى أنه أُطلق من حبسه في روما، فذهب إلى اسبانيا، ثم أعدم بعد عودته منها، ورجح هذا الرأي الحجري وتيريني.

وكانت المدة من إطلاقه إلى إعدامه - على حسب الرأي الثاني - خمس سنين، يُظنّ أنه زار فيها آسيا الصغرى ومكدونية، ثم تأهب للسفر إلى اسبانيا، ويُظنّ أنه ركب البحر من أفسس في غرب آسيا الصغرى إلى مرسيليا بجنوب فرنسا، ثم إلى اسبانيا.

---

(١) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣٤٤.

(٢) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣٤٤-٣٥١، وتيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٢٢، وطبعة العهد الجديد للاتين ص ٥٧٨.

وفي أثناء غيابه هذا عن روما حدث حريقها الهائل الذي دمرها، ويَنسِب بعض المؤرخين هذا الحريق إلى نيرون نفسه؛ ليلقي التهمة على المسيحيين ويضطهدهم.

بقي بولس في اسبانيا حوالي السنتين، ثم قفل راجعاً إلى المدن اليونانية، وقضى فصلَ شتاءٍ في مدينة نيكوبوليس في شمال غرب اليونان، ومنها أُخذ إلى روما للمحاكمة مرة ثانية بسبب أنّ نيرون كان يَضطهِد كل من يقول عن نفسه إنه من أتباع عيسى عليه السلام، فلم يستطع حاكم نيكوبوليس التستر عليه، ولمّا وصل إلى روما حُكِم عليه بقطع رأسه، فضُرب عنقه خارج المدينة على طريق اوستيا ميناء رومية، وربما كان سبب نجاته من الصلب أو الطرح للوحوش هو أنه يحمل الجنسية الرومانية[1]. وكانت وفاته سنة ٦٩م على حسب اختيار يوسف العلم[2]، واختار كتّاب القاموس[3] أنها سنة ٦٧ أو ٦٨م، وأنّ إطلاقه من أسرِه الأول في روما كان سنة ٦٣ أو ٦٤م، وبهذا كان عمره عند وفاته حوالي ٥٨ عاماً، وعلى الرأي القائل إنّ ميلاده كان سنة ١٠م، وابتداء دعوته كان ما بين عامي ٣٥ ـ ٤٠م، فتكون مدة دعوته لدينه ما بين ٢٨ـ٣٣سنة.

هذه هي سيرة بولس الذي يَعُدّه ملايين المسيحيين اليوم معلّماً ومرشداً ورسولاً عظيماً.

ملاحظة جديرة بالانتباه :

إنّ سفر أعمال الرسل الذي لا يوجد مصدر آخر غيره لسيرة شاول بولس انتهى بالأصحاح الثامن والعشرين، وآخر فقرتين منه تحدثتا عن إقامة بولس في روما سنتين، فلو كان لوقا هو كاتب سفر الأعمال لكان أكمل لنا تاريخ حياة بولس وما حصل معه بعد ذلك؟ وهل سُمِح له بالسفر لإسبانيا ثم أُعدم بعد رجوعه؟ أم أنه لم يُسمح له بالسفر لإسبانيا وأُعدم قبل مغادرته روما؟

---

(١) انظر: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣٥٠، وطبعة اللاتين ص ٥٧٨.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٢٢.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٩، وطبعة اللاتين ص ٥٧٨ و٥٨٢.

وقد بررت الكاتبة اليزا افرت هذا النقص في سفر الأعمال بقولها[1]: «إلى هنا انتهى ما ذُكِر في سفر أعمال الرسل، ولم يستحسن الروحُ أن يَذكر خبر السنين الأخيرة من حياة بولس وموته».

كما حاول كتّاب قاموس الكتاب المقدس في ترجمتهم لسفر الأعمال أنْ يبرّروا هذا النقص أيضاً فقالوا[2]: «يعتقد الكثيرون أنّ سفر الأعمال كُتِب في ختام السنتين اللتين قضاهما بولس في روما أي حوالي سنة ٦٣ ميلادية، ويعتقد الكثيرون أنّ لوقا توقف هنا لأنّ قصده كان ليظهِر أنّ رسالة المسيح وصلت إلى أقصى الأرض، وأنها كانت قد وصلت إلى قلب عاصمة الامبراطورية، وها هو رسولها الأعظم ينادي بها في روما».

وهو كما ترى أيضاً تبرير لا يقبله العقل؛ لأنّ إتمام النقص في تاريخ حياة بولس لا ينفي القصد الذي كُتِب السفر لأجْله ولا يتناقض معه.

---

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٣٤٥.
(٢) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩.

الفصل الثاني

بولس واضع العقائد الأساسية للديانة النصرانية

تمهيـــد

كان المؤمنـون الأولـون من أتبـاع المسيح عليه السلام يستشهدون في أقوالهم بالتـوراة والإنجيل ويسمّونه (وحي الله)، وكانوا يتناقلون سيرة المسيح بالألسن، ولم يشعروا بضرورة تدوينها إلا بعد انقراض الحواريين والتلاميذ المعاصرين للمسيح عليه السـلام، ولم يكن هنـاك شيء مجموع اسمه العهد الجديد إلى نهاية القرن الميلادي الثاني، بينما كانت رسائل بولس مكتوبة قبل الأناجيل الأربعة المعروفة عند النصارى الآن، وقد أشار أتباع بولس إلى هذه الرسائل واستشهدوا بها في مؤلفاتهم منذ أول القرن الميلادي الثاني، ولمّا اشتد النزاع بينهم وبين الموحّدين أتباع الحواريين قام جماعة منهم بجمعها وتسميتها بالوثائق البولسية، وكانوا يحافظون على قراءتها عملاً بوصية بولس، فقد أوصى في رسالته الأولى إلى أهل تَسالونيكي ٥/٢٧ وفي رسالته إلى أهل كولوسي ٤/١٦ أن تقرأ رسائله في الكنائس التي تضمّ أتباعه، «فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنه أُقيمت من غير إبطاء مجموعة من هذه الرسائل، وأنها انتشرت انتشاراً واسعاً سريعاً؛ لِما كان للرسول من الشهرة، ومع ما كان لتلك النصوص من الشأن، فليس هناك قبْل أول القرن الثاني أي شهادة تثبت أنّ هذه النصوص كانت تُعَدّ أسفاراً مقدسة لها من الشأن ما للكتاب المقدس»[1].

وبهذا ترى أنه ليس المنكرون لبولس فقط، بل وأتباعه أيضاً لم يكونوا ينظرون إلى رسائله نظرتهم إلى الوحي السماوي المقدس، فليس لها صفة الإلزام، وإنما بدأت تأخذ تلك الصفة بالتدريج، وكانت بعد منتصف القرن الثاني قد برزت الحاجة إلى تكوين جدول رسمي للأسفار التي تَعدّها الكنيسة قانونية وملزمة، والشهيد يوستينوس هو أول مَن ذكر أنّ المسيحيين يَعُدّون ما يقرؤونه في اجتماعات الأحد مؤلّفات للرسل

(١) انظر مدخل طبعة العهد الجديد للاتين ص ٢.

أو لأشخاص يتصلون بالرسل، فأعطوها أثناء استعمالها أهمية ومنزلة كمنزلة الكتاب المقدس، وكان الإسراع بنسبتها إلى الرسل وإعطائها صفة القداسة والوحي لحمايتها من المؤلَّفات المشابهة لها في ظاهرها، ثم اختارت الكنيسة في أواخر القرن الثاني الأناجيل الأربعة وضمتها إلى سفر أعمال الرسل ورسائل بولس التي كانت قد جُمعت واشتهرت من قَبْل، وفيها قد أَطلق على التوراة وملحقاتها (في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس ١٤/٣) اسم: (العهد القديم)، ولم يكن هذا الاسم معروفاً قبله[1]، فأطلق أتباعه في نهاية القرن الثاني على رسائله وما ضُمّ إليها اسم (العهد الجديد)، وهذا الاسم أيضاً لم يكن معروفاً قبل ذلك، وصار هذا العهد الجديد هو القانون الذي تدين به الكنيسة، ودخلت فيه الأسفار تدريجيّاً الواحد تلو الآخر على حسب اختيار الكنيسة ولم يأخذ شكله النهائي إلا في القرن الرابع وبتطورات كثيرة ومعقدة، وقد ساهمت سلطة الكنيسة الرومانية في إدخال بعض الأسفار التي كانت مثار خلاف وجدل طويل رافق التطور في تأليف القانون بجملته. «أمّا رسائل بولس فيكاد أنْ يكون من الأكيد أنها لم تدخل إلى القانون الواحدة بعد الأخرى، بل إنّ مجموعتها أُدخلت إليه برمتها يوم أخذ يغلب في الكنيسة الرأي القائل بأنه لا بد من الحصول على قانون للعهد الجديد»[2].

ويرجَّح أنّ مرقيون الهرطوقي (المتوفى ١٦٠م) ساهم هو وفرقته المبتدعة إلى حد كبير في نشوء مبدأ قانون العهد الجديد، وذلك لأنه ينكر العهد القديم، وينبذه نبذاً تاماً، «فاحتاج أشد الحاجة إلى تزويد كنيسته بأسفار مقدسة، وبما يقتضيه ذلك من قانون جديد، وهكذا ساهم أتباع مرقيون إلى حد ما في نشر مبدأ القانون الجديد»[3].

---

(١) كان يطلق على التوراة والكتب الملحقة بها اسم الشريعة والأنبياء، لكنه قال في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١٤/٣ (بل أُغلِظَتْ أذهانهم لأنّه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غيرُ منكشفٍ الذي يُبْطَلُ في المسيح).

(٢) انظر: مدخل إلى العهد الجديد في طبعة اللاتين ص ٣.

(٣) المرجع السابق ص ٤.

وهكذا علا شأن كتابات بولس في رسائله، بسبب أنّ النسبة إلى الرسل تعطي ما ينسب إليهم صفة وأهميةخاصة، وبالتدريج اعترفت الكنائس بصفتها الإلزامية، ثم نشأ ما يسمى بقانون جديد للأسفار المقدسة، وهو الذي سمي فيما بعد بقانون العهد الجديد، وعلى نحو تدريجي اتضح الجدول التام لمحتويات هذا القانون، ما عدا رسائل بولس التي قُبلت وأُدخِلت جملة واحدة؛ لأنها كانت مكتوبة ومقروءة في الوقت الذي كان فيه التقليد الإنجيلي يُتناقَل بالألسن دون الكتابة، وما فازت الأناجيل بمنزلتها الرفيعة إلا بعد انتشار رسائل بولس واشتهارها، أي بعد اكتمال ما يُسمّى بقانون العهد الجديد الذي يضم الأناجيل الأربعة.

لقد كتب بولس ثلاث عشرة رسالة، دوّن فيها أسس الدين الجديد، والعقائد التي تبنّاها وجاهد لنشرها، وتذكر طبعة اللاتين[1] أنّ بولس كتب رسائل كثيرة، وصل منها ثلاث عشرة وفُقِد غيرها، وأنّ أول أثر مسيحي مكتوب وصل منها هي رسالته الأولى إلى أهل تَسالونيكي، فقد كتبها بولس قبل أنْ تدوّن الأناجيل الأربعة المعروفة عند النصارى الآن، وأطول رسائله كافة هي رسالته إلى أهل روما، وقد ركز فيها على مسألة هامة من مسائل الدين الجديد، وهي مسألة أنّ الخلاص يكون بالإيمان بصَلْب المسيح كفارة عن خطايا الناس.

وقد كتب بولس جميع رسائله باللغة اليونانية الدارجة في عصره، وبعبارة بليغة، لكن أسلوبه في الجدل أقرب إلى أسلوب علماء اليهود المتبحرين منه إلى أسلوب اليونانيين، وكانت عنده غيرة شديدة على عقائده، فدافع عنها بلهجة قاسية، فيوبخ مخالفيه ويتهكم عليهم، ويغضب ويستعمل العبارات اللاذعة ضدهم[2]، ويحذّر منهم تحذيراً كثيراً يدلّ على أنه كان مرتاباً وشاكّاً في ثبات أتباعه على تعاليمه الجديدة، والعقائد المبثقة منها.

(١) ، (٢) انظر: طبعة اللاتين للعهد الجديد ص ٥٧٩.

ويُجمِع المحققون من علماء النصارى قاطبة على أنّ رسائل بولس مرجع من أهم مراجع عقائد الديانة المسيحية، ولذلك اهتم بها الآباء القدامى أمثال يوحنا فم الذهب، والقديس اغوسطينوس وغيرهما، فكتبوا كتباً ضخمة في تفسيرها(١).

وكانت هذه الرسائل الثلاث عشرة قد أُدخِلت جملة في العهد الجديد واعتُبِرت قانونية، لكنْ لم يُراعَ في ترتيبها زمان كتابة كل منها، فجُعِلت رسالته إلى أهل روما أُولى الرسائل بعد سفر أعمال الرسل، فهي سادس أسفار العهد الجديد ترتيباً، وهي أيضاً سادسة رسائل بولس زمناً، لكنها تصدرت رسائل بولس جميعها لوجهين(٢):

أولهما: تضمّنها أخص عقائد الديانة المسيحية، وهي عقيدة موت المسيحِ ابنِ الله كفارة عن خطايا العالم الذي شَقِيَ بخطيئة آدم.

وثانيهما: كونها مرسلة إلى العاصمة روما، رأس العالم آنذاك.

وفي هذه الرسالة إبهام وإعجام كثير، بسبب الإيجاز والاختصار أحياناً، والإعراض عن الغرض أحياناً أخرى.

وفيما يلي جدول الترتيب الزمني لرسائل بولس(٣) حسب تواريخ كتابتها، وهي تواريخ ظنية:

١ ـ رسالته الأولى إلى أهل تَسالونيكي سنة ٥١م.
٢ ـ رسالته الثانية إلى أهل تَسالونيكي سنة ٥٢م.
٣ ـ رسالته إلى أهل غَلاطِيّة سنة ٥٤م.
٤ ـ رسالته الأولى إلى أهل كُورِنْثُوس سنة ٥٧م.
٥ ـ رسالته الثانية إلى أهل كُورِنْثُوس سنة ٥٧م.

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨٠.
(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١، وطبعة العهد الجديد للاتين ص ٥٨٥.
(٣) انظر: طبعة العهد الجديد للاتين ص ٥٨٠-٥٨١.

٦ ـ رسالته إلى أهل روما سنة ٥٨م .
٧ ـ ١٠ ـ رسائله (إلى أهل فيلِبّي وأهل كُولُوسيّ وأهل أَفَسُس وإلى فِليمُون) أثناء أسره في روما سنة ٦١ ـ ٦٣م .
١١-١٢ ـ رسالته الأولى إلى تِيمُوثَاوُس ورسالته الى تِيطُس سنة ٦٥م .
١٣ ـ رسالته الثانية إلى تِيمُوثَاوُس سنة ٦٧م .

وتُنسب إليه الرسالة إلى العبرانيين، ولكن الرأي الراجح عند المحققين عدم صحة نسبتها إليه لاعتبارات كثيرة لا مجال لتفصيلها هنا .

وأمّا جدول الترتيب الزمني لرسائل بولس في كتاب تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ليوسف العلم ص (لا) من المقدّمة فمختلف عن الجدول السابق، وكذلك جدول كتّاب قاموس الكتاب المقدس ص١٩٩ يختلف عنهما، وقد اعترفت الكاتبة أليزا افرت[١] بأن الحديث عن رسائل بولس وأماكن كتابتها على سبيل الظن، ولا يمكن تحقيق ذلك تماماً .

أمّا ترتيب رسائل بولس في أسفار العهد الجديد بعد الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل فكما يلي :
١ ـ رسالته إلى أهل روما .
٢ و ٣ ـ رسالتاه الأولى والثانية إلى أهل كُورِنْثُوس .
٤ ـ رسالته إلى أهل غَلاطِيّة .
٥ ـ رسالته إلى أهل أَفَسُس .
٦ ـ رسالته إلى أهل فِيلِبّي .

---

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٨٦-١٨٧ .

٧ ـ رسالته إلى أهل كُولُوسِّي.
٨و٩ ـ رسالتاه الأولى والثانية إلى أهل تَسالُونيكي.
١٠و١١ ـ رسالتاه الأولى والثانية إلى تِيمُوثَاوُس.
١٢ ـ رسالته إلى تِيطُس.
١٣ ـ رسالته إلى فِلِيمُون.

وتقسم رسائله الى مجموعات فيقال للرسائل الأربع الأولى (روما وكُورِنْثُوس وغَلاطِيّة) الرسائل الكبرى، لأنها طويلة، وأُرسلت إلى كنيسة مسيحية مشهورة.

ويقال للرسائل الثلاث التي بعدها (أَفَسُسَ وفيلبّي وكُولوسّي) رسائل الأسْر، لأنه كتبها عندما كان أسيراً في روما. ثم الرسالتان إلى تَسالُونيكي مستقلتان.

ويقال للرسائل الأربع الأخيرة (تِيمُوثَاوُس وتِيطُس وفِلِيمُون) الرسائل الرعائية، لأنها أُرسِلت إلى أفراد.

والنصارى الآن يَعُدّون جميع أسفار العهد الجديد وعلى رأسها رسائل بولس مكتوبة بالإلهام والوحي، ويعطونها صفة الإلزام والقداسة التي لا تكون إلا لكلام الله، ويَستشهِدون بفقراتها من هذا المنطلق، ولا يخلو تفسير من تفاسيرهم المعتَمَدة ولا كتاب من كتبهم المعتَبَرة من الإشارة إلى ذلك وتأييده، وأكتفي بما قالته الكاتبة أليزا افرت[1] في هذا المجال: «ثالثا: إنْ كانت تلك الرسالات مكاتيب فقط من سائح مسيحي إلى كنيسة مسيحية فكيف هي لنا رسائل ملهمة؟ وربما توهّم البعض أنّ شرف تلك الرسائل وقيمتها ينحطّان بكتابة بولس إياها وهو مسافر، ولكنْ ينبغي أنْ نذكر أنه سافر ليبشّر بإرشاد الروح القدس وكَتب ما كتبه بوحي الروح، وإذا كان ما تكلّم به إلى أهل تَسالُونيكي وهو في المدينة كلام الله لنا، فبالنتيجة ما كتبه بوحي الروح إلى أهل

(١) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٨٨.

تَسالُونيكي من مدينة ليست بعيدة عنهم هو أيضاً كلمة الله لنا، ويفيدنا أنْ نراجع إحدى تلك الرسائل ونتأمل فيها ملاحظين ما يظهر بها من لطف بولس وحنوه».

ولست هنا في معرض الردّ على ادّعاء إلهامية رسائل بولس ووحيه، ولكني أقول: إنّ الكاتبة جعلتْ دليل الإلهام والوحي هو لطف بولس وحنوه لا غير، وهو دليل ساقط في هذا المقام، ولا يحتجّ به، لكن النصارى لمّا رأوْا أنّ أسس العقائد عندهم ليس عليها أدلة إلا من كلام بولس ورسائله زاد حبهم وتقديسهم له ولرسائله، ورفعوها إلى منزلة الوحي السماوي، ولذلك ستكون هذه الرسائل البولسية هي مجال عملي في إثبات أنه هو واضع العقائد الأساسية للديانة النصرانية الحالية.

وسأعتمد من بين تفاسير رسائل بولس كتاب «تيسير الوسائل في تفسير الرسائل» للخوري يوسف العلم الماروني، أحد الكهنة اللبنانيين، وقد طبعه في بيروت بالمطبعة العمومية بنفقة جناب صديقه الخواجه رزق الله ميخائيل خضراء سنة ١٨٧٣م.

أمّا السبب الذي دعاني لاعتماد هذا التفسير دون غيره، فجوابه فيما كتبه مؤلفه بنفسه في المقدمة، وأقتطف منه بعض عباراته إذْ يقول: «أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى ربه وليّ الفضل والنِّعم ـ أحد الكهنة المرسَلين اللبنانيين الموارنة الخوري يوسف العلم ـ إني لمّا رأيتُ في تفسير الرسائل تيسيراً للوسائل إلى معرفة أصول الدين والعقائد... لأنّ هذه الرسائل هي خلاصة ما علّم به الرسل الكرام، وتذكرات ما وعظوا به المؤمنين من كل رتبة ومقام، ولا يخفى أنها من أكثر الأسفار الإلهية تداولاً، وأبعدها تناولاً، لأنها تُتلى كل يوم على المؤمنين، وما كلٌّ يفهم فحاويها ويدرك معانيها، فعلى ذلك جدّ بي الجد إلى أنْ أبذل ما يمكن من الجهد، في اقتطاف أطايب تفاسيرها وشروحها، وانتقاء خيار هذه الشروح ومليحها.... وهو أني جمعت عدة من مفسري الرسائل ممن برعوا في التفسير ونبغوا، وأدركوا حد الرغائب وبلغوا، وهم: كلمت، والحجري، وتيريني، ومرتيني، وبرنردينوس بيكونيوس، ويوحنا جركونيوس الذي اختصر تفسيري الحجري واستيوس، وغير هؤلاء ممن اختار طبع تفاسيرهم الأب مين

الفرنساوي في طبعه تفاسير الكتاب المقدس، بمشورة بعض العلماء سنة ١٨٦٣م، وجلست عند ذلك أتصفح أقوالهم ومذاهبهم، فأقطف من الأقوال أطيبها، ومن المذاهب أصوبها. . . . حتى إذا قرأت آية وتفسيرها وجدت التفسير وفيّاً سديداً، لا مخالفاً للمقصد الرسولي، ولا عنه بعيداً».

لذلك سأنقل ما يختص بالعقائد النصرانية من الرسائل البولسية، وأنقل شرحها أو شرح بعضها من هذا التفسير المسمى (تيسير الوسائل)، وهذا الشرح قد يطول أحياناً حسب اقتضاء المقام لإتمام الفائدة، فهو يبيّن التفاف المسيحيين حول عقائد بولس، ودفاعهم عنها، والتشبث بالسراب لإثباتها، ومحاولتهم ليّ النصوص لإيهام صحتها، هذا بالإضافة إلى أنّ هذه النقول يظهر منها بوضوح تخبّطهم العقلي، الذي لا يستقيم مع قواعد العلم، ولا مع بدائِه العقل، ولا مع صحيح النقل.

والآن بعد هذا التمهيد نأتي إلى بيان العقائد الأساسية في الديانة المسيحية المرتبطة ببولس، وكنت قد درستُ رسائله الثلاث عشرة، واستقصيت ما فيها من عقائد، ودرستُ تفسيرها من كتاب تيسير الوسائل في تفسير الرسائل للخوري يوسف العلم، فتوصلت إلى استخراج العقائد التالية:

١ ـ عقيدة رسالة بولس وعالميتها.

٢ ـ عقيدة بنوّة المسيح لله، ومساواته له في الجوهر والذات.

٣ ـ عقيدة ألوهيّة المسيح وربوبيته على الخلق أجمعين، لأنّ لاهوتَ الله كله حَلَّ في المسيح، والمسيح هو الذي سيدين الناس يوم القيامة.

٤ ـ عقيدة التثليث وأُلوهية الروح القدس، وانبثاقه من الآب والابن معاً، وقيامه بأعمال إلهية، واستحقاقه لأنْ يُعْبَد.

٥ ـ عقيدة صلب المسيح ابن الله للتكفير عن خطايا البشر الأصلية والفعلية، وللمصالحة بين الله والناس، وصيرورته بالصلب ملعوناً (وحاشاه)، ودخوله جهنم قبل صعوده إلى السماء.

٦ ـ عقيدة أنّ مواعيد الله لإبراهيم تحققت بنسل ابنه إسحاق لا بنسل ابنه إسماعيل، فيكون عيسى هو المبشّر به في الكتب السماوية وليس هو محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليماً كثيراً.

٧ ـ عقيدةأنّ المسيحيين أبناءُ الله، والله أبوهم، وحلول الله والروح القدس فيهم، واتحادهم بالمسيح، وأنّ المسيحيين قِدّيسون وسيدينون العالم والملائكة.

٨ ـ عقيدة أنّ التبرير والخلاص يكون بالإيمان دون الإلتزام بالناموس (أي أحكام شريعة توراة موسى) لأنّ الناموس يُقوّي الخطيئة، ولذلك نسخ بولس جميع أحكام التوراة العملية بما فيها الختان، وأصدر فتوى بالإباحة العامّة لجميع المحرمات.

٩ ـ عقيدة التعميد: الطقس والأسرار.

١٠ ـ عقيدة العشاء الرباني: الطقس والأسرار.

أثر الأسرار الوثنية في طَقْسَيْ التعميد والعشاء الرباني.

وفيما يلي التفصيـــل:

١ - عقيدة رسالة بولس وعالميّتها

هذه العقيدة مبثوثة في فقرات كثيرة من رسائل بولس الثلاث عشرة، ففي بعضها ذِكْر لرسالته فقط، وفي بعضها تصريح بعالمية رسالته، وفِرق النصارى جميعها بلا استثناء تعتقد أنه رسول العالمين. ولا يوجد مصدر آخر لهذه العقيدة سوى رسائله:

ففي الأصحاح الأول من رسالة بولس إلى أهل رومية ما يلي: «١ - بولسُ عبْدٌ ليسوعَ المسيحِ المدعوُّ رسولاً المُفْرَزُ لإنجيل الله(٥) الذي به لأجلِ اسمهِ قَبِلْنا نعمةً ورسالةً لإطاعة الإيمان في جميع الأمم(٨) أوّلاً أشكرُ إلهي بيسوعَ المسيحِ من جهةِ جميعِكم أنّ إيمانكم ينادَى به في كل العالم(١٣) ثم لستُ أُريدُ أن تجهلوا أيها الإخوةُ أنّني مراراً كثيرة قصدتُ أنْ آتي إليكم ومُنِعْتُ حتى الآن. ليكون لي ثَمَرٌ فيكم أيضاً كما في سائر الأمم(١٤) إنّي مديون لليونانيين والبرابرة للحُكماء والجُهَلاء(١٥) فهكذا ما هو لي مستعد لتبشيركم أنتم الذين في رومية أيضاً(١٦) لأني لست أستحي بإنجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن لليهودي أولاً ثم لليوناني».

ففي الفقرات السابقة نلاحظ أنّ بولس سمّى نفسه رسولاً، وأنه قَبِل الرسالة لجميع الأمم بلا فَرْق بيْن اليهود واليونانيين والبرابرة، ونص الفقرة الخامسة في طبعة اللاتين المطبوعة سنة ١٩٨٢م كما يلي: «٥- به نِلْنا النِّعمةَ لنكونَ رسولاً فَندعوَ جميعَ الأممِ الوثنيةِ أنْ تَدِينَ له بالإيمان».

أمّا نص الفقرة(١٥) في نسخة يوسف العلم المطبوعة سنة ١٨٧٣م كما يلي: «١٥- لأنّه يَجِبُ عليّ أنْ أُبشّر جميعَ الناس وهكذا أجتهدُ أنْ أُبشّركم أنتم الذين في رومية».

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية ١١/١٣ «فإني أقول لكم أيها الأمم: بما أَنّي أنا رسولٌ للأمم أُمَجِّدُ خِدْمتي».

وهي في نسخة يوسف العلم المطبوعة سنة ١٨٧٣م كما يلي: «من حيث كوني رسولاً إلى الأمم أمتدح وظيفتي».

وفي طبعة اللاتين سنة ١٩٨٢م «أنا رسول الوثنيين أُظهِر مجد رسالتي». ويلاحظ في هذه الطبعة أنّ ما ورد في معظم الطبعات بلفظ (الأمم) ورد فيها بلفظ (الوثنيين).

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية ١٥/١٥-١٦«١٥- ولكنْ بأكثرِ جسارةٍ كَتَبْتُ إليكم جزئيّاً أيها الإخوة كمذكِّرٍ لكم بسبب النعمة التي وُهِبتْ لي من الله(١٦) حتى أكونَ خادماً ليسوعَ المسيحِ لأجل الأمم مباشراً لإنجيل الله».

قال يوسف العلم في شرحه للفقرة ١٦ «هذا تفسير للنعمة التي أوتيها من الله، وهي نعمة الرسالة والتبشير بالإنجيل بين الأمم»[١].

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١/١ و١٧ «١- بولسُ المدعوُّ رسولاً ليسوعَ المسيحِ بمشيئة الله (١٧) لأنّ المسيحَ لم يُرسلْني لأُعمِّدَ بل لأُبشِّر».

يقـول يوسف العلم في تعليقـه على الفقرة الأولى[٢]: «قال تاوفيلكتوس: إنّ الرسول عرض في استهلاله بهجو الرسل الكذَبة حيث صرّح بأنه رسول مدعو من الله لا من قِبَل نفسه نظيرهم».

---

(١) انظر كتابه: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٢٠.
(٢) انظر كتابه: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٣١.

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٤/ ٩ «فإني أرى أنّ الله أبرزنا نحن الرسلَ آخِرين كأننا محكومٌ علينا بالموت».

ويذكر بولس في الأصحاح التاسع من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أدلة رسالته، ولنستمع لهذه الأدلة بفقراتها: «١- أَلستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حُرّاً. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. أَلستُم أنتم عملي في الربّ(٢)إنْ كنتُ لستُ رسولاً إلى آخرين فإنما أنا إليكم رسول لأنكم أنتم خَتْمُ رسالتي في الربّ(٣) هذا هو احتجاجي عند الذين يفحصونني».

ونص الفقرتين ٢و٣ في طبعة اللاتين كما يلي: «٢- وإني وإنْ لم أكن رسولاً عند غيركم فأنا رسول عندكم لأنكم أنتم خاتم رسالتي في الرب(٣) وهذا هو ردّي على الذين يخاصمونني».

ويلاحظُ أنها أدلة واهية، لا تَثْبتُ بها رسالته، ولا تقوم بها حجته، ولكن النصارى يؤمنون بها، ويفسرونها بالتصديق لا بالنقد والتدقيق، وهكذا شرحها يوسف العلم[1] فقد قال في شرح الفقرة الأولى:

«وأمّا كونه رسولاً فمن حيث إنه رأى المسيح وأُرسِل منه، فلم ينقصه شيء من شروط الرسالة، وأَيّد كلامه هذا بشاهد العمل بأنهم هم آمنوا على يده، وإنما تصدى لإثبات رسالته لأنّ بعضاً من الرسل الكاذبين والمنافقين كانوا ينكرونها».

ونص الفقرة الثالثة في تفسير يوسف العلم المطبوع سنة ١٨٧٣م كما يلي: «وهذا هو احتجاجي عند الذين يدينوني».

وتفسيرها عنده[2]: «أي وما برهنتُ به هنا على أني رسول أُبرهن به أيضاً للذين ينكرون رسالتي أو يبحثون عنها ويَرُومون أنْ يتحققوها».

(١) (٢) انظر كتابه: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٩١.

ثم عاد بولس لتأكيد رسالته في الأصحاح(١٥) من رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، ونص عباراته كما يلي: «٨- وآخِرَ الكُلِّ كأنّه للسِّقْطِ ظهر لي أنا(٩) لأنّي أَصْغَرُ الرسلِ أنا الذي لستُ أهلاً لأنْ أُدْعى رسولاً لأنّي اضطَهَدتُ كنيسةَ الله(١٠) ولكنْ بنعمةِ الله أنا ما أنا ونعمتُه المعطاةُ لي لم تكن باطلة بل أنا تعبتُ أكثرَ منهم جميعِهم. ولكنْ لا أنا بل نعمةُ الله التي معي».

قال يوسف العلم في تفسيره[1] : «أشار إلى ظهور المسيح له وهو منطلق إلى دمشق، وكان ذلك بعد صعود المسيح إلى السماء، ومنه يُستدلّ على أنّ الرسول نَظَرَ المسيحَ نظراً حسيّاً بعينيه. . . . أي ولكنْ بنعمة الله صرتُ رسولاً ومعلّماً للشعوب، ولم تكن لي هذه النعمة بدون ثمرة وعمل، لأني قد تعبتُ وعملتُ أكثر من سائر الرسل، على أنه ولا واحد منهم جال بلداناً وأصقاعاً كما جلْتُ، ولا بشّر شعوباً كثيرة كما بشّرتُ».

وقد افتتح بولس رسالته الثانية إلى أهل كُورنثوس ورسالته إلى أهل أَفَسُسَ ورسالته إلى أهل كُولُوسيّ ورسالته الثانية إلى تِيموثاوس بالعبارة التالية: «بولسُ رسولُ يسوعَ المسيحِ بمشيئة الله».

وبعبارة قريبة منها جدّاً افتتح رسالته الأولى إلى تيموثاوس، وهي كما يلي: «بولسُ رسولُ يسوعَ المسيحِ بحسَبِ أمرِ الله مخلِّصنا وربِّنا يسوعَ المسيحِ».

وكذلك مطلع رسالته إلى تيطس، ونص عبارته: «بولسُ عبدُ الله ورسولُ يسوعَ المسيحِ».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٤٩-٢٥٠.

وفي تفسير الافتتاحيات السابقة جميعها يؤكد يوسف العلم على أنّ رسالة بولس كانت من قِبَل الله وابنهِ يسوع، انطلاقاً من الفقرة الأولى التي افتتح بها بولس رسالته إلى أهل غَلاطيّة، وهي كما يلي:

«بولسُ رسولٌ لا مِنَ الناس ولا بإنسانٍ بل بيسوعَ المسيحِ واللهِ الآبِ».

ونصها في طبعة اللاتين كما يلي: «من بولس وهو رسول لا من قِبَل الناس ولا باختيار إنسان بل باختيار يسوع المسيح والله الآب».

وقد كتب يوسف العلم في شرحه لفقرة رسالة غَلاطِيّة ما يلي[1]: «يريد أنه أوتي الرسالة لا من الناس ولا على يدهم. . . بل من يسوع المسيح نفسه ومن الله الآب، وأنّ المسيح لـمّا دعاه إلى الرسالة لم يكن على الأرض بَعْدُ، بل كان قد قام وصعد إلى السماء، فعلى ذلك تكون دعوته أشرف من دعوة باقي الرسل؛ لأنهم دعاهم المسيحُ وهو على الأرض».

وقد ذكرت الكاتبة أليزا افرت[2] أدلة لإثبات رسالة بولس، وأنه مستقل فيها عن الحواريين والتلاميذ، وأرى نقل هذه الأدلة بنصها، فقد قالت في حديثها عن رسالته المكتوبة إلى أهل غَلاطيّة: «لهذه الرسالة موضوعان أصليّان:

أولاً : يبرهن لهم أنه رسول مستقلّ عن الاثنيْ عشر، ويقدّم لذلك خمسة أدلة:

١ ـ أنه قَبِل سلطانه على التبشير في رؤيا من يسوع المسيح (ص١/١و١١و١٢).

٢ ـ جُعِل رسولاً من دون استشارة شخص، ولم يذهب إلى أورشليم ليتعلّم بل انطلق إلى العربية (ص١/١٥ـ١٧).

---

(١) انظر كتابه: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٣٨.

(٢) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٢٣٩ـ٢٤٠.

٣ ـ لم يَر إلا التلميذيْن يعقوب وبطرس، وذلك في مدة خمسة عشر يوماً فقط، عندما زار أورشليم أوّلاً بعد استنارته، فلم يكن إفرازه للرسولية عن يد جميع التلاميذ ممكناً (ص١/١٨-١٩).

٤ ـ لمّا صعد إلى أورشليم إلى الاجتماع قَبله يعقوب وبطرس ويوحنا رسولاً للأمم(ص٢/١ و٧-١٠).

٥ ـ هو نفسه بسلطان رسوليّته وبّخ بطرسَ الرسولَ في أنطاكية (ص٢/١١-١٤).».

هذه هي أدلة أليزا افرت على رسالة بولس، وهي كما ترى أوهى من خيوط العنكبوت، ولا تصلح أنْ تسمّى أدلة؛ لأنها كلها مأخوذة من كلام بولس نفسه، فهو الخصم والحكم في آن واحد.

وفي الأصحاح الثالث من رسالته إلى أهل أَفَسُسَ عاد بولس للتأكيد على عالمية رسالته في الفقرات التسع الأولى، وليس غريباً على بولس ادّعاء الرسالة ولا عالميتها كما رأيتَ سابقاً، ولكنّه هنا ادّعى أنّ هذه العالمية هي السرّ الذي اختصّ به بولس دون سائر الرسل السابقين، فهو يقول في الفقرتين ٨و٩ من الأصحاح الثالث ما يلي: «٨ـ لي أنا أصغرَ جميعِ القدّيسين أُعطِيتْ هذه النعمة أنْ أُبشِّرَ بين الأمم بِغِنَى المسيح الذي لا يُستقْصَى(٩) وأُنيرَ الجميعَ في ما هو شركةُ السِرّ المكتومِ منذ الدهورِ في الله خالقِ الجميعِ بيسوعَ المسيحِ».

وورد في الفقرة التاسعة من طبعةاللاتين: «فأُبَيِّنَ تدبيرَ ذلك السرِّ بعدما بقي مكتوماً طوالَ الدهورِ في الله».

وأكتفي هنا بتعليق يوسف العلم على الفقرةالتاسعة كما يلي[1]: « أي ولكي

---

(١) انظر كتابه: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٩٩.

أكشِف للجميع ما كان في عقل الله منذ البدء من سرٍّ دعوة الشعوب إلى الإيمان، السرّ الذي كان خفياً على الناس ولم يتوضح للأنبياء».

وعاد بولس لتأكيد اختصاصه بسر العالمية في الأصحاح الأول من رسالته إلى أهل كولوسي فهو يقول: «٢٥- التي صِرْتُ أنا خادماً لها حَسَبَ تدبيرِ الله المُعطَى لي لأجلكم لتتْمِيم كلمـةِ الله(٢٦) السِرِّ المكتومِ منذ الدهور ومنذ الأجيال لكنّه الآن قد أُظهِرَ لِقدّيسيه(٢٧) الذين أرادَ الله أنْ يُعرّفهم ما هو غِنى مجدِ هذا السرِّ في الأمم».

فنلاحظ من هذه الفقرات أيضاً تأكيد بولس على عالمية رسالته، فزعم أنه قد رُتّبتْ عليه خدمةُ الكنيسة بينْ الشعوب الذين كتابته إليهم ليست من باب الفضول، بل لأنه هو رسـول الله إليهم، واختُصّ بنشْرِ كلمـة الله بينهم ودعـوتهم إلى الإيمان، وهـذا الاختصـاص بالعـالَمية كان سِرّاً خفيّاً على الأجيال والدهور السابقة، ولم يتضح إلا للقديسين الذين يرأسهم بولس[1].

وبما أنّ بولس هو صاحب الرسالة العالمية، لذلك من المؤكد أنه لن يؤتمن على الإنجيل غيره، فقد قال في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ١/١ و١٠ و١١ و١٥ و٢/٧ ما يلي: «١- بولسُ رسـولُ يسوعَ المسيحِ بحَسَبِ أمرِ الله مخلِّصنا وربِّنا يسوعَ المسيحِ رجائِنا(١٠) وإنْ كان شيءٌ آخَرُ يقاومُ التعليمَ الصحيحَ(١١) حَسَبَ إنجيلِ مجدِ الله المباركِ الذي اؤتُمِنْتُ أنا عليه(١٥) صادقةٌ هي الكلمةُ ومستحِقةٌ كلَّ قُبول(٧) التي جُعِلتُ أنا لها كَارزاً ورسولاً. الحقَّ أقولُ في المسيحِ ولا أكْذِبُ معلِّماً للأممِ في الإيمان والحقِّ».

ونص الفقـرة العـاشرة في طبعـة الـلاتين كما يلي: «ولكلِّ مَن يُخالف التعليمَ السليم». ففيها تصريح بأنّ رسالته ليست للوثنيين من الأمم فقط، بل هو رسول لكلِّ مخالفيه في التعليم، وإنْ كانو من الحواريين وتلاميذ المسيح عليه السلام.

---

(١) انظر شرح الفقرات السابقة في: تيسير الوسائل ص ٤٥٤-٤٥٥.

ومثل هذه الفقرات أيضاً ما في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ١/١ و١١ ونصهما:

«١- بولسُ رسولُ يسوعَ المسيحِ بمشيئةِ الله لأجْلِ وَعْدِ الحياةِ التي في يسوعَ المسيحِ (١١) الذي جُعِلْتُ أنا له كَارِزاً ورسولاً ومعلِّماً للأمم».

وقال في رسالته إلى تيطس ١/١ و٣ «١- بولسُ عبدُ الله ورسولُ يسوعَ المسيحِ لأجْلِ إيمان مُختاري الله ومعرفةِ الحق الذي هو حَسَبُ التقوى(٣) وإنما أَظْهَرَ كلمتَه في أوقاتها الخاصّة بالكِرَازةِ التي اؤتمِنْتُ أنا عليها بحسَبِ أمرِ مخلِّصنا الله».

فإنك تلاحظِ من الفقرات السابقة بجلاء تامّ ادّعاءه شرعية رسالته العالمية للأمم جميعها، وأنها عن أمر الله وابنهِ يسوع، وهو وحده المؤتمن على البشارة بالإنجيل، ولمّا كان بعض المعلِّمين المعارضين له ينكرون عليه ذلك ولا يسلّمون بكونه رسولا، قال لتيموثاوس في رسالته الأولى إليه ٢/٧ «ولا أَكْذِبُ» فوصف نفسه بأنه غير كاذب في ادّعاء الرسالة لتعليم الأمم الإيمان الحق.

ووصف نفسه بعدم الكذب أيضاً في عدة مواضع من رسائله، ففي رسالته إلى أهل روما ٩/١ «لا أَكْذِبُ»، وفي رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١١/٣١ «لستُ أَكْذِبُ»، ولكن أيكفي ادّعاء عدم الكذب دليلاً على ثبوت الرسالة؟ ولماذا هذا الإصرار والتكرار لنفي الكذب عن نفسه؟ لعله ظنّ أنّ تكرار ادّعاء صدقه وعدم كذبه في الرسالة يزيل شكوك الحواريين والتلاميذ التي ساورتْهم فيه وفي مقاصده، ولكنْ خاب ظنُّه، وأنكره الحواريون والتلاميذ، وتَبِعهم في هذا الإنكار بَرْنابا الذي كان وسيطه عندهم في بادىء أمره.

وأخيراً فإنّ بولس لم يدّع عالمية رسالته فحسب، بل ادّعى أنه عُرِج به إلى السماء الثالثة، ورفع نفسه إلى منزلة كبار الرسل، فهويقول في رسالته الثانية الى أهل كورنثوس ١١/٥ «لأنّي أَحسِبُ أنّي لم أَنقُصْ شيئاً عن فائقي الرسل».

ويقول فيها أيضاً ١٢/١-٦ و١١ «١ ـ وإنْ كان لا بدّ من الافتخار مع أنه لا خير فيه فإني أنتقِل إلى رُؤى الربِّ ومكاشفاته(٢) أعرفُ رجلًا مؤمناً بالمسيح اختُطِف إلى السماء الثالثة منذ أربع عشرة سنة(٣) أبجسده؟ لا أعلم. أم بغير جسده؟ لا أعلم. الله أعلم(٤) وإنما أَعلم أنّ هذا الرجل اختُطِف إلى الفردوس: أبجسده؟ لا أعلم. أبغير جسده؟ لا أعلم. الله أعلم. وسمع كلمات لا تلفظ ولا يَحِلُّ لإنسان أنْ يذكرها (٥) أمّا ذاك الرجل فإني أفخر به وأمّا أنا فلا أفتخر إلا بحالات ضعفي. (٦) ولو أردت الافتخار لَما كنتُ جاهلاً لأنّي لا أقول إلا الحق. ولكنّي أُعرض عن ذلك لئلا يَظُنَّ أحد أنّي فوق ما يراني عليه أو يسمعه عنّي(١١) فكان من حقِّي عليكم أن تُعظِّموا شأني ولستُ أقلَّ شأناً من أولئك الرسل الأكابر مع أني لستُ بشيء»[1].

قال يوسف العلم في شرح الفقرات الأربع الأولى[2] «يعني أنه هو نفسه اختُطِف إلى السماء الثالثة قَبْل كتابته هذه الرسالة بأربع عشرة سنة، ولكنْ عبّر عن ذلك كأنه يتكلم عن شخص آخر تأدباً واحتشاماً. وأمّا اختطافه فجرى في السنة الثامنة بعد إيمانه في السنة الرابعة والأربعين للمسيح .... أمّا إيمانه بالمسيح فكان في السنة السادسة والثلاثين، فيكون اختطافه بعد إيمانه بثمان سنين، وأمّا من جهة كيفية اختطافه أبالجسد والروح معا حدث أمْ بالروح فقط؟ فلا يَعلم هو حقيقة ذلك؛ لأنّ عقله سُبِي وشُغِل بما رآه، وأُلْهِيَ بما كُشِف له من الوحي، فلم ينتبه إلى الاختطاف كيف صار أبالروح والجسد أم بالروح فقط؟ فمن ثم ذهب العلماء المفسرون في ذلك مذاهب مختلفة: فبعضهم ذهب إلى أنّ الرسول انتقل في اختطافه بنفسه وجسده إلى السماء انتقالاً مكانياً حقيقيّاً، وغيرهم ذهبوا إلى أنّ روحه بارحت جسده في هذا الاختطاف... وقوله (وسمع أقوالاً لا يُنطَق بها ولا يَحِلّ لإنسان أنْ يتلفظ بها) يعني أنه تفهّم أموراً رفيعة دقيقة وعرف أسراراً غامضة لا يمكن إيضاحها؛ لأنّ العبارة لا تستطيع أنْ تحيط بها.

(١) نص الفقرات السابقة من طبعة العهد الجديد للاتين.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٢٤-٣٢٥.

ولعلّ الرسول ما أخبر بهذه الأمور التي عرفها لأنها لم تكن نافعة للسامعين، أوْ لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن يفهموها، أوْ لأنّ الله ما أباح له الإخبار بها. وهذه الأشياء التي فهمها لا يمكن تحقيقها ماهي؟ لأنه هو سكت عنها ولم يصرح بها».

وقبل الانتقال من هذه العقيدة إلى غيرها، أقول تحصّل لدينا من النقول السابقة عدة ادّعاءات وهي:

أ - ادّعى بولس أنه رسول مستقل عن جميع الحواريين وتلاميذ المسيح.
ب - ادّعى بولس أنّ رسالته عالمية إلى جميع الأمم بلا استثناء.
جـ - ادّعى بولس أنه عُرِج به إلى السماء الثالثة، وهو لا يَعرف هل كان عروجه بالروح، أم بالروح والجسد؟ وادّعى أنه سمع كلمات لا يُنطَق بها.
د - ادّعى بولس أنه لم يَنقص شيئاً عن فائقي الرسل، فهو من كبار الرسل.
هـ - ادّعى بولس أنه بُلِّغ بالرسالة من المسيح مباشرة بدون وساطة، وقتما كان في طريقه إلى دمشق.
و - ادّعى بولس أنّ رسالته وعالميتها سِرٌّ مكتوم منذ الدهور كان خفيّاً على الناس، ولم يتوضح حتى للأنبياء، وهو الذي كَشف هذا السرّ المكتوم.
ز - ادعى بولس أنه هو المؤتمن على إنجيل الله، فأظهره في الأوقات الخاصة.
ح - ادّعى بولس أنه صادق في ادّعاء الرسالة وعالميتها، وأنه لا يَكْذِب في ذلك.

النتيجة لهذه الإدّعاءات:

يؤمن النصارى جميعاً برسالة بولس وعالميتها، ولا دليل على رسالته سوى كلامه، فهو عندهم رسول الأمم العظيم، ومَن يتجرأ على إنكار رسالته، فهو كافر، وخارج عن الملة عندهم، ومرتد عن دينهم.

٢ ـ عقيدة بُنوّة المسيح لله ومساواته له في الجوهر والذات

هذه العقيدة أيضـاً من العقائد التي ركز عليها بولس في كتاباته، فكان يُصِرّ باستمرار على أنّ المسيح ابن الله، وأنه إله مطيعٌ لأبيه الإله الآب. ولن أذكر المواضع التي صرّح فيها أنّ الله هو الآب، فهي كثيرة جدّاً، وفيما يلي الإشارة للمواضع التي صرّح فيها بأنّ يسوع هو ابن الله:

- في رسالة بولس إلى أهل رومية ٨/٣ و٢٩ و٣٢.
- وفي رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١/١٩.
- وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطية ١/١٦، و٢/٢٠، و٤/٤.
- وفي رسالة بولس إلى أهل أفسس ٤/١٣.
- وفي رسالة بولس إلى أهل كولوسي ١/١٣.
- وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي ١/١٠.

وهـذه الفقرات المشار إليها فيها التصريح ببنوّة المسيح لله، وسأنقل نص بعض الفقرات الأخرى التي حاول المفسرون فيها استنباط بنوّة المسيح لله بتأويلات بعيدة.

ففي رسالة بولس إلى أهل رومية ٨/٢٩ «لأنّ الذين سَبَقَ فَعَرَفَهم سبق فَعَيَّنَهم ليكونوا مشابهين صورةَ ابنه لِيَكُون هو بِكْراً بين إخوةٍ كثيرين».

قال يوسف العلم في شرحها[1]: «اعلم أنّ المسيح هو بِكْر أولاد الله من وجوه: أولهـا: كونه ابن الله بالطبيعة، وغيره أبناء له بالذخيرة والتبنّي. ثانيها: كونه أُعِدّ قَبْل الجميع لهذه البُنوّة والاتحاد بالكلمة ولكل نعمة ومجد. ثالثها: كونه المثال للأبرار في كل فضل وفضيلة ونعمة وفي المجد والسعادة الأبدية».

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٦٦.

وفي رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ١/١٨-١٩ «١٨ ـ لكنْ أَمينٌ هو اللهُ إنّ كلامنا لكم لم يكنْ نَعمْ ولا (١٩) لأنّ ابنَ اللهِ يسوعَ المسيحَ الذي كُرِزَ به بينكم بواسطتنا أنا وسِلْوانُس وتِيموثاوس لم يكن نَعمْ ولا . بل قد كان فيه نَعَمْ» .

وبهذا نرى أن بولس جعل مناداته بأنّ المسيح هو ابن الله علامة صِدقه وعدم تقلّبه، وأنه لو نادى بغير ذلك لكان متقلّباً غير صادق .

وقد علّق يوسف العلم على الفقرتين السابقتين بقوله[١]: «أخذ الرسلُ الكذبةُ يثلبونه بالخفة والتقلّب في تصرّفه وأنه هكذا في تبشيره، فشرع الآن يردّ عليهم ويُكذّبهم في ما قالوه لجهة تبشيره. . . . هذه بيّنة ثانية لكون تبشيره لا تقلّب ولا تناقض فيه، وهي كون يسوع المسيح ابن الله الذي يبشّرون به هو عين الحق الذي لا يتغير ولا يمكن أن يَغشّ أو يُغشّ، فإنجيله وأقواله هي كذلك. فمن ثم كان تبشيره صحيحاً ثابتاً» .

ويقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ٤/٤-٦ «٤ ـ الذين فيهم إلهُ هذا الدهرِ قد أَعمى أذهانَ غيرِ المؤمنين لِئلا تُضيءَ لهم إنارةُ إنجيلِ مجدِ المسيحِ الذي هو صورةُ الله» .

قال يوسف العلم في شرح هذه الفقرة[٢] «وإنّ المسيح يُدْعى صورة الله لا بحسب ناسوته، ولا بحسب ما يُدْعى الإنسان صورة الله، بل بحسب كونه مولوداً من الآب ومشخّصاً له في نفسه بالكمال والحقيقة، وعلى ذلك لمّا التمسوا منه أنْ يُريهم الآب قال (مَن رآني فقد رأى الآب)[٣]، وبهذا المعنى يُدْعى أيضاً ضياء مجد الآب وصورة جوهره» .

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٧٣ .
(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٨٦ .
(٣) إنجيل يوحنا ١٤/٩ .

ويقول بولس في رسالته إلى أهل فيلبي ٢/٨-١١ «٨ - وإذْ وُجدَ في الهيْئَةِ كإنسان وَضَع نفسَه وأطاعَ حتى الموتَ موتَ الصليب(٩) لذلك رَفَّعَه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم (١٠) لكي تجثوَ باسم يسوعَ كلُّ رُكْبَةٍ ممن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض(١١) ويَعترِف كل لسانٍ أنّ يسوعَ المسيحَ هو ربٌّ لمجدِ اللهِ الآب».

ونص الفقرة الحادية عشرة في طبعة اللاتين كما يلي: «ويَشهدَ كلُّ لسانٍ أنّ يسوعَ المسيح هو الربّ تمجيداً لله الآب».

وفي شرحه لهذه الفقرات يقول يوسف العلم[1]: «أيْ ومِن اتّضاع المسيح أنه خضع ليوسف ومريم كل حياته، وأطاع ممتثلاً لحكْم الله أبيه حتى الموت، وخضوعه لمشيئة أبيه كان باعتبار كونه إنساناً لا إلهاً؛ لأنه باعتبار كونه إلهاً كان مساوياً لله لا دونه... وقد أعطاه اسماً أشرف من كل اسم وهو اسم الله، وذلك عندما أَظهره وأَعلنه للعالم كله أنه إله وابن الله، فآمن به الناس أنه ابن الله الحي وعبدوه وخضعوا له، واشتهر في الأرض كلها أنّ المسيح ابن الله والدّيّان العامّ لجميع الناس.... وكل هؤلاء الخلائق يعترفون بأنّ يسوع المسيح هو إله مساوٍ لأبيه في جوهره وطبعه، وهذا الاعتراف سيكون في يوم الدينونة بالخصوص إذْ يظهر جلال المسيح وعظمته، فيعترف الجميعُ مقرّين بلاهوته وعظمته، وهذا الاعتبار الذي حصل للمسيح يؤول إلى مجد الله أبيه، على أنّ مجد الابن هو مجد للآب أيضاً».

ويقول بولس في رسالته ألى أهل كولوسي ١/١٢-١٩ «١٢ - شاكرينَ الآبَ الذي أَهَّلَنا لشركةِ ميراثِ القدّيسين في النُّور(١٣) الذي أَنقذنا مِن سلطان الظُّلْمةِ ونَقَلَنا إلى ملكوت ابن محبته(١٥) الذي هو صورةُ اللهِ غيرِ المنظورِ بِكْرُ كلِّ خليقة(١٦) فإنه فيه خُلِقَ الكُلُّ ما في السماوات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٣١-٤٣٢.

أمْ سياداتٍ أمْ رياساتٍ أمْ سلاطينَ. الكلّ به وله قد خُلِق(١٧) الذي هو قَبْل كلّ شيء وفيه يقومُ الكلّ (١٨) وهو رأسُ الجسدِ الكنيسةِ. الذي هو البَدَاءَةُ بِكْرٌ من الأموات لكي يكون هو متقدّماً في كلّ شيءٍ(١٩) لأنه فيه سُرَّ أنْ يَحُلَّ كلُّ المِلْءِ».

وورد في طبعة اللاتين ما يلي: «١٣ ـ ونَقَلَنا إلى ملكوتِ ابنِه الحبيب(١٨) وهو أيضا رأسُ الجسدِ أي رأسُ الكنيسةِ(١٩) فقد شاءَ اللهُ أنْ يَحِلَّ به الكمالُ كلُّه».

وأقتطف من شرح يوسف العلم لهذه الفقرات ما يلي[1]: «إنّ الفادي هو الابن الحبيب وصورة الله، أي مشابه لأبيه ومساوٍ له في الطبع والذات.... إن الابن مساوٍ للآب في الطبع والجوهر مساواة تامة... وقول الرسول (وبِكْر جميع الخلائق) يريد به أن المسيح بحسب كونه إلهاً هو أقدم الموجودات من حيث إنه مولود من الآب منذ الأزل قَبْل كل الخلائق... يَرِدُ على قول الرسول (بكر جميع الخلائق) ما يوافق وهْمَ الهراطقة كأتباع آريوس، وهو: إنْ كان المسيح بكر جميع الخلائق فهو أخ للخلائق ومخلوق مثلها؛ لأنّ بكر الإخوة مَن كان أخاً لهم وأقدمهم مولداً، ولكن هذا الاعتراض مردود من وجهين أولهما: أنّ لفظة (بكر) هنا بمعنى مولود أوّلاً كما وردت في اليونانية واللاتينية، والميلاد يحق للابن دون الخلائق، فعلى ذلك يكون معنى الآية: أنّ المسيح بكر جميع الخلائق في المولد لا في الخَلْق، أي إنه مولود قَبْلها كلها. ثانيهما: ما يقوله الرسول بَعْدُ في العدد التالي (وبه خلق كل شيء) فإنّ المسيح خالق كل شيء فكيف يصحّ أنْ يكون أخاً للخلائق مخلوقاً مثلها؟! ومُراد الرسول دفع السيمونيين الذين كانوا يعلّمون بأن الابن متأخر عن الملائكة وأنه دونهم... أي كلّ شيء في السماء وفي الأرض من الأشياء المنظورة والغير المنظورة ومن الأرواح والأجساد ومن الملائكة والناس كلّ ذلك إنما كان خَلْقه وإبداعه بابن الله يسوع المسيح.... أي إنّ المسيح باعتبار كونه إلهاً هو ربُّ الموجودات كلها وخالقها.... يعني أنّ الله الآبَ أراد أنْ يحلَ في المسيح ملء اللاهوت بأسره ومجموع كل حكمة ونعمة وقوة لا حلولاً وقتياً بل دائماً مخلّداً».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٥٠-٤٥٢.

فانظر إلى هذا الخلْط الشديد الذي يحْكُم العقلُ السليم بعدم تناسقه واستقامته على طريق واحد.

وفي رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي ١/٩-١٠ «٩ - . . . . . لِتعبُدوا اللهَ الحيَّ الحقيقيَّ(١٠) وتنتظروا ابنَه من السماء الذي أقامه من الأمواتِ يسوعَ الذي يُنقِذنا من الغضب الآتي».

فهذه جملة عقائد - أخطرها بنوّة المسيح لله - جُمِعت في فقرة واحدة ليس عليها دليل، بل لمجرد أنّ بولس قالها صارت الفقرة نفسها دليلاً لهذه العقائد الخطيرة، فقد قال يوسف العلم في شرحها[1] : «وقوله: (منتظرين من السماء ابنَه يسوعَ المسيحَ الذي أقامه من بين الأموات) يتضمن أنّ المسيح هو ابن الله، وأنه مات على الصليب وقام من الموت، وأنه صعد إلى السماء، وأنه سوف يأتي ليدين الجميعَ، وأنه بموته أنقَذَنا من الموت الأبدي والهلاك الدائم».

ويقول يوسف العلم أيضاً في مطلع شرحه للرسالة العبرانية[2]: «وقوله: (وبه خَلَق العالمين) يعني أنّ الآبَ خَلقَ بابنه يسوع المسيح باعتبار كونه إلهاً كلَّ ما يوجد في العالم أو كل ما وُجِد في الأزمان والأجيال المعبّر عنها بالعالمين. . . الابن الذي هو ضياء الآب لكونه صادراً منه ضرورة منذ الأزل بدون انقطاع صدوراً لا تغيير فيه ولا اختلاف مثل صدور الشعاع عن الشمس فهو نور من نور، وهو صورة أزليته ورسمه بكونه ممثلاً له في ذاته لا تمثيلاً عرضياً خيالياً بل ذاتياً حقيقياً تامّاً. . . وأمّا يسوع المسيح فهو يُدْعى ابن الله حقّاً لاتحاد اللاهوت بالناسوت فيه اتحاداً أقنومياً. اعلم أنّ ولادة ابن الله يسوع المسيح على ثلاثة أقسام: ولادة أزلية في حضن الآب، وولادة زمنية من مريم العذراء، وولادة استعارية من القبر، أي قيامته من الموت وحصوله على الحياة المجيدة. . . والمراد

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٧٣.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٦١١-٦١٤ في شرح فقرات الرسالة العبرانية ١/١- ٣.

تفضيل المسيح على الملائكة وإثبات كونه إلهاً وابن الله حقّاً. . . وأمّا تسمية الرسول يسوع المسيح بالبِكْر هنا فلا تُؤذِن بأنّ للمسيح إخواناً مثله في الولادة الطبيعية، ولكن المراد بذلك بيان عظمة المسيح وشرفه وإيضاح كونه أشرف من الملائكة والبشر؛ لأنه ابن الله البكر حقّاً».

وقبل الانتقال من هذه العقيدة إلى غيرها، أقول تحصّل لدينا من النقول السابقة وشروحها عدة ادّعاءات:

١ - أنّ المسيحَ عيسى هو بِكْرُ أولاد الله حقّاً، وليس معنى ذلك أنه مخلوق مثلهم، بل هو مولود في حضن الآب ولادة طبيعية منذ الأزل، قبل كل الخلائق، فهو البكر مولداً، وليس له إخوة يشاركونه في هذه الولادة الطبيعية، فجميع إخوته مخلوقون، أمّا هو فخالق.

٢ - أنّ المسيحَ ابنُ الله بالطبيعة، وأنه أُعِدَّ قَبْل الجميع لهذه البُنوّة، لأنه حَلَّ فيه مِلْءُ اللاهوت لا حلولاً وقتيّاً، بل دائماً مخلّداً.

٣ - أنّ المسيحَ يُدْعى صورة الله وصورة جوهره بحسب كونه مولوداً من الآب ومشخّصاً له بالحقيقة، لا بحسب ما يُدْعى الإنسان صورة الله، لأنّ المسيحَ إلهٌ مساوٍ لأبيه في جوهره وطبعه وذاته.

٤ - أنّ المسيحَ ابن الله صدر منه ضرورة منذ الأزل كصدور الشعاع عن الشمس، فهو صورة أزليته وممثل له، لا تمثيلاً عَرَضيّاً خياليّاً، بل ذاتيّاً حقيقيّاً تامّاً.

٥ - أنّ مَن يُبشّر بالمسيح ابناً لله فهو صادق، ومن يُبشّر به غير ذلك فهو كاذب.

النتيجة لهذه الادعاءات:

يؤمن النصارى جميعاً ببنوّة المسيح لله ومساواته لأبيه في الجوهر والطبيعة، ولا دليل عندهم على هذه العقيدة سوى كلام بولس في رسائله، ومن يتجرأ على إنكار بنوة المسيح لله ومساواته له فهو كافر، وخارج من المِلّة عندهم، ومرتدّ عن دينهم.

٣ ـ عقيدة ألوهية المسيح وربوبيته على الخلْق أجمعين لأنّ لاهوت الله كله حلّ في المسيح ، والمسيح هو الذي سيدين الناسَ يوم القيامة

هذه العقيدة هي من أكثر عقائد بولس وروداً في مجموع رسائله، فقد أَحصيتُ ثمانية وتسعين موضعاً صرّح فيها بربوبية المسيح وأُلوهيته، وطمعتُ أنْ أرى مفسريهم يفسرون كلمة (رب) ولو مرة واحدة بالمعلِّم، فلم أعثر على هذا التفسير، بل كان تفسيرهم لإطلاق كلمة (رب) على المسيح دائماً بمعنى الإله الذي له الربوبية على جميع الخلق، وفيما يلي أذكر المواضع التي ورد فيها التصريح بربوبية المسيح وأُلوهيته:

- في رسالة بولس إلى هل رُوميَة ١/٧، و٤/٢٤، و٥/١ و٢١، و٦/٢٣، و٧/٢٥، و٨/٣٩، و٩/٥، و١٠/٩، و١٣/١٤، و١٥/٦ و٣٠، و١٦/١٨ و٢٠ و٢٤.
- وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كُورنثُوس ١/٢ و٣ و٧ و٨ و٩ و١٠، و٥/٤ و٥، و٦/١١، و٨/٦، و٩/١، و١١/٢٣، و١٢/٣، و١٥/٣١ و٥٧، و١٦/٢٢ و٢٣.
- وفي رسالة بولس الثانية إلى أهل كُورنِثُوس ١/٢ و٣ و١٤، و٤/٥ و١٤، و٨/٩، و١١/٣١، و١٣/١٤.
- وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطِيَّة ١/٣، و٦/١٤ و١٧ و١٨.
- وفي رسالة بولس إلى أهل أَفَسُس ١/٢ و٣ و١٥و١٧، و٣/١١ و١٤، و٥/٢٠، و٦/٢٣ و٢٤.
- وفي رسالة بولس إلى أهل فِيلبّي ١/٢، و٢/١١ و١٩، و٣/٨ و٢٠، و٤/٢٣.
- وفي رسالة بولس إلى أهل كُولُوسيّ ١/٢ و٣، و٣/١٧ و٢٤.
- وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل تَسالُونيكِي ١/١ و٣، و٢/١٥ و١٩، و٣/١١ و١٣، و٤/١ و٢، و٥/٩ و٢٣ و٢٨.

- وفي رسـالة بولس الثانية إلى أهل تَسَالُونِيكي ١/١ و٢ و٧ و٨ و١٢، و٢/١ و١٤ و١٦، و٣/٦ و١٢ و١٨.
- وفي رسالة بولس الأولى إلى تِيمُوثَاوس ١/١ و٢ و١٢، و٥/٢١، و٦/٣ و١٤.
- وفي رسالة بولس الثانية إلى تِيمُوثَاوس ١/٢، و٤/١ و٢٢.
- وفي رسالة بولس إلى تِيطُس ١/٤.
- وفي رسالة بولس إلى فِلِيمُون ٣ و٥ و٢٥.

فهذه المواضع الثمانية والتسعون هي التي ورد فيها اسمُ المسيح أو يسوع مقروناً بلفظ الرب، أو ربنا أو إلهنا، أمّا المواضعْ التي ورد فيها لفظ الربّ أو الإله مطلقاً دون اقتران باسم يسوع المسيح فلم أذكرْها عِلْماً أنهم لا يقصدون بها غير المسيح، لكنها لا تصلح للاحتجاج فتركتها، وأُؤكد مرة أخرى على أنهم فسروا جميع ألفاظ (ربّ) بالإله الكامل الربوبية على خَلْقِه، لا بالمعلِّم والمربِّي والسيِّد، مما يدل على أنهم يعنون بها حقيقة الألوهية والربوبية التي لا يوصف بها غير الخالق.

وأنت تلاحظ أنّ معـظم المـواضـع الثمانية والتسعين السابقة في افتتاحيات رسائل بولس أو في ختامها، مما يدل على أنه أراد التركيز على هذه العقيدة (عقيدة ألوهية المسيح وربوبيته على الخلْق أجمعين)، فلأهميتها في نظره كان ذكرها مصرَّحاً به في مطلع وختام كثير من رسائله، بالإضافة لتضمينها في ثنايا الرسائل، وقد خَلتْ هذه المواضع الصريحة في الغالب من توجيه مفسري النصارى للاستدلال بها، وذلك لأنها بصراحتها ووضوحها لا تحتاج إلى شرح أو تأويل، ولكنْ كثر التوجيه لمواضع غامضة أو فيها تلميح بألوهية المسيح وربوبيته، وفيما يلي ذكر نص بعض الأدلة، وذكر توجيهاتهم وتأويلاتهم البعيدة على مايريدون إثباته:

في رسالة بولس إلى أهل رومِيَة ١/٧ «إلى جميع الموجودين في رُومِيَة أَحِبّاءَ الله مَدْعُوِّين قِدّيسين. نعمةٌ لكم وسلامٌ من الله أبينا والربِّ يسوعَ المسيحِ».

قال يوسف العلم في شرحها[1] : «هذه تحية الرسول في رسائله، وبقوله هذا برهن المفسرون الشرقيون وكيرللوس على لاهوت المسيح ومساواته للآب».

فانظر أنّ أهمّ دليل عندهم على ألوهية المسيح إنما هو من كلام بولس الذي قصده أنْ يكون أول الطريق في الانحراف عن الدين الحق.

وفي رسالة بولس إلى أهل رومية ٩/٤-٥ «٤ - الذين هم إسرائيليون ولهم التبنّي والمجْـدُ والعهـودُ والاشْتراعُ والعبادةُ والمواعيدُ (٥) ولهم الآباءُ ومنهم المسيحُ حَسبَ الجسدِ الكائنُ على الكُلِّ إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين».

قال يوسف العلم في شرح هاتين الفقرتين[2] : «فيه ذكر الرسول من مفاخر اليهود ثمانياً: أولها: كون الله اتخذهم له بنين... وثامنها وأشرفها: ظهور المسيح منهم في تجسده».

وفي هامش طبعة اللاتين[3] تعليق على كلمة (إلهاً مباركاً) نصّه كما يلي: «إله مبارك: إقرار صريح بلاهوت المسيح».

وقد وردت فقرة رسالة بولس إلى أهل رومية ١٤/٩ في طبعة سنة ١٨٦٥ وما بعدها كما يلي: «لأنّه لهذا ماتَ المسيحُ وقامَ وعاشَ لِكَي يَسُودَ على الأحياء والأموات».

فورد فيها لفظ (لِكَيْ يَسُودَ)، وفي طبعة سنة ١٨٨٢م (لِيَسُودَ)، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م (ليتسلَّطَ)، وهذه اللفظة وردت في طبعة سنة ١٨٢٣م بلفظ (ليكون

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣-٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٧٢.

(٣) انظر: ص ٦١٥.

ربّـاً للأحياء والأموات)، وفي نسخة يوسف العلم المطبوعة سنة ١٨٧٣م بلفظ: (ليكون ربّاً للأحياء والموتى)، وفي طبعة اللاتين ببيروت سنة ١٩٨٢م بلفظ (ليكون ربَّ الأموات والأحياء).

ولعل اللفظ الأصلي فيه معنى السيادة والتسلّط فتُرجِم به في بعض النُّسَخ، بينما جُعِل في النُّسخ الأخرى بلفظ (ربّ) ليتناسق مع باقي ألفاظ الربوبية المُطْلَقة على المسيح في المواضع الكثيرة، ومثل هذا الاختلاف لن يكون عفويّاً بفارق الترجمة فقط، وإنما يدل على الإرادة والقصد أنْ يكون دالاًّ على ربوبية المسيح الحقيقية، لا بمعنى التسلط والسيادة.

ومثلها فقرات رسالة بولس إلى أهل روما ١٥/ ٣٠، و١٦/ ١٨ و٢٠ و٢٤، فقد ورد فيها لفظ (ربنا يسوع المسيح) في طبعات سنة ١٨٦٥م وما بعدها، وكذلك بلفظ الربوبية في طبعة سنة ١٨٢٥م، وطبعة سنة ١٨٨٢م، وفي طبعة اللاتين سنة ١٩٨٢م.

أمّا في طبعة سنة ١٨٢٣م وطبعة يوسف العلم سنة ١٨٧٣م فبلفظ (سيّدنا)، فتخالفت مجموعتا الطبعات هنا وهناك.

وفي رسالة بولس إلى أهل فِيلِبّي ٢/ ٥-٧ «٥ - فليكنْ فيكم هذا الفكرُ الذي في المسيحِ يسوعَ أيضاً (٦) الذي إذْ كان في صورةِ اللهِ لم يَحْسِبْ خلسة أنْ يكون مُعادِلاً لله (٧) لكنّه أَخْلى نفسَه آخِذاً صورةَ عبدٍ صائراً في شِبْه الناس».

ونصّ هذه الفقرات في طبعة اللاتين كما يلي: «٥ - تخلّقوا بخُلُق المسيح (٦) فمَع أنه في صورةِ الله لم يَعُدَّ مساواتَه لله غَنيمة (٧) بل تجرّد من ذاته مُتَّخِذاً صورةَ العبدِ وصار على مِثالِ البَشَر وظَهر بمَظهرِ الإنسان».

وقـد قال يوسف العلم في الشرح[1]: «يعني أنّ المسيح كان له ما لله من

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٣٠-٤٣١.

الطبيعة الإلهية فكان يَحِقّ له أنْ يساويَ نفسه بالله، ولم يكن قوله (أنا والآب واحد)[1] باطلاً غير صحيح، بل كان بالحقّ والواقع، ولكنْ مع ذلك وَاضَعَ نفسه فاتّخذ صورة عبد ذليل مع أنه المولى العزيز، وظهر في كلِّ شيء كالإنسان الحقير الوضيع دون أنْ يُظهِر على نفسه ماله بحسب كونه مساوياً لله من العظمة والعزة والجلال. . . . فإنّ يسوع المسيح مع كونه إلهاً أَذلّ نفسه إلى أقصى المذلة والاحتقار. اعلم أنّ قوله (شبه الله) يريد به طبيعة الله وحقيقة جوهره، وقد استعمل الرسول هذه اللفظة بهذا المعنى مراراً، وبهذا المعنى فسّرها الآباء القدّيسون مثل الذهبي وتاوافيلكتوس واكومانوس وايلاريوس واغوسطينوس وغيرهم. . . فإذاً يكون المراد بشبه الله طبيعة الله، وهو لم يحسب مساواة نفسه بالله اختلاساً وذلك لأنه كان مساوياً لله في الطبع. . . وإنْ كان حقيقيّاً صادقاً فلم يَعُدْ لنا حاجة إلى برهان على لاهوت المسيح ومساواته للآب في الطبع والجوهر فتأمل».

وفي شرح فقرة رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٣/١٨ يظهر التمحّل والتعسّف في لَيّ النصوص لتدلّ على هوىً معين في نفوس النصارى، فنص الفقرة المشار إليها كما يلي: «ونحنُ جميعاً ناظرينَ مجْدَ الربِّ بوجهٍ مكشوفٍ كما في مِرآةٍ نَتغيّرُ إلى تلك الصورةِ عينها من مجْدٍ إلى مجْدٍ كما مِن الربِّ الروحِ».

فقد قال يوسف العلم في تفسيرها[2] «والمراد بمجْد الربّ هنا لاهوت المسيح وتجسده وافتداؤه البشر وباقي أسرار الإيمان والمراد بالمرآة الإنجيل فإنه هو المُبين عن لاهوت المسيح وتأنّسه وباقي أعماله وفضائله المعبّر عنها بمجْدِ الربّ».

---

(١) هذا القول في إنجيل يوحنا ١٠/ ٣٠.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٨٤ـ٢٨٥.

الحلول في المسيح :

يعتقد النصارى أنّ لاهوت الله كله حَلّ في المسيح ، ففي رسالة بولس إلى أهل كُولُوسيّ ١/١٨-١٩ و٢/٩ «١٨ ـ وهو رأسُ الجسدِ الكنيسةِ . الذي هو البَدَاءةُ بِكْرُ مِن الأمواتِ لِكيْ يكون هو متقدّماً في كلّ شيء(١٩) لأنه فيه سُرَّ أنْ يَحُلَّ كُلُّ المِلْءِ (٩) فإنه فيه يَحِلُّ كلُّ مِلءِ اللاهوتِ جَسَديّاً» .

وأقتطف من شرح يوسف العلم لهذه الفقرات ما يلي[1] «أي والمسيح في القيامة من الموت أيضا هو أَوّلُ مَن قام من بين الموتى إلى الحياة التي لا يقرضها فَنَاء، وهو أصل هذه القيامة ومصْدرها، فعلى ذلك يكون المسيح له الأوليّة والقَدَامة في كل شيء؛ لأنه باعتبار كونه إلهاً أقدم من جميع الكائنات . . . يعني أنّ الله الآب أراد أنْ يحلّ في المسيح ملءَ اللاهوت بأسره ومجموع كل حِكْمة ونِعْمة وقوّة، لا حلولاً وقتيّاً بل دائماً مخلّداً . . . لاتحاد كمال اللاهوت به مع الطبيعة البشرية اتحاداً حقيقيّاً ذاتيّاً لا خياليّاً وهميّاً، بل كاتحاد النفس بالجسد، ولا اتحاداً عَرَضيّاً بل جوهريّاً، ولا من باب اتحاد النعمة كاتحاد الله سبحانه بالملائكة والقدّيسين، بل اتحاداً ذاتيّاً أقنوميّاً، ولم يكن هذا الاتحاد مع المسيح نظراً إلى النفس فقط، بل نظراً إلى الجسد أيضاً، بحيث من اتّحاد الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية معاً صار أقنوم واحد هو إله إنسان وإنسان إله» .

وأنقل تعليق طبعة اللاتين على فقرة رسالة كُولُوسيّ ٢/٩ كما يلي[2]: «قال بولس في ١/١٩ إنّ الكمال كله قد حلّ بالمسيح من غير تحديد هذا الكمال، أمّا في هذه الآية فقد أوضح كلامه بقوله: إنّ كمال الألوهية يحلّ في المسيح حلولاً جسديّاً، إنه إله وإنسان» .

فانظر: إنّ هذه العقيدة الخطيرة جدّاً ـ عقيدة ألوهية المسيح وحلول الله فيه ـ

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٥٢-٤٥٧ .

(٢) انظر: ص ٧٨٥ .

ليس لها سند إطلاقاً من كلام قديم من قدمائهم ولا عظيم من عظمائهم سوى ما كتبه بولس.

المسيحُ يَدِينُ الناسَ يوم القيامة:

يعتقد النصارى أنّ المسيح سَيَدين الأحياء والأموات يوم القيامة، وهو اعتقاد أساسه عقيدة ألوهية المسيح، ونتيجة طبيعية للقول بالحلول، وليس لاعتقادهم هذا سند سوى ما كتبه بولس، فهو يقول في رسالته إلى أهل رومية ١٤/٩-١٠ «٩ ـ لأنّه لهذا مات المسيحُ وقامَ وعاشَ لكَيْ يسُودَ على الأحياء والأموات (١٠) وأمّا أنت فلماذا تَدينُ أخاك. أوْ أنت أيضاً لماذا تزدري بأخيك. لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسيّ المسيح».

قال يوسف العلم في شرحها[1] «إنّ المسيحَ ماتَ وقامَ ليباشر ما أوتيه من الولاية والسلْطة على الأحياء والموتى، وهو عز اسمه أوتي هذه الولاية مذ اتحد لاهوته بناسوته، ولكنْ لم يباشرها إلا بعد قيامته... والولاية علينا إنما هي له، ولذلك سوف نحضر كلنا قدامه للدينونة، فكُفّوا إذاً عن مداينة بعضكم».

وفي رسالة بولس الثانية الى تيموثاوس ٤/١ «أنا أُناشِدك إذاً أمامَ اللهِ والربِّ يسوعَ المسيح العتيدِ أنْ يَدِين الأحياءَ والأمواتَ عند ظُهورِه وملَكُوته».

وقد قال يوسف العلم في شرحها[2]: «أي عند ظهوره للدينونة بالعز والمجد ظهور مَن هو مَلِك العالم وديّان الجميع مِن أحياء أي أبرار، أو الذين يوجَدون أحياء في القيامة، ومِن أموات أي أشرار أو الذين يُبعَثون من الموت».

(١) شرح الفقرة ٩ ص ١١٣ وشرح الفقرة ١٠ ص ١١٤ من كتاب تيسير الوسائل في تفسير الرسائل.
(٢) انظر: تيسير الوسائل ص ٥٧٧.

وفي رسالة بولس إلى تيطس ٢/ ١٣ «منتظِرين الرجاءَ المَبارَكَ وظهورَ مجْدِ الله العظيمِ ومخلِّصنا يسوعَ المسيحِ».

وقد قال يوسف العلم في شرحها[1]: «وكمالَة هذا الجزاء تكون في الدينونة عند ظهور يسوع الديّان الإله العظيم بالمجْدِ والعزّة إذْ تدعونا من الموت إلى الحياة الخالدة فتجزى أجسادنا أيضاً بما يحق لها. اعلم أنّ بعضهم فسروا قوله: (ظهور مجد الله العظيم ومحيينا يسوع المسيح) بأنّ الله الآب ويسوع المسيح يأتيان للدينونة، ولكن الأكثرون فسروه عن يسوع المسيح، فهو محيينا، وهو الإله العظيم، محتجين بأن الكتاب المقدس خصّه بكونه ديّان العالم في مَحالٍّ شتّى».

ويُفهم من شرحه تعظيم المسيح أكثر من الله، بل وألوهيته زائدة عن ألوهية الآب.

وقبل الانتقال من هذه العقيدة إلى غيرها أقول: تحصل لدينا من النقول السابقة وشروحها عدة ادّعاءات:

١ - قَرن بولسُ اسم المسيح عيسى بلفظ الربوبية في ثمانية وتسعين موضعاً من رسائله، أغلبها في الافتتاحيات والخواتيم.
٢ - لم يقصد بولس بلفظ الربّ المُطْلَق على عيسى معنى المعلِّم أو السيّد أو المربّي، بل قصد به الربّ الخالق الكامل الربوبية على الخَلْق أجمعين، وبهذا المعنى فسره كتّاب النصارى وعلماؤهم ومفسروهم.
٣ - أنّ هذا المسيح الربَّ هو إله له ما لله من الطبيعة الإلهية، لكنّه تواضع فتجسّد في صورة عبد ذليل، مع أنه الإله العظيم والمولى العزيز.

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٩٥-٥٩٦.

٤ - أنّ لاهوت الله كله حلَّ في المسيح حلولاً دائمًا مخلدًا، فاتحد كمال اللاهوت به مع الطبيعة البشرية اتحادًا حقيقيّاً ذاتيّاً أقنوميّاً جوهريّاً، لا اتحاداً خياليًّا وهميّاً عَرَضيّاً، ولا من قبيل اتحاد النعمة كاتحاد الله بالملائكة والقدّيسين، بل اتحدت الطبيعتان البشرية والإلهية كاتحـاد النفس بالجسد، فصار من الاتحاد أقنوم واحد هو إله إنسان وإنسان إله.

٥ - وبما أنّ المسيح ربٌّ وإلهٌ كاملُ الأُلوهية، فسيَدين الأحياء والأموات يوم القيامة، وهو زائد عن الله أبيه باختصاصه بكونه ديّان العالم، فالدينونة من عمل الإله الابن لا من عمل الإله الآب.

النتيجة لهذه الادّعاءات :

يؤمن النصارى جميعاً بألوهية المسيح وربوبيته على الخَلْق أجمعين وأنّ الله تجسّد فيه وحلّ فيه كامل اللاهوت، فيُطلِقون عليه لفظ الربّ والإله إطلاقًا حقيقيًّا، ويعطونه عملاً في الكون والحياة يفوق عمل الإله الآب، ولا دليل عندهم على أُلوهية المسيح وربوبيته وحلولِ الله فيه سوى ما كتبه بولس في رسائله، ومن يتجزأ على إنكار عقيدة التجسد والحلول وألوهية المسيح وربوبيته فهو كافر خارج من المِلّة عندهم، ومرتدّ عن دينهم.

٤ ـ عقيدة التثليث وألوهية الروح القدس وانبثاقه من الآب والابن معاً، وقيامه بأعمال إلهية، واستحقاقه لأنْ يُعْبَد

المقصود بعقيدة التثليث هنا إعتقاد النصارى بأنّ الإله له ثلاثة أقانيم:

الأقنوم الأول: (الإله الآب).

والأقنوم الثاني: (الإله الابن عيسى المسيح).

والأقنوم الثالث: (الروح القدس جبريل).

وهذه العقيدة غير مصرَّح بها في رسائل بولس كما صرّح بالعقائد الثلاث السابقة (رسالة بولس، وبنوة المسيح لله، وألوهيته كأبيه)، ولكن عقيدة التثليث تفهم ضمنيًّا من رسائل بولس بحسب ما أُنيط بكل ركن من أركان الثالوث من أعمال، لأنّ الدَّوْر الذي أضفاه بولس على عيسى وعلى الروح القدس يجعلهما معادلينْ لله في عمله، لذلك كان إقرار الكنيسة لعقيدة التثليث وأُلوهية الروح القدس فيما بعد، هو النتيجة الطبيعية لذلك المفهوم الضمني، وقد أتعب كتّاب النصارى أنفسهم في استخراج أسانيد لهذه العقيدة من رسائل بولس، وجهدوا في لَيّ النصوص بقصد الاستدلال على هذا الموضوع الخطير، وفيما يلي ذكر نصوص أدلتهم من رسائله مع ذكر توجيه الدليل:

يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية ٨/٩ «وأمّا أنتم فلستم في الجسدِ بلْ في الروح ِ إنْ كان روحُ اللهِ ساكناً فيكم. ولكنْ إنْ كان أحد ليس له روحُ المسيح ِ فذلك ليس له».

وقد كتب يوسف العلم[1] في شرح هذه الفقرة ما يلي: «وفي تسمية الروح القدس تارة بروح الله وتارة بروح المسيح مع كونه روحاً واحدًا لنا بينة قاطعة في إثبات لاهوت

---

(١) انظر تفسيره: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٦.

المسيح وانبثاق الروح القدس منه إنبثاقه من الآب كما قال القديس إمبروسيوس في كتاب ٣ فصل ٩ في الروح القدس».

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كُورِنْثُوس ٨/٥-٦ «٥- لأنه وإنْ وُجِدَ ما يُسَمَّى آلهةً سواءً كان في السماءِ أو على الأرض كما يُوجَدُ آلهةٌ كثيرون وأربابٌ كثيرون(٦) لكنْ لنا إلهٌ واحدٌ الآبُ الذي منه جميعُ الأشياءِ ونحن له. وربٌّ واحدٌ يسوعُ المسيحُ الذي به جميعُ الأشياء ونحن به».

قال يوسف العلم في شرح الفقرتين السابقتين[1]: «أي وإنْ يكن الوثنيون لهم آلهة كثيرة اتخذوها مما في السماء كالشمس والقمر والنجوم، ومما في الأرض كزوس وأبولس وأركوليس إلا أننا نحن معشر المؤمنين لنا إله واحد وهو الله الآب الذي خَلَق كلَّ شيء وإيّانا لمجْده وكرامته، وربٌّ واحد وهو يسوع المسيح الذي به بحسب كونه كلمة الله خُلِق كلُّ شيء ونحن أيضاً وبه أيضاً فُدِينا، قال الذهبي وتاوادوريطوس وغيرهما: إنّ لفظة ربّ ولفظة إلهٍ هنا بمعنىً واحد، وإذْ قال الرسول: لنا إله واحد الآب، لم يَسْتثنِ الابن والروح لكنْ الآلهة الكاذبة، وإذْ قال: ربّ واحد يسوع المسيح، لم يُخرِجِ الآبَ والروحَ بل الأرباب الباطلة».

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٢/٤-٦ «٤- فأنواعُ مواهبَ موجودةٌ ولكنّ الروحَ واحدٌ (٥) وأنواعُ خِدَمٍ موجودةٌ ولكنّ الربَّ واحدٌ (٦) وأنواعُ أعمالٍ موجودةٌ ولكنّ الله واحدٌ الذي يَعملُ الكُلَّ في الكُلِّ».

فالنصارى يَعُدّون ورود كلمات (الروح) و (الربّ) و (الله) في الفقرات الثلاث دليلاً على التثليث، ولذلك قال يوسف العلم في ختام تفسيره للفقرات الثلاث[2]: «أي

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٨٨.
(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٢٩.

إنّ هذه جميعها تَصْدر من قدرة الله وقوّته كما يتضح من غرض الرسول في هذا الاصحاح، وقد نسب هذه إلى الأقانيم الثلاثة كأنها إلى أصل واحد».

ويختم بولس رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١٣/١٤ بما يلي: «نعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ ومَحبّةُ الله وشَرِكةُ الروحِ القدُسِ مع جميعكم آمين».

وقد علق يوسف العلم على هذه الخاتمة بقوله[١]: «يريد بشركة الروح القدس توزيع الروح مواهبهُ وعطاياه، وبمحبة الله محبة الآب التي أُحبَّ بها العالم حتى بَذَلَ له ابنَه الوحيد. وفيه يحثهم على خلاصة ما وعظهم به في هذه الرسالة ويدعو لهم ويطلب من الأقانيم الثلاثة إلقاءَ السِّلْم بينهم والرضى عنهم وبَذْلَ النعمة لهم».

وفي هامش طبعة اللاتين ذُكِر تعليق على هذه الفقرة كما يلي: «يظهر في هذه الآية إيمان بولس بالثالوث الأقدس».

وفي رسالته إلى أهل غلاطية ٤/٦ يقول بولس: «ثم بما أنكم أبناءٌ أُرسلَ اللهُ روحَ ابنِه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآبُ».

وقد علّق عليها يوسف العلم بقوله[٢]: «اعلم أنّ لفظة الآب وأبانا هنا بمعنى واحد، ولكنْ كررها الرسول للدلالة على زيادة الدَّالَّة التي صارت للمؤمنين على الله. وقوله: روح ابنه، دليل على أنّ الروح القدس منبثق من الابن كما هو منبثق من الآب، كما أنّ قولنا روح الآب دليل على أنّ الروح القدس منبثق من الآب».

وكذلك يقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل تَسالُونيكي ٣/٥ «والربُّ يَهدِي قلوبَكم إلى محبّةِ اللهِ وإلى صَبْرِ المسيحِ».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٣٥.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٦٣.

وقد علّق على هذه الفقرة يوسف العلم بقوله[1]: «قال الآباءُ الشرقيون: إنّ الرسول ذكر الأقانيم الإلهية هنا حيث أراد بالربّ: الروح القدس، وبالله: الآب، وبالمسيح: الابن المتجسد، فهذا برهان على لاهوت الابن. اهـ».

ومن هذه الفقرات والشروح نرى أنّ بولس لم يكنْ جادّاً في نشر عقيدة التثليث، ولكنّ المسيحيين أنفسهم فهموها ضمنيًّا من بعض أقواله، فأوّلوا تلك الأقوال تأويلات بعيدة جدًا كما رأيت ليستنبطوا منها عقيدة التثليث، وللردّ على النّافين لألوهية الروح القدس الذين استدلّوا بفقرة رسالة بولس إلى أهل رومية ٨/٢٦ «وكذلك الروحُ أيضاً يُعِينُ ضَعَفَاتِنا. لأنّنا لسْنا نَعَلمُ ما نُصَلِّي لأجْله كما ينبغي ولكنّ الروحَ نفْسَه يشْفعُ فِينا بأنّاتٍ لا يُنْطَقُ بها».

قال يوسف العلم في شرحه لهذه الفقرة[2]: «إنه أي الروح يَشفع فينا ويقدّم صلواتنا وزفراتنا في محضر الثالوث الأقدس بحسب كونه البارقليط المتشفّع بنا. قال القديس تاودوريطوس: أيها المصلّون: فوِّضوا أمركم إلى مَن بيده مقاليد الكون. وتفسير الآية بهذا المعنى الصحيح الظاهر يُبْطِل استناد المكدونيين إليها في إنكارهم لاهوت الروح القدس».

ويظهر أنّ عقيدة أُلوهية الروح القدس أُقرَّتْ فيما بَعْد بولس، لأنّها مقارِنة لإقرار عقيدة التثليث، ويُفهم ذلك جليّاً من كلام يوسف العلم في تفسيره لآخر فقرة من الأصحاح الحادي عشر من رسالة بولس إلى أهل روميَه (١١/٣٦) وهي كما يلي: «لأنّ منه وبه وله كُلُّ الأشياء. له المَجْدُ إلى الأبدِ. آمين».

قال يوسف العلم معلّقاً على هذه الفقرة[3]: «جَرى في الكنيسةِ المقدّسةِ تمجيد

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٠٧.
(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٦٤ـ٦٥.
(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٠٠.

الثالوث، وهو: (المجد للآب والابن والروح القدس)، وزاد مجمع نيقية: (كما كان في البدء والآن ودائماً وإلى أبد الآبدين. آمين) على ما قال الحجري وتيريني مُسْتَشْهِدَيْن القديس باسيليوس وبارونيوس مجلد ٣ تاريخ سنة ٣٢٥. اهـ».

وقد حاول يوسف العلم أيضاً إثبات أُلوهية الروح القدس من فقرتي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٢/١٠-١١، وهما كما يلي: «١٠- فأَعْلَنَه اللهُ لَنا نحن بروحِه. لأنّ الروحَ يَفْحَصُ كلَّ شيءٍ حتّى أَعماقَ اللهِ (١١) لأَنْ مَنْ مِنَ الناسِ يَعرفُ أمورَ الإنسانِ إلّا روحُ الإنسانِ الذي فيه. هكذا أيضاً أُمورُ اللهِ لا يَعرِفُها أحد إلّا روحُ الله».

فكتب يوسف العلم في شرحهما ما يلي[1]: «أي لأنّ الروح القدس يَعرِف جليّاً كلَّ ما في الله من الأحكام الغامضة، والأسرار الخفية، مثل سِرّ فِداءِ البشر لكونه إلها له ذات ماالله من الجوهر والطبع الإلهي... وبهذه الآية برهن أمبروسيوس وغيره على لاهوت الروح القدس ضدّ مقدونيوس... وكما أنّ روح الإنسان شريك الإنسان في الناسوت، كذلك روح الله فإنه شريك الله في اللاهوت، أي لهما لاهوت واحد ومعرفة واحدة وقدرة واحدة».

وقد ذكر كُتّاب قاموس الكتاب المقدس[2] في ترجمتهم للروح القدس ما يلي: «هو روح الله، الأقنوم الثالث في الثالوث، وقد سُمّي روحاً لأنه مُبدع الحياة، ويُدْعى روح الله وروح المسيح، ويُعلّمنا الكتاب المقدس بكل وضوح عن ذاتية الروح القدس وعن أُلوهيته إذْ نَسَبَ إليه أسماءَ الله الحيّ وصفاتِه وأعمالَه وعبادتَه. فَنَسَبَ إليه أسماءَ الله كَيَهْوَهْ، ونسب إليه الصفات الإلهية كالعِلْم بكل شيء، ونَسَب إليه الأعمال الإلهية كالخَلْق، ونَسَب إليه العبادة الواجبة لله».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٤٢-١٤٣.
(٢) انظر: ص ٤١٤، ونقلت النص بالاختصار.

وبخصوص الأقانيم الثلاثة يقول الدكتور رأفت عَمّاري: «وكلمة أقنوم معناه الشخصية المتحدة؛ أي لا تَواجد لها في حالة انفصال عن شخصية أخرى في لحظة من الزمان. وهنا نرى حقيقة كون الله في وحدة أزلية في ثلاثة أشخاص متّحِدين بصورة متكاملة في ذاته منذ الأزل. ليس اتحاد ثلاثة آلهه معاً. لكن الله الواحد الذي يتألف شخصه المبارك من أقانيمه الثلاثة المباركة منذ الأزل»[1].

وقال أيضاً: «كما أنّ ثلاثة أقانيم تجلس على عرش واحد في صورة دائمة منذ الأزل، وفي ملْك واحد وسلْطة واحدة يدل على أنها ذاتية واحدة لا مَحالة، لأنه لا يُعقل أنْ يجلس مَلِكان في مملكة أرضية على مكان واحد وفي نفس الزمان لمدة دقائق محدودة، فكيف يجلس الله على عرشه في أقانيمه الثلاثة على طول الأزلية لو لم يكن في الحق ذاتاً إلهية واحدة مثلَّثة الأقانيم.

كما أنّ الله لا يفقد وحدانيته عندما يتواجد أقنوم من أقانيمه في نشاط خاص خارج العـرش الذي يجلس عليه، بدليل كونه ذاتية روحية تفوق الأبعاد المادّية التي تتواجد فيها. هناك ظهور للوحدانية الثلاثية في كل لحظة من الأزل إلى أبد الآبدين. فهو ليس ثلاث قطع مادّية تحتاج أنْ تُوصَل معاً في رباط مادي خاص لكي تُرى في وحدة واحدة، لكنها ثلاثة أقانيم روحية متعادلة في الجوهر وفي المحبة وفي الإرادة وفي الوحدة تنتمي لذات الكيان الذاتي الإلهي الواحد. إنها تتمتع في نفس المجد الواحد، وتُعْبَد من الملائكة في ذات القدر الإلهي الواحد»[2].

وقبل الانتقال من هذه العقيدة إلى غيرها أقول: تحصّل لدينا من النقول السابقة وشروحها ما يلي:

---

(١) انظر كتابه: أقنوم الحق الفريد ص ٨.
(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٩.

١ ـ أنّ بولس لم يصرِّح بعقيدة التثليث، ولكنها تُفهم ضمناً من رسائله المصرِّحة بالتثنية (الإله الآب والإله الابن)، إذْ إنّه أعطى الروح القدس دَوْراً إلهيّاً مهّد للتثليث.

٢ ـ أنّ الروح القدس منبثق من الآب والابن معاً، فهو إله مثلهما، ويعادلهما في الجوهر.

٣ ـ أنّ الروح القدس يقوم بأعمال إلهية في هذا الكون ويستحق أن يُعْبَد.

ماذا كانت النتيجة للنقاط الثلاث السابقة؟

قامت الكنيسة في القرن الرابع الميلادي بإقرار ألوهية الروح القدس، وبذلك تمّ إقرار عقيدة التثليث، فالنصارى جميعاً يؤمنون أنّ إلههم له أقانيم ثلاثة: أقنوم الآب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس، وليس عندهم دليل على هذه العقيدة سوى المفهوم الضمني مما كتبه بولس في رسائله، ومَن يتجرأ على إنكار عقيدة التثليث وألوهية الروح القدس فهو كافر خارج من المِلّة عندهم، ومرتدّ عن دينهم.

٥ ـ عقيدة صَلْب المسيح ابنِ الله، للتكفير عن خطايا البشر الأصلية والفعلية، وللمصالحة بين الله والناس، وصيرورته بالصَّلْب ملعوناً (وحاشاه)، ودخوله جهنّم قبل صعوده إلى السماء

هذه العقيدة من أسس الدين الجديد الذي جاء به بولس، ولذلك أكثر التركيز عليها في رسائله، فذكرها بالتصريح والتلميح وبأساليب متنوعة. وأكتفي بالإشارة إلى بعض المواضع التي وردت فيها هذه العقيدة بالتصريح، ثم أذكر نصوصاً منها مع تفسيرها ليتجلّى المراد بهذه العقيدة، كما سأذكر نصوصاً لبعض المواضع التي ذُكِرت فيها هذه العقيدة تلميحاً مع بيان شرحها:

في رسالة بولس إلى أهل رُومْيَة ٥/٦ ـ ٢١، و ٨/٣٢.
وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كُورِنْثُوس ١/٣٠، و ٥/٧، و٨/١١، و ١٥/٣ـ٤ و ٢٢.
وفي رسالة بولس الثانية إلى أهل كُورِنْثُوس ٥/١٤ـ٢١.
وفي رسالة بولس إلى أهل غَلاطِيّة ١/٤، و٢/٢٠ـ٢١، و ٣/١٣.
وفي رسالة بولس إلى أهل أَفَسُس ١/٧، و ٢/١٣ و ١٦، و٥/٢.
وفي رسالة بولس إلى أهل كُولُوسيّ ١/١٤ و ٢٠، و ٢/١٣.
وفي رسالة بولس الأولى إلى تِيمُوثاوس ٢/٥ـ٦.
وفي رسالة بولس إلى تِيطُس ٢/١٤.

وقد اشتمل الأَصحاح الخامس من رسالة بولس إلى أهل رومية على فلسفة الخطيئة والفِداء، وفيما يلي نقل بعض فقراته مسبوقة بنقل آخر فقرتين من الأَصحاح الرابع: «٢٤ـ بلْ مِن أجْلِنا نحن أيضاً الذين سَيُحْسَبُ لنا الذين نُؤمِنُ بمَنْ أقامَ يسوعَ

ربِّنا مِن الأمواتِ (٢٥) الذي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْريرنا (١) فإذْ قدْ تَبرَّرْنا بالإيمانِ لَنَا سَلامٌ مَعَ اللهِ بربِّنا يسوعَ المسيحِ (٦) لأنَّ المسيحَ إذْ كُنّا بَعْدُ ضُعَفاء ماتَ في الوقتِ المعَينَّ لأَجْلِ الفُجّار (٧) فإنّه بالجَهْد يموتُ أحدٌ لأَجْلِ بارٍّ. ربّما لأَجْلِ الصّالح يَجْسُرُ أحدٌ أيضًا أنْ يموت (٨) ولكنّ الله بيَّنَ محبَّتَه لَنا لأنّه ونحنُ بَعْدُ خطاةٌ ماتَ المسيحُ لأَجْلِنا (٩) فبالأولى كثيراً ونحن متبرِّرون الآن بدمِه نَخْلُص به من الغضب (١٠) لأنه إنْ كُنّا ونحن أعداء قد صُولِحنا مع الله بموتِ ابنِه فبالأَوْلى كثيرًا ونحن مُصَالَحون نَخْلُص بحياته (١١) وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله بربِّنا يسوعَ المسيحِ الذي نِلْنا به الآن المصالحة (١٢) من أَجْلِ ذلك كأنما بإنسان واحدٍ دَخَلتِ الخطيَّةُ إلى العالَم وبالخطيّةِ الموتُ وهكذا اجتاز الموتُ إلى جميع الناس إذْ أخطأ الجميعُ (١٣) فإنه حتى الناموسِ كانت الخطيّةُ في العالَمِ. على أنّ الخطيّةَ لا تُحْسَبُ إنْ لم يكنْ ناموسٌ (١٤) لكنْ قد مَلَكَ الموتُ من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يُخطِئوا على شِبْه تَعَدّي آدمَ الذي هو مِثالُ الآتي (١٥) ولكنْ ليس كالخطيَّةِ هكذا أيضاً الهِبَةُ. لأنه إنْ كان بخطيَّةِ واحدٍ ماتَ الكثيرون فبالأَوْلى كثيراً نعمةُ اللهِ والعطِيَّةُ بالنّعمةِ التي بالإنسان الواحِدِ يسوعَ المسيحِ قد ازدادتْ للكثيرين (١٦) وليس كما بواحدٍ قد أَخطأَ هكذا العطيَّةُ. لأنَّ الحُكْمَ مِن واحدٍ للدّيْنونةِ. وأمّا الهِبَةُ فمِن جَرَّى خطايا كثيرةٍ للتّبريرِ (١٧) لأنّه إنْ كان بخطيَّةِ الواحدِ قد مَلَكَ الموتُ بالواحدِ فبالأَوْلى كثيراً الذين يَنالون فَيْضَ النّعمةِ وعطيَّةَ البرِّ سَيَملِكون في الحياةِ بالواحِدِ يسوعَ المسيحِ (١٨) فإذاً كما بخطيَّةٍ واحدةٍ صار الحُكْم إلى جميعِ الناسِ للدّيْنونةِ هكذا ببرٍّ واحدٍ صارتْ الهِبَةُ إلى جميعِ الناسِ لتبْريرِ الحياةِ (١٩) لأنّه كما بمعصيةِ الإنسانِ الواحدِ جُعِلَ الكثيرون خُطَاةً هكذا أيضاً بإطاعةِ الواحدِ سَيُجْعَلُ الكثيرون أَبراراً (٢٠) وأمّا الناموسُ فَدَخَلَ لكيْ تَكْثُرَ الخطيَّةُ. ولكنْ حيثُ كَثُرَتِ الخطيَّةُ ازدادتِ النّعمةُ جِدّاً (٢١) حتى كما مَلَكَتِ الخطيَّةُ في الموتِ هكذا تَمْلك النِّعمةُ بالبرِّ للحياةِ الأبديةِ بيسوعَ المسيحِ ربِّنا».

وقد ورد تفسير الفقرات السابقة عند يوسف العلم في الصفحات ٣٣-٤٠ وأقتطف من تفسيره ما يلي: «اعلمْ أنّ يسوعَ المسيح أنجز سِرَّ الفِداء في قيامته، فكانت

قيامته بمنزلة حدٍّ انتهى إليه في ما عمل، فمن ثَمَّ تُعتبر قيامته وتألّـمه في أمر الفداء كفِعْلٍ واحدٍ أدبي استحق به لنا محو الخطايا والتبرير، ولكنْ قد أُسند الرسول محو الخطايا إلى تألّـمه وأسند التبرير إلى قيامته من وجه أنّ التألم هو الوفاء والكفارة، ومن حيث أنّ المسيح بالقيامة تمّ كونه فادياً ومبرِّراً بتغلّبه على الموتِ فالخطيّةِ إذْ هَدَم ملْك الخطيّةِ التي كانت علّة الموت، ونصَبَ تحْت ملْكه ملْك الحياة والبرّ[1]. . . ومما يوثق لنا أنّ رجاءنا للملكوت السماوي لن يَخيب كون الله أعطانا ابنَه يسوعَ المسيحَ فمات بدلنا. . . إذْ بَذَلَ ابنَه للموت من أَجْلِنا ونحن وقتئذ خُطاةٌ مجرمون وأعداءٌ له مع أنه لا يكاد أحد يموت بَدَلَ المذنبين[2]. . . أي إن كان المسيحُ هدَرَ كُلَّ دمه من أجلنا ونحن خطاة أعداء لأبيه فأوْلى أن ينجيناً ونحن قد تبرَّرنا بدمه ـ وصرنا أولاداً لأبيه ـ من العذاب المعَدّ للأشرار الملاعين[3]. . . . والموتُ الذي نال آدمَ بذنبِهِ وخطيّتِه قد تناول جميع الناس أولاد آدم لأنهم أخطأوا في شخصه حين أخطأ إذ كانوا في صلبه بعد فكانوا منضمين تحته من حيث هو أصلهم ومخرجهم. . . لأنّ الموت دخل بالخطية وبقي متسلطاً على البشر سواء كانت تحسب الخطية أم لم تكن تحسب، وسواء كان الذين يأتيهم الموت ممن أخطأوا وباشروا الإثم بأنفسهم مثل آدم أم لم يكونوا أخطأوا مثل الأطفال، فإنهم ماتوا مع أنهم لم يباشروا خطية بأنفسهم، فموتهم دليل على أنّ خطية آدم وصلت إليهم وعمّتهم. . . فإنّ آدم أفسد الجميعَ بخطية واحدة، وأمّا المسيح فلا يؤتي التبرير من هذه الخطية فقط بل من خطايا كثيرة عديدة، أي من كل ما اقترف الناس ويقترفون من الخطايا، ومن أجل خطية آدم قضي على الجميع بالهلاك[4]. . . لنا في ما قاله الرسول في شأن خطية آدم اعتبـارات مفيدة في العقيدة ودفـع أغواء المبتدعين، فاعلم أولاً أنّ خطية آدم بعينها التحقت بجميع البشر حتى الأطفـال، لا بمعلولاتهـا فقط، فإنّ الرسـول قال: (وبالخطية دخل الموت)، فالمراد إذاً حقيقة الخطية ونفسها، وهي قد اتصلت إلى الجميع

---

(١) الفقرات السابقة من ص ٣٣ في شرح الفقرة ٢٥.
(٢) الفقرات السابقة من ص ٣٦ في شرح الفقرتين ٦ و٧.
(٣) الفقرات السابقة من ص ٣٦ في شرح الفقرة ٩.
(٤) الفقرات السابقة من ص ٣٧ ـ ٣٨ في شرح الفقرات ١٢-١٦.

لا بطريق الاقتداء والتشبه، بل بطريق التسلسل والتناسل الطبيعي، فإنّ الرسول قرر دَفْعات[1] أنّ الخطيَّة دخلت إلى العالم بآدم دُخولَ البِرِّ بربنّا يسوعَ المسيح، ومن المعلوم أنّ البِرّ اتصل إلينا بنفسه وحقيقته باتِّلادِنا[2] بالروح في يسوع المسيح، فإذاً والخطيّةُ كذلك قد اتصلت إلينا لا بمفاعليها فقط، بل هي هي بعينها شملت أهلَ العالَم؛ لأنهم قد أخطأوا في شخص آدم إذْ كانوا مُنْضَمِّين تحته وضاوين في شخصه من وجه كونه أصلهم وأباهم انضماماً أدبيّاً حسب حُكْمِ الله، وإلا فكيف يُتصوّر الخطآء في الجميع حتى الأطفال كما قال الرسول في العدد الرابع عشر، حيث استَدلّ بتسلط الموت على الأطفال أنّهم أخطأوا في شخص آدم»[3].

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل كُورنْثُوس ٥/٧ «لأنّ فِصْحَنا أيضاً المسيحَ قد ذُبِحَ لأَجْلِنا».

وقد علّق يوسف العلم قائلاً في شرحها[4]: «اعلمْ أنّ المسيحَ حَمَل اللهِ شُبِّه بخروف الفِصْح من وجوه: **أولها**: كون خروف الفِصْح برشاش دمِه على أُسْكُفَّةِ أبوابِ اليهودِ خَلَّصهم من المَلاكِ الذي ضَرب أبكار مصر، هكذا المسيح فإنّه برشاش دمِه على قلوبنا بالإيمان والأسرار خَلّصنا من الموتِ الأبدي».

ويؤكد بولس على أنّ عقيدة الفِداء هذه ليست من اختراعه بل تَسلّمها بطريق الوحي، فهو يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥/٣ «فإنّني سَلّمت إليكم في الأَوّل ما قَبِلْتُه أنا أيضاً أنّ المسيحَ ماتَ من أَجْلِ خطايانا حَسَبَ الكُتُبِ».

(١) يقصد مرات كثيرة.
(٢) بمعنى: ولادتنا. انظر: لسان العرب ٣/٩٩.
(٣) الفقرات السابقة من ص ٣٩ في شرح الفقرة ١٩.
(٤) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٦٣.

قال يوسف العلم في شرحها[1]: «أيْ ومِن جُملة الأمور المُهِمّة التي تَسلّمتها من ربِّنا وسلّمتُها إليكم أنّ المسيحَ مات من أَجْل خطايانا».

ومن أجل المصالحة بينْ الله وبينْ الناس قَبل المسيحُ أن يكون هو نفسُه خطيئةً ولَعْنةً، فقد ذكر بولس فلسفة المصالحة هذه في رسالته الثانية إلى أهل كُورنْثُوس ٥/١٤-٢١، وفيما يلي بعض فقراتها: «١٤- لأنّ محبَّةَ المسيحِ تَحْصُرُنا. إذْ نحن نَحْسِبُ هذا أنّه إنْ كان واحدٌ قد ماتَ لأَجْل الجميعِ فالجميعُ إذاً ماتوا (١٥) وهو ماتَ لأَجْل الجميعِ كيْ يعيشَ الأَحياءُ فيما بَعْدُ لا لأَنفسِهم بلْ للذي ماتَ لأَجْلِهم وقامَ (١٨) ولكنّ الكُلَّ مِن اللهِ الذي صَالَحَنَا لنفسِه بيسوعَ المسيحِ وأعطانا خِدْمةَ المُصالَحة (١٩) أيْ إنّ الله كان في المسيحِ مُصالِحاً العالَمَ لنفسِه غيرَ حاسِبٍ لهم خطاياهم وواضِعاً فِينا كلمةَ المُصالَحة (٢٠) إذاً نسْعَى كَسُفَراءَ عن المسيحِ كأنَّ اللهَ يَعِظُ بنا. نَطْلُبُ عن المسيحِ: تصالَحُوا معَ الله (٢١) لأنّه جَعَل الذي لم يَعْرِفْ خَطِيَّةً خَطِيَّةً لأَجْلِنا لِنَصِيرَ نحن بِرَّ اللهِ فيه».

ونص الفقرات الأربع الأخيرة في طبعة اللاتين كما يلي: «١٨ - وهذا كلُّه من اللهِ الذي صَالَحَنا على يدِ المسيحِ وعَهِدَ إلينا في خِدْمَةِ المُصالَحةِ (١٩) لأنَّ الله صالَح العالَم في المسيحِ ولمْ يُحاسِبْهم على زَلَّاتِهم وَجَعـل على أَلْسِنَتِنا كَلامَ المُصالَحة (٢٠) فنحن سُفَراءُ المسيحِ وكأنَّ الله يَعِظُ بأَلْسِنتنا. فنسأَلُكم باسمِ المسيحِ أنْ تُصالِحوا الله. ذاك الذي لم يَعْرِفِ الخَطِيئةَ جعلَه اللهُ خَطيئَةً مِن أَجْلِنا كيْما نَصِيرَ به برَّ الله».

ويتضح من النقـول السـابقة أنّ بولس لمْ يَجعل المسيحَ وحده فقط هو سفير المصالحة بينْ الله وبينْ الناس، بل جَعل بولسُ نفسَه أيضاً مُشارِكاً المسيحَ في هذه المُصالَحة، وكرّر هذا المعنى في الفقرات ١٨ و ١٩ و٢٠، فالله أعطاه خِدْمةَ المصالحة،

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٤٩.

وجعَل على لِسانه كلمةَ المُصالَحة، وهو سفير المسيح في هذه المُصالَحة، وأقتطف من شرح يوسف العلم لكلام بولس السابق ما يلي: «لأنّ المسيحَ ما ذاق الموتَ عن الجميعِ وأنْجاهم من موت الخطيّةِ إلا ليعيش الجميع . . . ثم إنّه ـ أي الله ـ جَعَلَنا مُعاونين له في مصالحة الناس معه تعالى، حيث أُرسلَنا نبشّر الناس ونَعظُهم للتوبة، ونُعمِّدهم ونَغفِرُ لهم خطاياهم[1] . . . أي إنّ الله الآب صالح الناس بواسطة المسيح حيث غفر لهم خطاياهم بِوَفَا المسيح عنها، وأرسلَنا نحن معاشر الرسل نَعِظ الناس ليتوبوا ويؤمنوا[2] . . . أي إنّ الله الذي صالح العالم بالمسيح قد أرسلَنا نحن بدل المسيح، وهو يطلب منكم بلساننا أنْ تُصالحوه، ونحن نطلبُ بَدَلَ المسيح أنْ تعملوا كذلك، فتوبوا إذاً وآمنوا وتأثّروا من فرط رحمة الله وتَنازُلِه؛ لأنه سبحانه مع أنّه هو المُهانُ منكم قد أَرسل يسترضيكم ويدعوكم إلى أنْ تُصالحوه ـ تأمل ما أفطن الرسول في استجلاب القورنثيين إلى التوبة[3] . . . . . أيْ ومما يحثّكم على أنْ تتوبوا إلى الله هو كون الله يحبّ كثيراً أنْ يُصالحكم، إذْ إنه تعالى أَحال العقوبة المتوجبة لكم إلى ابنه فأذاقه العذابَ والموتَ بدَلَنا كأنه خاطىء بل أكبر الخطاة مع أنه لم يعرف الخطِيّة، أيْ لم يصنعْ خطِيّة . . . وكل ذلك لنكون أبراراً لدى الله ومقرَّبين إليه، وقول الرسول: (صيّره خطِيّة) هو كقوله: صيّره لَعْنة»[4].

ويقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية ١/ ٤ و٢/ ٢٠-٢١ و٣/ ١٣ «. . . . . .ربّنا يسوعَ المسيحِ (٤) الذي بَذَل نفسَه لَأجْل خطايانا لِيُنْقِذَنا مِن العالَمِ الحاضِرِ الشرِّير حَسَبَ إرادةِ اللهِ وأبينا(٢٠) مَعَ المسيحِ صُلِبْتُ فأَحْيا لا أنا بلِ المسيحُ يَحْيا فيَّ. فما أَحْياهُ الآن في الجَسدِ فإنما أَحْياهُ في الإيمان إيمان ابنِ اللهِ الذي أَحبَّني وأَسْلَم نفسَه لَأجْلي(٢١) لسْتُ أُبْطِل نعمةَ اللهِ. لأنّه إنْ كان بالناموسِ برٌّ فالمسيحُ إذاً ماتَ

(١) انظر: شرح الفقرة ١٨ ص ٢٩٤.
(٢) انظر: ص ٢٩٤-٢٩٥ في شرح الفقرة ١٩.
(٣) هذا من شرح الفقرة ٢٠ ص ٢٩٥.
(٤) هذا من شرح الفقرة ٢١ ص ٢٩٥.

بلا سَبَب(١٣) المسيحُ افتـدانـا مِن لَعْنَةِ الناموسِ إذْ صارَ لَعْنَةً لأجْلنا لأنّه مكْتوبٌ مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ على خَشَبَةٍ».

يقول يوسف العلم في شرح هذه الفقرات: «يعني أنّ المسيحَ بَذَل نفسَه للموت كفّارة عن خطايانا وتطهيراً لنا من القبائح التي تُفْعل في هذا العالَم الفاسد، وكان بَذْلُ المسيح نفسَه بحسب مشيئة أبيه[1]..... قال الذهبي: وقول الرسول (الذي أحبَّني وبَذَلَ نفسَه عنّي) يُوجِب على كُلِّ من الناس أن يَحْمد المسيحَ كما لو كان المسيحُ قد ماتَ لأجْله وحده، على أنّ المسيحَ ما كان يأبى أنْ يموت لأجْل واحدٍ فقط؛ لأنّه يُحِبّ كُلاًّ من الناس كما يُحِبّ كلَّ الناس هذا، وموت المسيح ينفع كلَّ واحد من الناس كما لوكان لأجْلِه وحده[2] ...... أي ولستُ أجحد نعمةَ الله أو ألغيها كغيري من القائلين بأنّ البِرَّ هو من الناموس لا مِن الإيمان، لأنه إنْ كان البِرّ من الناموس كما يقولون فالمسيحُ لا منفعة من موته؛ لأنّه إنما مات ليحقق لنا البِرّ بموته ويَكسب لنا الخلاص[3].... ولكنّ المسيح قد افتدى الذين يؤمنون به من اللعنة حيث صار لَعْنةً من أَجْلهم، وذلك بتحمّلهِ على نفسه ما كان على الناس من اللعنة والخطيّة... وقد أوفَى عنهم بموته وصار لَعْنةً من أَجْلهم بتعلّقه على الصليب؛ لأنّ كُلَّ مَنْ عُلّق على خَشَبةٍ ملعون، فالمسيح بتعلّقه على خَشَبةِ الصليب جلَبَ على نفسه هذه اللعنة، أي صار ملعوناً، وذلك لينجي الذين يؤمنون به من اليهود من لعنة الناموس، فالواجب إذاً تَرْك الناموس واتّباع المسيح والإقامة على إيمانه، ولكن المسيح لم يُنجِ اليهود فقط، بل قد أنجَى جميعَ الناس من لَعْنةِ الخطيّة..... لأنه لمّا تجسّد ظَهَر في شَكْل جسد الخطيّة، أي بجسد خاطىء، لأنه تحمّل في جسده ما هو واجب على الخطاة من العذاب والعقاب، وكذلك لمّا عُلّق على خشبة الصليب ظَهَر في شكْل ملعون؛ لأن الذي كان يُعَلّق على خشبة كان ملعوناً

(١) هذا في شرح الفقرة ٤ ص ٣٣٨.
(٢) هذا من شرح الفقرة ٢٠ ص ٣٥١.
(٣) هذا من شرح الفقرة ٢١ ص ٣٥٢.

كما كُتِب في سفر التثنية اصحاح ٢١[١]، وكانوا يدفنونه في يوم موته تعجيلاً في محو ذكره؛ لأنّ عذاب الخَشَبةِ كان مخصوصاً بِشَرِّ الخُطاةِ وأَكْبرِ الأثَمَةِ»[٢].

فهل رأيتَ فلسفة أعقم من فلسفة البِرّ والخطيئة والكفّارة والفِداء في نظر بولس؟! وها هو يؤكد ذلك في مواضع من رسالته إلى أهل أَفَسُس، وأكتفي بنقل الموضع الأول منها، فهو يقول فيها ١/٧-٩ «٧ ـ الذي فِيه لَنا الفِدَاءُ بدمِه غُفرانُ الخَطَايا حَسَبَ غِنَى نِعمتِه(٨)التي أَجْزَلَها لنا بكُلِ حِكْمةٍ وفِطْنةٍ(٩)إِذْ عَرَّفنا بِسِرِ مشيئتِه حَسَبَ مسَرَّتِه التي قَصَدَهَا في نفسِه».

وقد قال يوسف العلم في شرح هذه الفقرات[٣]: «أيْ وبالمسيحِ تخلَّصْنا من عُبودية الخطيَّةِ والشيطانِ إذْ دفَع عنّا نفسَه فديةً كريمةً وهدَر دمه الكريم لغفران خطايانا، وهذه النعمة أَعظم من النِّعم المشار إليها قَبْلاً؛ لأنّه لا نِعمة أعظم من هَدْرِ دمِ ابنِ الله لأجْلنا، ولا مَأْثرة أكرم من أنّ الله الآب لم يشفقْ على ابنهِ من أَجْلنا. . . . . أيْ وهذه النِّعمة الباهرة زادَها الله للمؤمنين إذْ آتاهم من لَدُنْه كلَّ حِكْمةٍ ومعرِفة وكلَّ فَهْمٍ وحَزْمٍ، وعلى الخصوص نحن معشر الرسل؛ فإنّه أَعطانا معرفةَ الأسرار والعقائد وحُسْن التدبير والسياسة. . . . . أيْ وبما أَفاضَه في عقولنا من الحِكْمة والمعرفة أَعْلَمَنا ما كان في مشيئتِه وقصدِه من افتداء الناس بابنِهِ، وهذا يُدْعَى سِرّاً لأنه كان غير معلوم».

وقد ذكر بولس عقيدة الفداء أيضاً في مواضع من رسالته إلى أهل كُولُوسّي مؤكِّداً على مسألة المصالحة بيْن الله وبيْن الناس، فهو يقول فيها ١/١٤ و٢٠ «. . . ابنِ محبَّتِه(١٤) الذي لَنا فِيه الفِدَاءُ بدمِه غُفرانُ الخَطَايا(٢٠) وأَنْ يُصالِحَ بِهِ الكُلَّ لَنَفْسِه عامِلاً الصُّلْحَ بدمِ صليبِه بواسطتِه سَوَاءٌ كان ما على الأرض أم ما في السموات».

---

(١) في سفر التثنية ٢١/٢٣ (لأنّ المعَلّقَ ملعونٌ من الله).

(٢) الشرح السابق من ص ٣٥٥ و٣٥٦.

(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٨٦-٣٨٧.

وفيما يلي نص شرح يوسف العلم للفقرة ٢٠ : «يعني أنّ الله الآب أراد أيضا أنْ يُصالح السماويّين والأرضيّين لنفسه بواسطة المسيح ، فإنّ المسيح هو الذي أزالَ العداوةَ التي كانت بينْ أهل السماء والأرض بسبب الخطيَّة ، فَصَالَح بينْ الفريقين حيث أراق دمَه على الصليب مَحْواً للخطيَّة التي كانت مجْلَبَةً للابتعاد والعداوة بينْ الملائكة والبشر[١]. . .
نعم إن المسيح صَالَحَنا مع الله وفَدَانَا من أسْرِ الخطيَّة ليقيمنا لنفسه كنيسة مقدّسة لا عيب فيها وإنّ آلامه كانت وافية وكافية لذلك لا بل زائدة بكثير»[٢].

ويؤكد يوسف العلم على أنّ الغفران كان لجميع الخطايا الأصليَّة والفعليَّة[٣].

ومما يُؤخذُ على النصارى في هذه العقيدة أنه يُفْهَم من رسائل بولس أنّ المسيح مات كفّارة عن جميع الناس، سواء مَن آمن به أو مَن لم يؤمن، ولذلك لا ضرر على المسلمين في إنكارهم أُلوهيته وبُنُوَّته لله ، ولا في إنكارهم التثليث، ولا ضرر على اليهود في كفرهم برسالته وقولهم على أُمّهِ مريم بهتانا عظيماً؛ لأنّ موت المسيح على الصليب ـ بزعمهم ـ كان كفارة عن جميع الناس المؤمنين به والكافرين أيضاً، ففي رسالة بولس إلى أهل روما ٥ / ٦ و١٨ على حسب طبعة اللاتين ما يلي : «٦ ـ مات المسيحُ في الوقتِ المحدَّد مِن أَجْل قومٍ كافرين(١٨) فَكَمَا أنّ زَلَّةَ إنسانٍ واحد جَرَّتِ الهلاكَ على جميعِ الناس فكذلك برُّ إنسان واحد يأتي جميعَ الناس بالبرِّ الذي يَهَبُ الحياةَ». وقد عُلّق في الهامش بما يلي: «كان المسيحُ خَلاصاً للناس كما كان آدمُ سببَ هلاكِهم بالخطيئة».

ويؤكد بولس في رسالته الأولى إلى تِيموثاوس على أنّ المسيح فَدَى جميعَ الناس فهـو يقـول فيها ٢ / ٥-٦ : «٥- لأنّه يُوجَدُ إلهٌ واحدٌ ووسيطٌ واحدٌ بينْ اللهِ والناسِ الإنسانُ يسوعُ المسيحُ(٦) الذي بَذَلَ نفسَهُ فِدْيَةً لأجْلِ الجميعِ الشهادةُ في أوقاتها الخاصّة».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٥٢ .
(٢) هذه الفقرة الأخيرة من المرجع السابق ص ٤٥٤ .
(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٥٨ .

قال يوسف العلم في الشرح[1]: «أيْ وبيان كون الله يريد أنْ يخلص جميع الناس هو أولاً : من حيث إنّه إلهُ الجميعِ وربُّ الكُلِّ وخالقُهم، فيحِبُّ الكلَّ بحسب كونهم عباده وخلْقه ويريد خلاصهم أجمعين. ثانياً : من حيث إن يسوع المسيح هو وسيط الجميع عند الله فيريد مُصالحةَ الجميع مع الله، وفَضْل توسّطه عامّ للكلّ. ثالثاً: من وجه أنّ المسيح بَذَل نفسه فِدْية عن الجميع فيريد خلاص الجميع، وكان بَذْلُه نفسَهُ شهادة لعَدْل الله ومحبته البشَر ودلالة على أنه يريد أنْ يُخَلِّصهم».

فانظر إلى سِرّ العَدْل والفِداء عند بولس: إنه تمّ بتجسد ابن الله في المسيح لِيُصْلَبَ ويموتَ ملعوناً تكفيراً عن آدم وأولاده جميعهم، وتطهيراً لهم عن جميع خطاياهم الأصلية والفعلية، وكان جُلُّ غرضِه من هذا التجسّد والنزول إلى الأرض والموت مصلوباً أنْ يُقِيم لنفسه جماعة خالية من كلّ عيْب، وشعباً جديداً مختاراً يعبده بالروح وليس عليه شيء من أدناس الإنسان العتيق وأخلاقه[2].

وانظر ما أَقبحَ هذه العقيدة إذْ إنهم ما خجلوا من وصْفِ المسيح ربِّهم وإلههم باللعنة ـ وحاشاه ـ وتوهموا أنه ينطبق عليه ما ورد في سفر التثنية ٢١/٢٢-٢٣ كما يلي: «٢٢ ـ وإذا كان على إنسانٍ خطيَّةٌ حقُّها الموتُ فقُتِل وعَلَّقْتَه على خَشَبةٍ (٢٣) فلا تَبِتْ جُثّته على الخَشَبَةِ بلْ تدْفِنهُ في ذلك اليومِ لأنَّ المُعَلَّقَ ملعونٌ مِن اللهِ».

ونقل بولس ذلك في رسالته إلى أهل غَلاطِيَّة ١٣/٣ فقال: «المسيحُ افتدانا من لَعْنةِ الناموسِ إذ صار لَعْنةً لأجْلِنا لأنّه مكتوبٌ: مَلْعونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ على خَشَبَةٍ».

ولم يكتفوا بوصْف المسيحِ باللعنةِ بل أدخلوه جهنّم، إذْ تعتقد بعضُ فرق النصارى أنّ المسيح بعدما صُلِب ومات دخل جهنم وأنجى أرواحَ الأشرارِ والفَسَقة الهالكين.

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٢١.
(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٩٦ في شرح فقرة رسالة بولس إلى تيطس ٢/١٤.

ففي رسالة بولس إلى أهل رُومِيَة ١٠/٦-٩ «٦ ـ وأمّا البرُّ الذي بالإيمانِ فيقولُ هكذا لا تَقُلْ في قَلْبِك مَنْ يَصْعَدُ إلى السماءِ أيْ لِيُحْدِرَ المسيحَ(٧) أوْ مَنْ يَهْبِطُ إلى الهاويةَ أيْ لِيُصْعِدَ المسيحَ من الأمواتِ(٨) لكنْ ماذا يقول. الكلِمةُ قريبةٌ مِنكَ في فَمِكَ وفي قَلْبِكَ أيْ كلمةُ الإيمانِ التي نَكْرِزُ بها(٩) لأنّك إنِ اعترفْتَ بفمِكَ بالربِّ يسوعَ وآمنْتَ بقلْبِكَ أنّ اللهَ أقامَهُ من الأمواتِ خَلَصْتَ».

ونصّ الفقرة السابعة في تفسير يوسف العلم كما يلي: «ومَن الذي نَزل إلى الجحيمِ وأَصْعَدَ المسيحَ مِن بينْ الأموات».

قال يوسف العلم في تفسير الفقرات السابقة(١): «يكفي أنْ يُؤمَنَ بالمسيح دون رؤية ومعاينة، ودون تعب في البحث والاستقصاء عمّن أنزله من السماء وأَصعَده مِن بينْ الأموات، إذْ يكفي الإيمان به أَنّه نزل من السماء وقام من الموت حقّاً. . . . . وإنما ذكر الرسول قيامة المسيح بالخصوص لأنها تتضمَّن باقي أسْرار الفِداء مِن حيثُ أنّ سِرَّ القيامة آخر الأسرار».

وفي رسالة بولس إلى أهل أَفَسُسَ ٣/١٧-١٨ و٤/٩-١٠ «١٧ ـ لِيَحُلَّ المسيحُ بالإيمانِ في قلوبكم(١٨) وأنتم مُتأصِّلون ومُتأَسِّسون في المَحَبَّةِ حتى تستطيعوا أنْ تُدْركوا مَعْ جميعِ القدِّيسين ما هو العَرْضُ والطُّولُ والعُمْقُ والعُلُوُ(٩) وأَمّا أنّه صَعِدَ فما هو إلا أنّه نَزَلَ أيضاً أوّلاً إلى أَقْسامِ الأرضِ السُّفلى (١٠) الذي نَزَلَ هو الذي صَعِدَ أيضاً فَوْقَ جميعِ السماواتِ لكَيْ يَمْلأَ الكُلَّ».

وقد شرح يوسف العلم هذه الفقرات(٢) مبيِّناً أنّ جُودَ الله امتدّ طُولاً وعَرْضاً، وعُلواً وعُمقاً، ومِن جُودِ الله الممتدّ عُمقاً إدخاله المسيحَ في جهنّم لنجاةِ الهالكين، فهو

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٨٣.
(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٠٠-٤٠٣.

يقول في الشرح: «وأمّا عُمقاً فَلانحطاطِ المسيحِ إلى أَسفلِ أَعماقِ الاتّضاع في تجسّده أو لِانحداره في مَوتِه إلى الجحيم لإِصعادِ النفوس التي كانت محبوسةً فيه على ما فسّر بعضهم[1]. . . . وأَثبْتَ هنا كون المسيح نَزل إلى الأرض وأَسافلِ الجحيم، ثم ارتقى إلى أعلى مرتبة بيْن السماويين»[2].

وأَعودُ لعقيدة الصَّلْبِ والفِداءَ لأنقلَ ما قيل فيها في قاموس الكتاب المقدّس[3]: «وأمّا عند الرومان فكان الصلْب قصاصاً للعبيد أو لمن يرتكب أقبح الجرائم، وإلى موت المسيح وحتى بعده كان الصليبُ علامةَ الذلِّ والعارِ، ولكنْ بَعْدَ آلامِ يسوع صار أَتْباعه يَنظرون إلى الصليب نظرة مختلفة بالكليّة، فقد افتخر بولسُ بصليب المسيح الذي تمّ فيه الفِـداء، فإنّ الله يُصالِح الإنسانَ إذْ يكفّر عنه المسيح بذبيحته، وقد أعطى الله الرسلَ كسفراء عن المسيح أنْ يُتَمِّمُوا خِدْمةَ المصالَحةِ بيْن الله والناس، أمّا كفارة المسيح بذبيحته فهي أساس الإيمان المسيحي، وبواسطتها تُسْتَرُ الخطايا، إذْ يصير المسيحُ لعنة لأجْلنا، والمسيح كفّارة ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كلِّ العالَم».

وقد ألفّ الدكتور رأفت عمّاري كتاباً سمّاه: ملامح الألوهِيَّة، وأنقل من هذا الكتاب بعض فقراته:

«إذْ قد رأى المسيحُ اللعنةَ التي يلاقيها كلُّ مَنْ عُلّقَ على خَشَبَةٍ؛ كما هو مكتوب (كُلُّ مَنْ عُلّقَ على خَشَبَةٍ مَلْعونٌ) وأرادَ أن يَدفعَ لعنةَ الخطيَّةِ عنا جميعاً. فهو العلاج الصعب الذي قَبِلَه وتجسّد من أَجْلِه يسوع، لذا فكان عدم اكتشافِ الرسلِ لقصدِ المسيحِ الأول في التجسّد فَجْوة عظيمة في اتّباعهم له»[4].

---

(١) هذا النص في شرح الفقرة ١٨ ص ٤٠٠.

(٢) هذا النص في شرح الفقرة ٩ ص ٤٠٣.

(٣) انظر: ص ٥٤٥-٥٤٦، ونقلت النص بالاختصار.

(٤) انظر: ص ٦٣.

«الصليبُ وحده يُكْرِم الله ويَجْعل عدالَتَه مُكرمة كإلهٍ عادل، لأنّ المصلوبَ البارَّ قد تحمّل عمليّاً وتاريخيًا أقسى درجات العذاب حتى الموت مِن أَجْلِنا، لذا لم يَعُدْ في مقدور مَلاكٍ أن يَشْكُوَ الله في عدم العدالة، في حالة قبوله للخاطىء الذي اتّكل على صليب المسيح. الصليب وحده يجعل الله شخصيةً نَبِهَةً فَطِنةً لحاجات الإنسان الأدبية، وهو قد خُلِقَ كائناً حسّاساً من السهل أنْ يَسقُط بسهولة مِن أعداء البشرية ألا وهُمْ أرواح الضلال. الصليبُ وحده يَكْشِف أنّ اللهَ كائنٌ محبٌّ بالحقّ، إذْ إنّ إلهاً يستعدّ للذهاب حتى لخشبة العار يدلّ على أنه إلهٌ يملِك محبَّةً حقيقيةً عظيمةً للإنسان المخلوق منه، فلا فكرة تُظْهِر محبَّةَ الله واهتماماتِه الحقيقيّة في الجِبِلَّة البَشَرِيّة مثل الصليب»[1].

«لذا نَعرف بأنّ صليبَ المسيحِ هو صليب اللاهوت الحقيقي، لأنّه قد أَشَعَّ نُورَ العفوِ والمُسامحةِ في كلِّ مجتمعٍ قدْ دَرَسَهُ وقَبِلَه وآمن به، وتعامل مع شَخْص المصلوب المبارك»[2].

«فَتَدَرُّج المسيح من المجْدِ فوق العرش لعار الصليب هي معجزةُ الانحصار اللاهوتي الفريد. فلا أحد غير الله الذي ظهرتْ قوَّتُه في إقامة الموتى وفي تَهْدِئَةِ العواصف، يَقْدِر على الوصول للصليب. إذْ أنّ الملائكة سوف تعجز أنْ تَحْصُرَ ذاتها بسبب بهائها، في ذلك المصير وعلى تلك الخشبة. فنادراً ما نجد عظيماً قد تخلّى رأساً عن مكانته وغناه وعاش بينْ الفقراء في الملاجىء. ولكنّ الله لأنّه الله القادر على كل شيء قَدِر أنْ يَحْصُر كرامته اللاهوتية ويتناسى أنه الشخصية المُكَرَّمة الذي يجب أنْ يُرْهَبَ دائماً ويُخْدَمَ دائماً. من أَجْل أنْ يَضَعَ نفسَه في حالةِ الإهانة والعار»[3].

---

(١) انظر: ص ٧٥.
(٢) انظر: ص ٨٩.
(٣) انظر: ص ١٩٠.

«ثم اللاهوت الكامل يتحمل أعلى درجة من العذاب النفسي والمعنوي والتعيير وهو في أردأ حالة جسدية ونفسية؛ أي في حالة الاحتضار والموت. فالمحتضر يُلاطَف حتى مِن أعدائه، يُساعَد في الماء وفي كلام التشجيع، لكنّ ابن الله لم يُشَجَّعْ من اللصِّ الجالس بجانبه. بل كان يُعَيَّر ويُجَرَّب، من حيث أنّ الله لا يَجِب أنْ يُجَرَّب من أحد وتُمْتَحَن قُوَّته مِن أحد، حتى لو جلس في جسد ضعيف على عُود الصليب»[1].

«نعم تألّم ابنُ الله في الجسد ومات على الصليب دون أن يَخسر جوهرُه قدرتَه وتَفوُّقَه الإلهي الدائم الأزلي، بل إنّ جوهرَه قد ظَهَر بوضوح في لحظة الموت العظيم مُظْهِراً أنّ الذي مات يَمْلِك هويةَ اللاهوت القوي عينه. . . . . ولعل أكبر برهان على اللاهوت السامي قد كان في القيامة. فلمْ يوجَدْ برهان في الكون يعادل البرهان الذي عَرَّف المسكونـةَ في هويّةِ ابنِ الله. فكـلّ البراهين التي يستخدمها الناس في إثبات عقائدهم الهندسية ونظرياتهم محدودة وصغيرة، لكنّ برهان إعلان هويّة يسوع كابن الله هو أكبر برهان عُرف في المسكونة في كل تاريخها، وهو إقامة يسوع مِن بينْ الأموات. إنه البرهان الذي يَدلّ على أنّ الشخص الذي ماتَ ودُفِنَ جَسَدُه هو اللهُ بذاته، أقنومٌ من الله المثلّث الأقانيم الواحد»[2].

وعندما قرأتُ كلامَ الدكتور رأفت فهمتُ منه أنّه طَعَن فيه على الحواريين الذين لم يكتشفوا سِرَّ التجسّد والصلْب كما اكتشفه بولس، وشكَّكَ في إخلاصهم للمسيح، وأشار إلى ذكاءِ الله وفطانتهِ بقبوله الصليب صليب اللاهوت الحقيقي، فلا أحد يقدر أنْ يَضَعَ نفسَه على الصليب في حالةِ الإهانة والعار إلا الله، الذي تحمّل أعلى درجات العـذاب وهـو في أردأ حالة جسدية ونفسية عند الاحتضار للموت، ولمْ يَظْهَرْ جوهرُ الألوهية الدائم الأزلي إلا في لحظة الموت العظيم، فالشخص الذي صُلب ومات ودُفِن جسده هو الله بذاته أقنوم من الله المثلث الأقانيم.

---

(١) انظر: ص ٣١١.

(٢) انظر: ص ٣٢٢.

٦ - عقيدة أنّ مواعيدَ الله لإبراهيم تحققت بنسل ابنه إسحاق لا بنسل ابنه إسماعيل، فيكون عيسى هو المبشَّر به في الكتب السماوية وليس هو محمد صلى الله عليه وعليهم وسلّم تسليماً كثيرا

لا أريدُ هنا أنْ أنقل صفات النبي المبشَّر به في التوراة والإنجيل، ولكنْ أكتفي بذكر المواعيد التي يشير إليها بولس كثيراً في رسائله؛ ليركّز في الأذهان أنّه لمْ ولَنْ تتحقق مواعيد الله لإبراهيم وذريته عن طريق إسماعيل عليهما السلام، فمن هذه النصوص:

ما ورد في سفر التكوين ١٥/١٨ «في ذلكَ اليوم قَطَعَ الربُّ مَعْ أَبْرامَ مِيثَاقاً قائِلًا: لِنَسْلِكَ أُعطِي هذه الأرضَ مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إلى النَّهْرِ الكبيرِ نَهْر الفُرَاتِ».

وفي سفر التكوين ١٧/٢ - ٨ «٢ - فَأَجْعَلَ عَهْدِي بيْني وبيْنَكَ وأُكَثِّرك كَثِيراً جدّاً(٣) فَسَقَطَ أَبْرَامُ على وَجْهِه وَتَكَلَّمَ الله مَعَهُ قائِلًا(٤) أمّا أنا فَهُوذَا عَهْدِي مَعْك وتَكونُ أباً لجُمْهُورٍ مِن الأَمَمِ (٥) فَلا يُدْعَى اسمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بل يكونُ اسمُكَ إبراهِيمَ لأنّي أجْعَلُكَ أَباً لجُمْهُورٍ مِن الأمَم (٦) وأُثْمِرُكَ كَثِيراً جِدّاً وأَجعَلُكَ أُمَماً. ومُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُون(٧) وأُقِيمُ عَهْدِي بَيْني وبَيْنَكَ وبَيْنَ نَسْلِكَ من بَعْدِكَ في أَجْيالِهم عَهْداً أَبَدِيّاً لأكُونَ إلهاً لَكَ ولِنَسْلِك مِن بَعْدِكَ(٨) وأُعْطِي لَكَ ولِنَسْلِكَ مِن بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكاً أَبَدِيّاً وأَكُونُ إلهَهُمْ».

إنّ اليهودَ حقدوا على عيسى عليه السلام عندما عَنَّفهم ووبَّخهم لخروجهم عن أحكام التوراة الصحيحة، وطالَبهم بالحُكْم بما فيها والالتزام بشرائعها وحدودِها، وزاد حِقدُهم وغيظُهم عليه عندما بشَّرهم بمحمد نبي آخر الزمان، فقد كان اليهودُ يأملون أنْ يكون منهم نبي آخر الزمان، المذكورة أوصافه في كتبهم، ولكنّ عيسى عليه السلام صارَحهم بالحقيقة التي جرحت قلوبهم، وهي أنّ الله شاء أنْ ينقل النبوة من ذرية

إسحاق إلى ذرية إسماعيل ابن الأمَةِ هاجر، التي كانت محتقرة عندهم هي وابنها، وأنّ مواعيد الله لإبراهيم عليه السلام بتكثير نَسْلِه عدد رمال الصحراء لن تتحقق بواسطة إسحاق جَدّ بني إسرائيل وأخي إسماعيل، بل ستتحقق بواسطة إسماعيل جَدّ العرب، وعليه فإنّ النبي الموعود به في الكتب سيَظهر في العرب ومنهم، وعندها جُنّ جنون اليهود وثارتْ ثائرتهم، فدبّروا لعيسى مكيدة عند الحاكم الروماني لفلسطين، ولم تهدأ ثائرتهم بقتل الشَّبَهِ على الصليب، بل حاربوا أتباعه وتعاليمه بعد رفعه، حرباً مادّية جسدية، وحرباً فكرية عقائدية تعليمية، فكان المتكفِّل بالحرب الفكرية العقائدية هو شاول بولس، الذي أَصرَّ في رسائله على أنّ النبي المبشَّر به في الكتب هو عيسى ابن الله، الذي هو من نسْل إسحاق (الذبيح)[1]، وهو الذي عن طريقه تحققتْ مواعيدُ الله لإبراهيم. وفيما يلي نصوص هذه العقيدة من رسائل بولس وشرحها.

لقد فَلْسف بولس عقيدةَ الوعد لإبراهيم في رسالته إلى أهل رُومِيَة ٩/٤-١٢ فقال: «٤ ـ الذين هُمْ إسرائيليّون ولَهُمُ التبنّي والمَجْدُ والعُهودُ والاشْتِرَاعُ والعِبادةُ والمَواعِيدُ (٥) ولَهُمُ الآباءُ ومنْهُمُ المسيحُ حَسَبَ الجَسَدِ الكائنُ على الكُلِّ إلهاً مباركاً إلى الأبدِ آمينَ(٦) ولكنْ ليس هكذا حتى إنّ كلِمةَ اللهِ قد سقَطَتْ. لأنْ ليس جميعُ الذين مِن إسرائيل هُمْ إسرائيليّون(٧) ولا لأنهم مِنْ نَسْلِ إبراهيمَ هُمْ جميعاً أولادٌ. بلْ بإسحاقَ يُدْعَى لكَ نَسْلٌ (٨) أيْ ليسَ أولادُ الجَسَدِ هُمْ أولادَ اللهِ بلْ أَوْلادُ المَوْعِدِ يُحْسَبُون نَسْلًا (٩) لأنّ كَلِمَةَ المَوْعِدِ هي هذه. أَنا آتي نَحْوَ هذا الوقتِ ويكونُ لِسارةَ ابنٌ (١٠) وليسَ ذلكَ فَقطْ بلْ رِفْقَةُ أَيضاً وهي حُبْلَى مِنْ واحدٍ وهو إسحاقُ أَبونا(١١) لأنّه وهُمَا لمْ يُولَدا بَعْدُ ولا فَعَلَا خيراً أو شرّاً لكيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاختيارِ ليسَ مِنَ الأعمالِ بلْ مِنَ الذي يَدْعُو (١٢) قِيل لَها إنّ الكبيرَ يُسْتَعبدُ للصغيرِ».

ونص الفقرة (٧) في طبعة اللاتين كما يلي: «بلْ ذُرِّيَّةُ إسحاقَ هي التي تُدْعَى ذُرِّيّتَكَ».

---

(١) هذا بزعمهم والصواب أن الذبيح إسماعيل عليه السلام.

الجَارِيةِ والآخَرُ من الحُرَّةِ (٢٣) لكنّ الذي مِن الجَارِيةِ وُلِدَ حَسَبَ الجَسَدِ وأمّا الذي مِن الحُرَّةِ فبالمَوْعِدِ(٢٤) وكُلُّ ذلك رَمْزٌ لأنّ هاتَيْنِ هُما العَهْدانِ أَحَدُهُما مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ الوالِدُ للْعُبُودِيَّةِ الذي هُو هَاجَرُ(٢٥) لأنّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ في العَرَبِيَّةِ، ولكنّه يُقابِلُ أُورُشليمَ الحَاضِرَةَ فإنّها مُسْتَعْبَدَةٌ مَعْ بَنِيها(٢٦) وأمّا أُورُشَليمُ العُلْيا التي هي أُمُّنا جَميعاً فَهِيَ حُرَّةٌ (٢٧) لأنَّه مكْتوبٌ: افْرَحي أَيَّتُها العَاقِرُ التي لمْ تَلِدْ اهتِفِي واصْرُخِي أَيَّتُها التي لمْ تَتَمخَّضْ فإنّ أَولادَ المُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ التي لَها زَوْجٌ (٢٨) وأَمَّا نَحْنُ أَيُّها الإخْوةُ فَنَظِيرُ إسحاقَ أَولادُ المَوْعِدِ (٢٩) ولكنْ كَما كانَ حِينَئذٍ الذي وُلِدَ حَسَبَ الجَسَدِ يَضْطَهِدُ الذي حَسَبَ الرُّوحِ هَكَذَا الآنَ أَيْضاً (٣٠) لكنْ مَاذا يَقُولُ الكِتابُ؟ اطْرُدِ الجَارِيَةَ وابْنَهَا لأنَّه لا يَرِثُ ابنُ الجَارِيَةِ مَعَ ابنِ الحُرَّةِ (٣١) إذاً أَيُّها الإِخْوةُ لَسْنا أَولادَ جَارِيةٍ بلْ أَولادُ الحُرَّةِ».

ونص الفقرة (١٦) في طبعة اللاتين كما يلي: «علَى أَنَّ المَوَاعِدَ قدْ وُجِّهَتْ إلى إبراهيمَ وإلى نَسْلِهِ ولمْ يَقُلْ: (إلى أَنْسالِهِ) بِصيغَةِ الجَمْعِ، بل (إلى نَسْلِه) بصيغةِ المُفْرَد أيْ: المسيح».

وأقتطف من شرح يوسف العلم لفقرات الاصحاحين السابقين ما يلي[1]: «أيْ إنّ اللهَ رَسَمَ أَنْ يكـونَ البِرُّ من الإيمانِ، وعلى ذلك قال لإبراهيمَ (بكَ تتَبَارك جميعُ الشعوب)[2] أي بنسْلِك، والمُراد بنسْلِ إبراهيمَ: المسيح، كما فسّره الرسول هنا في عدد ١٦. أي إنّ جميع الناس إنّما يتبررون بإيمانهم بالمسيح كما تَبَرَّر إبراهيم[3].... وإنما مات المسيحُ عنّا وصَارَ لَعْنةً من أَجْلنا لكيْ نَنَالَ نحن اليهود والشعوب البَركَةَ التي وعد بها إبراهيم بقوله تعالى له (بكَ تتبارك جميع الأمم) أيْ بنسل إبراهيم الذي هو المسيح يَنال الناسُ البِرَّ والخَلاصَ[4]... لأنّ الله عاهَدَ إبراهيمَ على أَنّ البِرَّ المعبَّر عنه بالبَرَكَةِ

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٥٤-٣٧٠.
(٢) انظر: سفر التكوين ٢٢/١٧ - ١٨.
(٣) النص السابق ص ٣٥٤ في شرح الفقرة ٨.
(٤) النص السابق ص ٣٥٦ في شرح الفقرة ١٤.

يكـون للأممِ بالمسيحِ والإيمان به[1].... لأنَّ الله لم يَشْتَرِط الناموس في وَعْدِه بها لإبراهيم بلْ وَعَدَهُ بها بالمسيح»[2].

وفيما يلي نقل فقرات رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٤/٢٣ و٢٧ و٢٩ و٣٠ و٣١ من طبعة اللاتين والتعليق الذي في هامشها:

«٢٣ ـ أمّا الذي مِن الأمَةِ فقد وُلِدَ بحُكْمِ الجَسَدِ، وأمّا الذي مِن الحُرَّةِ فقد وُلِـدَ بِفَضْـلِ المَوْعِدِ(٢٧) فَقَدْ وَرَدَ في الكِتاب: (إفْرحي أَيَّتُها العاقِرُ التي لـم تَلِدْ، اهتِفي وارفَعِي الصَّوتَ أيَّتُها التي لـم تَتَمَخَّضْ إنَّ أَبناءَ المَهْجُورة أَكْثَرُ عَدَداً مِن أَبناءِ ذاتِ البَعْـلِ)(٢٩) وَكَما كانَ المولودُ بحُكْمِ الجَسَدِ يَضْطَهِدُ المولودَ بحُكْم الرّوحِ، فمِثْلُ هَذَا يَجْري اليومَ (٣٠) ولكنْ ماذا يقولُ الكِتابُ؟ يقول: (اطرُدِ الأمَةَ وابنَها فإنَّ ابنَ الأمَةِ لنْ يَرِثَ مع ابنِ الحُرَّةِ) (٣١) فَلَسْنا نحن إذاً أَبناءَ الأمَةِ بلْ أَبناءُ الحُرَّةِ».

ورغم وضوح هذه الفقرات في بيان أنّ المواعيدَ من الله تحققتْ بإسماعيل ابنِ هاجَر الأمَة، لا بإسحاق ابنِ سارة الحُرّة، لأنّ هاجَر هي التي سكَنتْ في مَكّة وكانت آنذاك مُوحِشَةً فكانتْ كالزوجةِ المَهجورةِ التي ليس لها بَعْل بالمقارنة مع ضرّتها سارة التي هي ذات بَعْل وليست مهجورة، وتسكنُ في أرض عامرة غير مُوحشة (فلسطين)، رغم كلّ هذا الوضوح والبيان الفصيح، إلا أنّ التعصب يُعمِي ويُصِمّ، وقد عُلّق في هامش الطبعة اللاتينية على الفقرات السابقة بما يلي[3]: «لا يكفي أنْ يكون الإنسان من ذُرّيةِ إبراهيمَ لينالَ ما وَعَدَ اللهُ به، فقد وُلِد إسماعيلُ لإبراهيمَ ومع ذلك لَمْ يَرِثْه، في حين أنّ إسحاق هو الذي صار وارثاً لأنّه وُلِدَ لإبراهيمَ بحُكْمِ وَعْدِ الله (الآية ٢٣) فهو من ذُرّيتِـه بالـروح أكثـر منه بالجسد (الآية٢٩)، وهو رمز المسيحيين وهُمْ ذُرّية إبراهيمَ الـروحـانية، إنّ إسماعيل كان يضْطَهِد إسحاقَ، فإسماعيلُ يُمثّل الذين يَضطهدون

(١) النص السابق ص ٣٥٧ في شرح الفقرة ١٦.
(٢) النص السابق ص ٣٥٧ في شرح الفقرة ١٨.
(٣) انظر: ص ٧٣٦-٧٣٧.

المسيحيين ويُريدون إخْضاعَهم للخِتَانِ وأَحكامِ شريعة موسى، فلا بدّ من طَرْدِهِمْ كما طُرِدَ إسماعيلُ».

وقبل مغادرة هذه العقيدة إلى غيرها، أقول: تَحصّل لديْنا من النقول السابقة وشروحها ما يلي:

١ - ادّعى بولسُ أنّ المواعيدَ المبارَكَة التي وَعَدَها الله لإبراهيم في نَسْله، تحققتْ عن طريق إسحاق لا عن طريق إسماعيل، فقد كان لإبراهيم ابنان: **الكبير** وهو إسماعيل ابنُ الجَارية المحتقَرة هاجَر، وهو المولود لإبراهيم حسب الجسد والطبيعة، **والصغير** وهو إسحاق ابنُ الحُرَّة سارة، وهو المولود لإبراهيم حسب المَوْعِد، وكان ابنُ الجَارية يضطهِد ابنَ الحُرَّة، فأمر الله إبراهيم بطرْدِ ابنِ الجارية حتى لا يرث مع ابن الحُرَّة، فالوارث لمواعيد إبراهيم هو إسحاق، ولا يكفي أنْ يكون الإنسان من ذُرِّيةِ إبراهيم حسب الجسد لينالَ ما وَعَدَ الله به، فإسماعيل ابن الجسد لمْ يرث إبراهيم ولا نالتْه بَرَكةُ المواعيد.

٢ - ادّعى بولسُ أنّ مواعيدَ الله لإبراهيم أُنجزتْ وتمّتْ بالمسيح عيسى، الذي هو من نسل إسحاق بن إبراهيم لا بشخص آخر غيره، وبالإيمان بالمسيح فقط يُنال البرّ والبَرَكَة التي عاهد الله عليها إبراهيم لجميعِ الأمم، ولذلك فالنصارى هم أبناء الحُرَّة، وهم ذُرِّية إبراهيم الروحانية، وهم وارثو المواعيد، وغيرهم من الذين لا يؤمنون بالمسيح المخلِّص أو يضطهِدون المسيحيين، لا ينالون شيئاً من بَرَكة المواعيد ولو كانوا من ذُرِّية إبراهيم الجسدية، وإسماعيل يمثّل الذين يَضطَهدون المسيحيين.

٣ - ادّعى بولس أنه رسولٌ فائقُ القدر، ولذلك وجب على الجميع أنْ يَقْبلوا تبشيره بالمخلِّص يسوع المسيح، ويَرْفضوا كلَّ مَن يُبشّر بمخلِّص آخر غيره، لأنّ العهد إذا تمكّن لا يستطيع إنسان أنْ يُبْطِله.

٤ - ادّعى بولسُ أنّ كلَّ مَنْ آمن بما سبق فهو من نسل إبراهيم الروحاني، وحسب المواعيد وارث له.

النتيجة للادّعاءات السابقة:

النصارى جميعاً يؤمنون بأنّ المخلِّص المبشَّر به في الكتب السماوية الذي هو من نسل إبراهيم وتتبارك به جميعُ الأمم، إنما هو المسيح عيسى ابن الله، وليس شخصاً آخر غيره لا قَبْله ولا بَعْده، فمواعيد الله لإبراهيم تَمَّتْ بظهور المسيح، وليس عندهم دليل على هذه العقيدة سوى ماكتبه بولس في رسائله[1]، ومَن يتجرأ على إنكار إنجاز مواعيد الله لإبراهيم بالمسيح فقط، فهو كافر خارج من ملّتِهم، ومرتد عن دينهم.

(١) ولذلك مهّد بولس بهذه العقيدة لأتباعه بل أوجب عليهم الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم عند ظهوره بالرغم أنه من نسل إبراهيم، وبه تحققت مواعيد الله لإبراهيم حقّاً وصدقاً، وبه تباركت جميع الأمم، وبشّرت به الكتب السماوية والأنبياء قبله ومنهم عيسى نفسه عليهم السلام.

٧ - عقيدة أنّ المسيحيين أبناءُ الله والله أبوهم، وحلول الله والروح القدس فيهم، واتحادهم بالمسيح، وأنّ جميع المسيحيين قدّيسون وسيدينون العالم والملائكة.

هذه العقيدة من العقائد التي وردت في مواضع شتى من رسائل بولس، وسأقوم بنقل بعض نصوصها وشرحهاوالإشارة لبعض المواضع دون شرح.

وقد فلسف بولس عقيدة التبنّي هذه في رسالته إلى أهل رومية ٨/١٤-٢٩، وأكتفي بنقل بعض فقراتها كما يلي: «١٤ - لأنّ كلَّ الذين يَنْقادون بروح الله فأولئك هم أبناءُ الله(١٥) إذْ لَمْ تأخذوا روحَ العُبوديّةِ أيضاً للخوف بل أَخذتم روحَ التبنّي الذي به نَصْرُخُ يا أَبا الآبُ (١٦) الروحُ نفسُه أيضاً يَشهدُ لأرواحنا أننا أولادُ الله(١٧) فإنْ كُنّا أولاداً فإننا وَرثَةٌ أيضاً وَرَثَةُ الله ووارثون مَعَ المسيح. إنْ كُنّا نتألّمُ مَعَهُ نَتمجّدُ أَيضاً معه (١٩) لأنّ انتظار الخَليقةِ يَتَوَقَّعُ استِعْلانَ أَبناءِ الله (٢١) لأنّ الخَليقةَ نَفْسَها أيضاً ستُعْتَقُ مِن عُبُودِيّةِ الفَسادِ إلى حُرّيةِ مَجْدِ أَولادِ الله (٢٣) وليس هكذا فقطْ بل نحن الذين لنا باكورةُ الروحِ نحن أَنفسُنا أيضاً نَئِنُّ في أنفسنا متوقّعين التبنّي فِداءَ أَجسادِنا (٢٩) لأنّ الذين سَبَقَ فَعَرَفهم سَبَقَ فَعَيَّنَهم ليكونوا مُشابِهين صورةَ ابنهِ ليكونَ هو بِكْراً بيْن إخوةٍ كثيرين».

وقد ورد في شرح يوسف العلم لهذه الفقرات ما يلي[١]: «أيْ بل أَخذتم الروحَ القدس الذي به صرتم أبناء لله وهو روح المَحبّة والمَودّة وبه صرنا ندعو الله الآب أبانا لا باللفظ والقول فقط، بل بالمحبة والدالّة كما تدعو الأولاد أباهم؛ فإنّ الله الآب أعطانا روحه في العماد وبه تبنّانا له كما أعطى الناسوت كلمته فصار المسيحُ المُتأنّسُ ابنَ الله حقّاً، فصار يسوغ لنا أنْ ندعو الله الآبَ أبانا كما يدعوه يسوع المسيح[٢]. . . . .

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٧-٦٦.
(٢) النص السابق من ص ٥٨ في شرح الفقرة ١٥.

أرسل اللهُ روحَ ابنِه إلى قلوبنا يدعو الآبَ أَبانا، فدعاء هذا الروح هو شهادة لروحنا الذي حسب إرشاد هذا الروح يدعو الآبَ أبانا، فكان دعاءُ الروحِ القدس ودعاءُ روحِنا الآبَ أباً شهادة لنا بأننا أبناء الله . . . . ثمّ لنا أدلة غير هذه على أننا أولاد الله وهي : أولاً : أنّ الله أعطانا روحَ ابنه كما قال الرسول، والله لا يعطي روح ابنه إلا لمن يريد أنْ يتبنّاه، فإذاً نحن أبناء الله . ثانياً : ما هو فينا من كرْه الشرّ وحُبّ الله والمبادرة إلى طاعته ومطاوعة إلهام روحه . ثالثاً : سلام قَلْبنا واطمئنان ضميرنا من جهة الخطايا الكبيرة. رابعاً: الغَيْرة على مجد الله ومحبة التألم والتعب من أجله[1] . . . أيْ إنْ كنّا أولاداً لله كما بَيّنّا فنكون ورثة أيضاً له تعالى ؛ لأنّ الوِراثةَ إنما هي للأولاد، والتبنّي مرتّب للوراثة، وحيث أنّ الله تبنّانا بإعطاء روحه فنحن له ورثة وشركاء في ميراثه ليسوع ابنه الذي هو البكر في إخوة كثيرين، وأَخَصّ سهام هذا الميراث هو امتلاكُ اللهِ نفسِه[2]، وباقي السهام الحياة معه تعالى بدون موت والتمتع بمجده وبملكوته بلا انقطاع والتنعم بسعادته بلا انقضاء[3]. . . . اعلم أنّ المسيحَ هو بكْرُ أَولادِ الله من وجوه: أولها : كونه ابن الله بالطبيعة وغيره أبناء له بالذخيرة والتبنّي»[4].

وفيما يلي نص فقرات رسالة بولس إلى أهل روما ٨/١٥-١٧ من طبعة اللاتين:
«١٥ - لم تَتَلَقَّوا روحاً يستَعْبِدكم ويَردُّكم إلى الخوف بل روحاً يَجعلُكم أبناءً وبه نُنادِي : يا أَبَتا. (١٦) وهذا الروحُ نفسُه يَشهَدُ مع أرواحِنا بأَنّنا أبناءُ الله(١٧) فإذا كُنّا أَبناءَ الله فنحنُ الورَثة: وَرَثةُ اللهِ وشُركاءُ المسيحِ في المِيراث».
وقد عُلِّق في الهامش على كلمة (أبتا) بما يلي[5]: «في الأصل (أَبّا) وهي كلمة

---

(١) النص السابق من ص ٥٨ في شرح الفقرة ١٦ .
(٢) لا يفهم منها غير أنهم امتلكوا الله بذاته، وصار الله مملوكاً لهم.
(٣) النص السابق ص ٥٩ في شرح الفقرة ١٧ .
(٤) النص السابق ص ٦٦ في شرح الفقرة ٢٩ .
(٥) انظر: ص ٦١٠.

آرامية يستعملها الطفل عندما ينادي أباه، تدلّ هنا على حُبّ السيد المسيح البَنَويّ لأبيه، وقد استعملها المسيحيون أيضاً؛ لأنّهم أصبحوا أبناءَ الله بالتبنّي».

وقد جعل بولسُ علامةَ صِدْق الله ووفائه بالعهد أنه اتخذ المسيحيين أبناء له، فهو يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١/ ٩ «أمينٌ هو الله الذي به دُعيتم إلى شَرِكة ابنه يسوعَ المسيحِ رَبِّنا».

وتفسير يوسف العلم لهذه الفقرة يؤكد ذلك المعنى، فهو يقول(١): «أيْ ومِن حيث أنّ الله الذي دعاكم إلى مشاركة ابنه في البنوّةِ والوِراثة صدوق وفيّ في وعوده وعهوده».

وقد أكد بولس على بنوّتهم لله في رسالته إلى أهل غَلاطِيّة، فقد ورد فيها ٣/ ٢٦ و ٤/ ٤-٧ ما يلي: «٢٦- لأنكم جميعاً أبناءُ اللهِ بالإيمان بالمسيحِ يسوعَ (٤) ولكنْ لمّا جاءَ مِلءُ الزمانِ أرسَلَ اللهُ ابنَه مولوداً من امرأةٍ مولوداً تحْتَ الناموس (٥) لِيفْتديَ الذين تحْتَ النـاموسِ لِننالَ التبنّي (٦) ثمّ بما أنكم أبناءُ أرسلَ اللهُ روحَ ابنِه إلى قلوبِكم صارخاً يا أبا الآبُ (٧) إذاً لسْتَ بَعْدُ عبْداً بل ابْناً وإنْ كنتَ ابْناً فوارثٌ لله بالمسيح».

وأقتطف من شرح يوسف العلم لهذه الفقرات ما يلي(٢): «أي ولّما صرتم أولادًا لله وبنين أعزاء عنده أُرسلَ روحَ ابنِه - وهو الروح القدس - إلى نفوسكم يعلّمكم أنْ تدعوه أباً بحنين ومحبة وثقة ودالّة بنوية كما دعاه يسوعُ المسيحُ، ولذلك صار لكم أنْ تقولوا: (أبانا الذي في السماوات) وما أشبه(٣) . . . أيْ وما أنتم بَعْدُ عبيداً، بل أنتم

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٣٣.
(٢) شرحها في الصفحات ٣٦٠-٣٦٣.
(٣) هذا النص ص ٣٦٢-٣٦٣.

أبناء لأنكم صرتم أولاداً لله وقَبِلتم روحَ ابنه دليلاً على ذلك»[1].

وفي تعليق طبعة اللاتين على الفقرات السابقة ما يلي[2]: «المسيحيون الذين أتوا من اليهودية ومن الوثنية هم على حدٍّ سواء أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع، وليس التبنّي مسألة شريعة خارجية تولي المتبنّى حق الإرث فحسب، بل حقيقة باطنة تهب للإنسان الروح القدس».

وفي رسالة بولس إلى أهل أَفَسُس ١/٥-٦ «٥ ـ إذْ سَبَقَ فَعَيّنَنا للتبنّي بيسوعَ المسيحِ لنفْسِه حَسَبَ مَسَرَّةِ مشيئتِه (٦) لمدحِ مَجْدِ نعمتِه التي أَنعمَ بها علينا في المحبوب».

وقد أفرط يوسف العلم في شرح هاتين الفقرتين، فأنقل عنه ما يلي[3]: «أيْ ومنذ الأزل حَسُن لمشيئتِه أنْ يتّخذنا أولادًا له بيسوع المسيح ابنِه، وهذه النعمة أيضًا هي من استحقاق المسيح، أيْ إنّ الله الآب لأجل استحقاق ابنه يسوع رسم منذ الأزل بأنْ يتّخذنا أولادًا له وَوَرَثة لملكوته ومحبوبين لديه، وكلّ ذلك عن مجرّد محبّته لنا لا عن استحقاق فينا، وهذه النعمة ـ أي التبنّي ـ أعظم من النعمة المذكورة في العدد السابق التي هي التبرير أو الدعوة إلى التبرير؛ لأنّه وإنْ يكنْ كُلُّ بارٍّ ولداً لله إلا أنّ التبرير في نفسه لا يوجب التبنّي، فإنّ الإنسان مهما يكنْ بارًّا قدّيساً لا يحق له أنْ يكون الله صديقًا وخليلاً له، ولكنّ الله من فرط رحمته وجوده جعل لنا ذلك . . . أي والغاية في تبرير الله إيّانا وتبنّينا له بابنه يسوع الحبيب هي شكره وحمده على هذه النعمة المَجيدة السَّنِيَّة».

وأنقل من تعليق طبعة اللاتين على الفقرتين السابقتين ما يلي[4]: «الله الذي

---

(١) هذا النص ص ٣٦٣.
(٢) انظر: ص ٧٣٣ و٧٣٤.
(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٨٦.
(٤) انظر: ص ٧٤٦.

قدّس مختاريه بأنْ جعلهم أبناءَ على مثال ابنِه الواحدِ».

وقـد صرّح يوسف العلم بأنّ المقصود بأولاد الله هم المسيحيون، ففي رسالة بولس إلى أهل فيلبي ٢/١٥ «لِكَيْ تَكُونُوا بِلاَ لَوْمٍ وَبُسَطَاءَ أولاداً للهِ بِلاَ عَيْبٍ في وَسَطِ جِيلٍ مُعَوَّجٍ وَمُلْتَوٍ».

قال يوسف العلم في شرحها[1]: «وسِيروا بالودَاعةِ والبَرارةِ كما يليق بمَنْ هُمْ مسيحيون أولاد الله مثلكم».

وقد ورد في رسائل بولس ذِكْرُ أُبُوَّةِ الله لهم، فليسوا هم فقط أبناء الله، بل والله أبوهم، ففي رسالته إلى أهل فِيلبّي ١/٢، وفي رسالته إلى أهل كُولُوسّي ١/٢، وفي رسالته الأولى إلى أهل تَسالُونِيكي ١/١، وفي رسالته الثانية إلى أهل تسالُونيكِي ١/٢، وفي رسـالته إلى فليمون ٣، وردت العبارة التالية: «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا والرَّبِّ يَسُوعَ المَسِيحِ »، وفي رسالته الأولى إلى تِيموثاوس ١/٢ «نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلاَمٌ من الله أَبِينا والمَسيحِ يَسُوعَ رَبِّنا».

فأنت تلاحظ في هذه المواضع ـ وفي مواضع أخرى كذلك ـ تصريحاً بأبوة الله لهم، أمّا إطلاق لفظ (الآب) على الله دون إضافة فكثير جدًّا في رسائله.

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٣٣.

حلول الله في المسيحيين

وبما أنّ المسيحيين كلّهم أبناء الله، والله هو أبوهم وشاركوا المسيح في بنوّته لله وفي أبوة الله له، لذلك من الطبيعي جدًّا أن يَحلّ اللهُ فيهم كما حَلّ في المسيح، فليس من عدل الله أنْ يَحلّ لاهوته في أحد أبنائه الذي هو المسيح، ويَحرِم باقي أبنائِه من هذا الحُلول، لذلك شاركوا المسيح في حُلول الله فيه وفيهم واتّحدوا بالمسيح، وزادوا عليه بحلول الروح القدس فيهم، وفيما يلي نصوص هذه العقيدة من رسائل بولس:

ففي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٣/١٦-١٧ «١٦- أَمَا تَعْلَمون أنّكم هَيْكلُ اللهِ وروحُ الله يَسْكنُ فِيكم (١٧) إنْ كان أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُه اللهُ لأنّ هَيْكَل اللهِ مُقدَّسٌ الذي أنتم هُوَ».

قال يوسف العلم في شرحها[1]: «وعادَ هنا إلى مَقصدِه فدَعاهم هيكل الله لحلول روح الله فيهم بالإيمان والنعمة والمحبّة وباقي المواهب».

ونص الفقـرتـين السابقتين في طبعة اللاتين كما يلي: «١٦- أَمَا تَعْلَمون أنّكم هَيْكَلُ اللهِ وأنّ روحَ الله حالٌّ فِيكم؟ مَنْ هَدَم هَيْكَلَ اللهِ هَدَمَهُ الله؛ لأنّ هَيْكَلَ الله مُقدَّس، وهذا الهيكلُ هو أنتم».

وفي التعليق على كلمة (هيكل الله) التي في الفقرة (١٦) ما يلي[2]: «الكلمةُ في الأَصلِ اليوناني تدلّ على القسمِ الداخلي للهيكل الذي كان يُحْسَبُ مَسْكَنَ الله ومَقرَّه».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٥١.

(٢) انظر: هامش ص ٦٤٩.

ومثل الفقرات السابقة فقرتا رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٦/١٦ و ١/٧ ونصهما «١٦ـ وأيَّةُ مُوافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللهِ مَعَ الأَوْثانِ، فإنكم أنتم هَيْكَلُ اللهِ الحيِّ كما قَالَ اللهُ: إنّي سأَسْكُن فِيهِمْ وأَسِيرُ بينَهم وأَكونُ لهمْ إلهاً وهمْ يكونونَ لي شَعْباً (١) فإذْ لَنا هذهِ المَواعيدُ أيُّها الأَحِبّاءُ لِنُطَهِّرْ ذَوَاتِنا مِنْ كُلِّ دَنَسِ الجَسَدِ والروحِ مُكَمِّلِينَ القَدَاسَةَ في خَوْفِ اللهِ».

قال يوسف العلم في شرحها[١]: «ويمْكنُ إطلاق هذه الآية على كُلّ مسيحي؛ لأن كُلًّا من المسيحيين هو بمنزلة هيكل لله كما مرّ في الرسالة الأولى. . . هذا نتيجة ما قاله في الأصحاح السابق، ومعناه من حيث أنّ الله وعدنا بأنه يجعلنا له هيكلاً ويَحلّ فينا ويكون لنا أباً ويتّخذنا أولاداً له فلنطَهِّرْ أنفسنا بالتوبة مجتنبين خطايا اللحْم».

وبهذا يظهر أنه لا فَرْق بين المسيح والمسيحيين، فكما اتخذ الله المسيح له ابْنًا وحَلّ فيه، اتخذهم أيضًا له أبناء وحَلّ فيهم، لكنّي أتعجب لِمَ صار المسيح إلهاً بهذا الحلول وأمّا هم فلم يصيروا آلهة إلى الآن؟!

واسمع ما يقوله بولس في رسالته إلى أهل أَفَسُس ٤/٥ـ٦ «٥ـ ربٌّ واحِدٌ إيمانٌ واحِدٌ مَعْمودِيَّةٌ واحِدةٌ (٦) إله وآبٌ واحِدٌ للكُلِّ الذي على الكُلِّ وبالكُلِّ وفي كُلِّكُمْ».

وعبارة (وفي كُلِّكم) وردت في طبعة اللاتين بلفظ: «وهُوَ فِيهم جميعاً».

يقول يوسف العلم في شرحها[٢]: «والله الآب واحد وهو أبو الجميع، وسيّدُ الجميع. ومُعْتنٍ بالجميع وساكنٌ في الجميع دون تخصيص وتمييز، فأيّ شيء أقوى من هذه الأشياء كلها على رَبْطِكم في الوحدة والاتفاق، فإنّ وحدانية العيلة والوِلادة والحالَةِ والنَّصِيب من شأنها أنْ تَربطَ الناسَ مع بعضهم رِباطاً وثيقاً بغاية ما يكون، وهذه كلّها لَنا».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٩٩ـ٣٠٠.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٠٢.

اتحادهم بالمسيح وحلول الروح القدس فيهم

ورد اتحادهم بالمسيح وحلول الروح القدس فيهم في عدة مواضع:

ففي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٦/١٤-١٩ «١٤- واللهُ قَدْ أَقامَ الربَّ وَسَيُقِيمُنا نحنُ أيضاً بقُوَّته (١٥) أَلَسْتُم تَعْلَمون أنَّ أَجْسادَكُمْ هي أعضاءُ المسيحِ. أفآخُذُ أعضاءَ المسيحِ وأَجْعلُها أعضاءَ زانيةٍ. حاشا (١٦) أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمون أنّ مَنِ الْتَصَقَ بزانيةٍ هو جَسَدٌ واحد لأنه يقولُ يكونُ الاثْنانِ جَسَداً واحِداً (١٧) وأمّا مَنِ الْتَصَقَ بالربِّ فَهُوَ روحٌ واحِدٌ (١٨) اهرُبوا مِن الزّنا. كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُها الإنسانُ هي خارِجَةٌ عَنِ الجَسَدِ. لكنّ الذي يَزني يُخْطِىءُ إلى جَسَدِه (١٩) أَمْ لَسْتم تَعْلَمون أنّ جَسَدَكُم هو هَيْكَلٌ للروحِ القُدُس الذي فِيكُم الذي لَكُمْ مِن اللهِ وأنّكم لَسْتُم لأَنْفُسِكُمْ».

وقد وردت الفقرة (١٧) في طبعة اللاتين كما يلي: «وأمّا مَنِ اقْتَرَنَ بالرَبِّ فَقَدْ صَارَ وإيّاهُ رُوحاً واحِداً».

ولفظ «للروحِ القُدُسِ الذي فيكم» ورد في طبعة سنة ١٨٢٥م بلفظ «المُسْتَقِرّ فيكم»، وفي طبعة يوسف العلم وطبعة سنة ١٨٢٣م بلفظ «الحالّ فيكم».

وأقتطف من شرح يوسف العلم لهذه الفقرات ما يلي[1]: «لا نَزال مُلْتَصِقين بربِّنا يسوع المسيح التصاقَ الأعضاءِ بالرأس[2]... مِنْ حيثُ أنّ الله جَعَلَهُ رأساً للكنيسةِ لِيَكُونَ رأساً لكلّ واحدٍ من أَوْلادِها، فَكَما أنها هي جسد المسيح كذلك كل واحد من أولادها هو عضو للمسيح، ليس باعتبار النَّفْسِ فقط التي أحياها المسيحُ بإيمانه ونعمتِه، بل باعتبار الجسد أيضاً الذي هو آلةٌ للنّفس... وهو أنّ حياةَ الجَسدِ النفْس،

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٦٩-١٧١.
(٢) هذا النص من شرح الفقرة ١٤ ص ١٦٩.

وحياة النفْس الله، فروح الله يَحلّ في النفْس وبها يَحل في الجَسدِ، لِتكُونَ أجسادُنا أيضاً هَيْكلاً للروح القُدُس المعطَى لَنا مِن الله... أيْ وهل يَجوزُ أنْ نَسلخَ الجَسَد عن خِدْمةِ المسيح ونَبْذلهُ لِخدْمةِ الزّانية؟ كَلَّا، وفيه بيَّن الرسول فُحْش فَظاعة الزناء مِن حيثُ به تَصير أعضاءُ المسيح أعضاءً للزانية[1].... فإذا اقترفتم الزنا تَطردون الروحَ القُدُس من جَسِدكُمْ وتَخرقون قداسةَ هَيْكَلِه، وتَحتقرون اللهَ الذي أعطاكم هذا الروحَ القدّوس لِيَحلّ فيكم، فعلى ذلك مَنْ يَرتَكب الزّنا يَخْطِيء إلى الأقانيم الثلاثة: أمّا إلى الابن فَلأنّه مِن أعضائه، وأمّا إلى الروح القُدُس فَلأَنّهُ هَيْكَلُه، وأمّا خَطَؤه إلى الآب فَلأنّه أعطاه روحَه وفَدَاه بابنه»[2].

وقدْ أكّد بولسُ هذا المعنى بقوله في رسالته إلى أهل غَلَاطِيَّة ٣/٢٧ـ ٢٨ «لأنَّ كُلّكُمُ الذين اعْتَمَدْتُم بالمسيح قَدْ لَبِسْتُم المسيحَ (٢٨) لَيْسَ يَهوديٌّ ولا يونانيٌّ. لَيْس عَبْدٌ ولا حُرٌّ. لَيْس ذَكَرٌ وأُنْثى، لأنّكُم جَميعاً واحِدٌ في المسيح يسوعَ».

ويقول في رسالته إلى أهل أفسس ٢/ ٢٠ـ٢٢ «٢٠ـ مَبْنِيينَ علَى أَسَاسِ الرُّسُلِ والأَنْبياءِ ويَسوعُ المسيحُ نَفْسُه حَجَرُ الزَاويةِ (٢١) الذي فيه كُلُّ البِنَاءِ مُرَكَّباً مَعاً يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّساً في الرَّبِّ (٢٢) الذي فِيه أَنتمْ أيضاً مَبْنِيُّون مَعاً مَسْكَناً للهِ في الروحِ».

ويُلاحَظ أنّ بولسَ هنا استعمل اصطلاح (حَجَر الزّاوية) الوارد في حقّ محمد صلى الله عليه وسلم مُوهِماً أنّ المُرادَ به عيسى عليه السلام، وبِغَضِّ النظِر عن ذلك أنقل من شرح يوسف العلم للفقرة ٢١ ما يلي[3]:

---

(١) النصوص السابقة في شرح الفقرة ١٥ ص ١٦٩.

(٢) النص السابق في شرح الفقرة ١٩ ص ١٧١.

(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٩٦ـ٣٩٧

«جَـوانِبُ هذا الهَيْكَـلِ وحِجَـارُه هم المؤمنـون على اختـلاف حالاتِهم وكثرةِ أفرادِهم، فعلى ذلك لا يَزالُ بِناءُ هذا الهَيْكلِ يَتَعلَّى ويَزْداد كُلّما آمن بالمسيح مؤمنٌ، وإنّ البَنّاءَ المُهنْدِسَ هو الروحُ القُدُس. . . وإنّ ساكِنَ هذا الهَيْكل هو الله القُدُّوس، فلذلك يَجب على كُلٍّ من المسيحيين أنْ يكونَ طاهِراً مُقَدَّساً لأَنه هَيْكَلُ الله».

فانظر أن هَيْكلَ اللهِ حِجارتُه المسيحيون كلهم، وأَمّا المسيحُ فَحَجَر الزاوية فيه، لأَنّه يَشُدّ البِناء.

المسيحيون قِدّيسون وسيدينون العالم والملائكة

بما أنَّ المسيحيين هُمْ أبنـاءُ الله، وهم هَيْكـلُ الله، وحَلّ اللهُ فِيهم كما حَلّ بالمسيح، وشاركوا المسيحَ في كلٍّ ذلك فاتّحدوا به، إذاً لَنْ يكونَ المسيحُ مُنْفرداً عنهم، ومُستقِلًّا دونَهم في الدينونةِ للعالَمِ كلِّه يوم القيامة، فليس وحده هو الذي سَيَدِين العالَم، بل المسيحيون كلهم أيضاً مُشارِكون له في هذا الأمر، فكلهم قِدّيسون وَسَيدِينون العالَمَ والملائكةَ أيضاً، وفيما يلي أدلة هذه العقيدة:

ففي رسالة بولس إلى أهل أَفَسُس ١/٣ـ٥ «٣ـ مُبَارَكٌ اللهُ أبو رَبِّنا يَسُوعَ المَسيحِ الـذي بَارَكَنـا بكُـلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيّةٍ في السماويّات في المَسِيحِ (٤) كَمَا اختَارَنا فِيه قَبْلَ تَأْسِيسِ العـالَمِ لِنكُونَ قِدّيسينَ وبلاَ لَوْمٍ قُدّامَهُ في المَحَبّةِ (٥) إذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا للتبنيّ بيسوعَ المسيحِ لِنَفْسهِ حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ».

قال يوسف العلم في شرح الفقرة الرابعة[١]: «أيْ إنّ أوَّلَ البَركاتِ والمواهب التي أُعْطِينَاها مِن الله بابْنِهِ يَسوع المسيحِ هي الانتخابُ إلى القَدَاسة مُنْذُ الأَزلِ قَبْل وُجودِ العالَمِ[٢]، وهذا الانتخابُ قدْ حَصَلَ لنا في الزمان حيث دُعِينا بهدي المسيح ووعْظِ رسلِه وإرشادِ إنجيلِه إلى الإيمان فَتبرَّرْنا وتَقَدَّسْنا. ومنه تَرى أنّ الكلامَ هنا هو على النِّعمَةِ الأُولى التي هي الـدعْوة إلى القَدَاسةِ والبِرِّ، وهذه النعمة مجّانية نَظَرًا إليْنا؛ لأنه قَبْلَ حُصولِنا على القَدَاسةِ لا نَقْدر على استحقاق شيء».

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٨٦.

(٢) ومن أجل هذه القداسة الأزلية حكم كلوينوس بأن أولاد المسيحيين يولدون قديسين ولا حاجة لهم إلى العماد، وخالفه آخرون في هذا الحكم (انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٧٨).

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كُورنْثُوس ٦/ ٢-٣ «٢- أَلَسْتُمْ تَعْلَمونَ أَنَّ القِدّيسِينَ سَيَدِينُونَ العَالَمَ. فإنْ كَانَ العَالَمُ يُدَانُ بِكُمْ أَفَأَنْتُم غيرُ مُسْتَأْهِلِينَ لِلْمَحَاكِمِ الصُّغْرَى (٣) أَلَسْتُمْ تَعْلَمُون أننا سَنَدِينُ مَلائِكَةً فبالأَوْلَى أُمُورَ هذِه الحَيَاةِ».

وقد فُسِّرَتْ كَلِمَةُ (القِدّيسين) في طبعة اللاتين[1] بأنَّ المَقْصودَ بهم هم المسيحيّون، فكُلّ مسيحيّ قِدّيس، ثم عُلِّلَ هذا التفسير بما يلي: «لأنّ المسيحيين أعضاءُ المسيحِ الذي سَيَدِين الناسَ أجمعين».

وكذلك فُسِّرَتْ هذه الكلمة الواردة في رسالة بولس الثانية إلى أهل تَسالُونيكي ١/ ١٠.

وفيما يلي فلسفة هذه الدَّيْنونة عند يوسف العلم حيث قال[2]: «يعني أنّ القِدّيسين كالرسلِ وأمثالهم لا يَدينون العالَمَ فقط، بل الملائكة أيضاً. . . على أنّ كنيسةَ المسيحِ قائمة من الملائكةِ والناسِ، ودَيّانها هو المسيحُ، فالذين يَجلسون معه للدينونة سوف يَدينون الجميعَ، وذلك بموافقتهم حُكْمَه ومُصَادَقتِهم عليه. قال كلمت: قال بعضهم: ومثل الرسل وأمثالهم في الدينونة مع المسيح مثل أرباب شورى المَلِك؛ فإنه إذا حَكَمَ المَلِك بأمرٍ وهمْ صَادَقُوا على حُكْمِه وصَوَّبوه فيه يكونونَ كأنّهم شاركوه في حُكْمِه وحَكَموا معه. اهـ. . . فاعرفْ أيها المسيحيّ منزلتَك أنّك سَوْفَ تدين العالَمَ والشياطينَ، فلا تذلّ نَفْسَك للعالَم».

وفي رسالة بولس الأولى إلى أهل تَسالُونيكي ٤/ ١٤- ١٨ ورسالته الثانية إليهم ١/ ٦-١٠ «١٤- لأنّه إنْ كُنّا نُؤْمِنُ أنّ يسوعَ ماتَ وقامَ فكذلِكَ الراقِدونَ بيسوعَ سَيُحْضِرهُمُ اللهُ أيضاً مَعَهُ (١٥) فإنّنا نقولُ لكم هذا بكَلِمَةِ الربِّ إنّنا نَحْنُ الأَحياءَ

---

(١) انظر: هامش ص ٦٥٣ و ٨٠٩.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٦٦.

الباقِينَ إلى مَجِيءِ الربِّ لا نَسْبِقُ الراقِدينَ (١٦) لأنَّ الربَّ نَفْسَه بهُتَافٍ بصَوْتِ رئيس مَلائكةٍ وَبُوقِ الله سَوْفَ يَنْزِلُ مِن السَّماءِ والأمواتُ في المسيحِ سَيقُومون أوَّلاً (١٧) ثُمَّ نَحنُ الأَحياءَ الباقِينَ سَنُخْطَفُ جميعاً مَعَهُمْ في السُّحُب لملاقاةِ الربِّ في الهَواءِ. وهكذا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الربِّ (١٨) لِذلكَ عَزُّوا بَعْضُكُم بَعْضاً بهذا الكلام (٦) إذْ هو عَادِلٌ عِنْدَ اللهِ أنّ الذين يُضَايِقُونكم يُجازِيهِمْ ضَيْقاً (٧) وإيّاكُمُ الذين تَتَضايَقُونَ رَاحةً مَعْنا عِنْدَ استِعْلانِ الربِّ يَسُوعَ مِنَ السَّماءِ مَعَ مَلائِكَةِ قُوَّته (٨) في نارِ لَهِيبٍ مُعْطِياً نِقْمَةً للذين لا يَعْرِفُونَ اللهَ والذين لا يُطِيعُونَ إنجيلَ رَبِّنا يَسُوعَ المَسيحِ (٩) الذين سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاكٍ أَبَديٍّ مِنْ وَجْهِ الرّبِّ ومِنْ مَجْدِ قُوَّته (١٠) مَتَى جَاءَ لِيَتَمَجَّدَ في قِدِّيسيهِ وَيُتَعَجَّبَ مِنْهُ في جميعِ المُؤْمنينَ. لأنّ شَهَادَتَنا عِنْدَكُم صُدِّقَتْ في ذَلِكَ اليوم».

وقد شرح يوسف العلم هذه الفقرات[1] مُؤَكِّداً دينونتهم للعالَم، وأقتطف مِن شَرْحِه ما يلي:

«أيْ حينما يأتي المسيحُ للدّينونةِ يقومُ هؤلاء الرّاقِدون المُشَار إليهم[2]. . . . المُراد به التتابع بينْ قِيامةِ الموتَى واختطافِ الموتى والأحياءِ معاً لُملاقاةِ الدّيّانِ كما يَظْهَر من قوله: (وعند ذلك نحْن الذين نبقى أحياء نُخْطَف معهم لنلاقي ربنا) أيْ إنّ قِيامةَ الموتَى تكون أَوَّلاً ثم بعدها يكون الاختطاف للموتى والأَحياء معاً دون سِباق. . وعلى هذه السُّحب يَجلسون يمين المسيح للدينونة مترتبين بحسب مراتب شرفهم وفَضْلهم، فيكون الرسل أقرب إلى المسيح مِن غيرهم، وبعدهم مَن شابَهَهُم وهلُمّ جرًّا[3]. . . أيْ وبَعْد الدّيْنونة نُؤْخَذ مع المسيح إلى السماء لنكونَ معه في المَجْدِ دائماً بغير انفصال[4].... يريدُ بوجْهِ ربِّنا: حضور المسيحِ الدّيّان ومشاهدته. . . . وقال آخرون وهو الأقرب: إنّ المراد بوجْهِ ربِّنا هنا: فم المسيحِ الدّيّان، أيْ إنّ الحُكْمَ على الأَشرارِ

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٨٤-٤٩٧.
(٢) هذا النص في شرح الفقرة ١٤ ص ٤٨٤.
(٣) النص السابق في شرح الفقرة ١٧ ص ٤٨٦.
(٤) النص السابق في شرح الفقرة ١٨ ص ٤٨٧.

بالهلاكِ الأبَدِيّ سَوْفَ يَخرج مِن فَمِ المسيحِ ، وهو بقُدْرته العزيزة القويّة يُنْزِل بهم العذابَ الأليمَ إذْ يزُجّهم إلى الهاويةِ السّفْلَى حيثُ النار التي لا تُطْفَأ والدود الذي لا يموت»[1].

وقَبْل مغادرة هذه العقيدة أقول: تحصّل لَديْنا من النصوص السابقة وشروحها ما يلي:

١ ـ أنّ المسيحيين جميعاً أبناءُ اللهِ بالتبنّي، ووارِثون مع المسيح ، لأنّ الله أعطاهم روحَه في العماد وتَبنّاهم كما أعطى الناسوت كلمته فصار ابن الله حقّاً، فَيَدْعون اللهَ أباهم كما يدعوه المسيح ، والله لا يُعطِي روحَه إلا لمن يريد أن يَتبنّاه.

٢ ـ أنّ المسيحيين ورثةُ الله، لأنّ الوراثة إنما هي للأوْلاد، والتبنّي مُرتّب للوراثة، فصاروا مُشارِكين للمسيح في وِراثة الله وأَخَصّ سِهَامِ هذا الميراث هو امتلاكُ اللهِ نَفْسِه.

٣ ـ أنّ علامةَ صِدْقِ اللهِ ووفائِه بالعهود انّه اتخذ المسيحيين له أبناء، فهُمْ أبناؤه وهو أبوهم، وذلك أنه منذ الأزَل حَسُنَ لِمشيئَتِه أنْ يتّخذهم أوْلاداً له وَوَرَثَةً لِمَلَكُوتِه، لا عن استحقاقٍ فيهم، ولكنْ لِفَرطِ رحمتِه وجُودِه ومحبّتِه لهم.

٤ ـ أنّ الله حَلّ في المسيحيين كلّهم، فهم هَيْكَل الله أيْ مَسْكنه، وروح الله حالّ فيهم، ولا فَرْق في هذا الحُلول بين المسيح والمسيحيين، فكما حَلّ الله في المسيح حَلّ فيهم أيضاً دون تخصيص وتمييز، وهذا ما يُعبّرون عنه بـ (وحدانية العيلة والوِلادة والنصيب).

---

(١) النص السابق في شرح الفقرة ٩ ص ٤٩٧.

٥ ـ أنّ المسيحيين اتحدوا بالمسيح، فأعضاؤه أعضاؤهم، وحلّ فيهم الروحُ القدس أيضاً، فصاروا هُمْ والربّ روحاً واحداً مُلْتَصِقين به التصاقَ الرأسِ بالجسدِ، فاللهُ الرأس وهم الجسد.

٦ ـ أنّ المسيحيين قِدّيسون قَبْل خَلْقِ العالَمِ وسَيدينون العالَمَ والملائكةَ أيضاً، وسَيَجلسون مع المسيح لهذه الدّيْنونة فيوافِقون على حُكْمِه ويُصَادِقون عليه كأَربابِ شُورى المَلِك، فإذا اقتربَ يومُ الدينونةِ يقوم مَوْتى المسيحيين ثمّ يَصعد جميعُ المسيحيين ـ مَنْ قام مِن الموت ومَنْ كان مِنهم حيّاً لم يَمُتْ ـ لِملاقاةِ الربِّ المسيح الديّانِ في الهواء، فَيَجْلِسون على السّحب عن يمين المسيح للدّيْنونة، مترتبين حسب مراتب شرَفهم وفَضْلهم، وبَعْدَ انقضاءِ الدينونةِ يَصعدُ الجميعُ إلى السماء، ويَبقون مع المسيحِ دائماً في مَجْدِه بلا انفصال.

النتيجة لما سبق:

يؤمنُ النصارى أنهم أبناءُ اللهِ وأحباؤهُ، وأنّ الروحَ القُدُس حالٌّ فيهم، فنالوا القَداسةَ الأَزَلِيّةَ، واتّحدوا بالمسيحِ، وسيشتركون معه في دَيْنونة العالم. ولا أدري ما هو حُكْم مُنْكِرِ هذه العقيدةِ عندهم.

٨ ـ عقيدة أَنَّ التبرير يكون بالإيمان دون الالتزام بالناموس، (أيْ أَحكام شريعة توراة موسى) لأنّ الناموس يقوّي الخطيئة، ولذلك نَسَخَ بولسُ جميعَ أحكام التوراة العملية بما فيها الختان، وأَصْدَر فتوى بالإباحة العامّة لجميع المحرمات.

هذه العقيدة من أكثر العقائد تركيزاً عليها في رسائل بولس بعد عقيدتيْ ألوهية المسيح وصَلْبه كفارة عن خطايا البشر، فإنّ بولس استطاع أنْ يُقْنعَ الوثنيين بأنه ناسِخٌ لنـامـوس موسى الـذي أَبْرز مظاهره الخِتان، وأنّ الإيمان بألوهية المسيحِ ومَوْته على الصليب كفارة كافٍ للفوز والنجاة، ولا تخلو رسالة من رسائله من ذِكْرْ هذه العقيدة تصريحاً أو تلميحاً لتثبيتها في النفوس، وفيما يلي النصوص الدالّة على هذه العقيدة بَدْءًا بالرسالة الرومية:

التبرير بالإيمان لا بأعمال الناموس

يقول بولس في رسالته إلى أهل رُومِيَة ٣/١٩-٣٠ «١٩- ونَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يقولُه الناموسُ فهُوَ يُكلِّمُ بهِ الذين في الناموس لكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فمٍ ويَصِيرَ كُلُّ العَالَم تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ (٢٠) لأنّه بأعمالِ النّاموس كُلُّ ذي جَسَدٍ لا يَتَبَرَّرُ أمامَهُ. لأنَّ بالناموسِ مَعْرِفَةَ الخَطِيَّة (٢١) وَأمّا الآن فَقَدْ ظَهَرَ برُّ اللهِ بدونِ الناموسِ مَشْهوداً لهُ مِنَ الناموسِ والأنبياءِ (٢٢) برُّ اللهِ بالإيمانِ بيسُوعَ المسيحِ إلى كُلِّ وعلَى كُلِّ الذين يُؤْمِنون، لأنّه لا فَرْقَ (٢٣) إذِ الجميعُ أخطأوا وأعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ (٢٤) مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بنِعْمَتِه بالفِداءِ الذي بيسوعَ المسيحِ (٢٥) الذي قَدَّمهُ اللهُ كَفّارةً بالإيمان بدَمِهِ لإظهارِ برِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الخَطَايَا السَّالِفَةِ بإمْهالِ اللهِ (٢٦) لإظْهارِ برِّهِ في الزَّمانِ الحَاضِرِ لِيَكُون بَارّاً ويُبَرِّرَ مَنْ هو مِنَ الإيمانِ بيسوعَ (٢٧) فأَيْنَ الافْتخار. قَد انْتَفى. بأيِّ ناموسٍ، أبناموسِ الأعمالِ. كَلَّا. بلْ بناموسِ الإيمان (٢٨) إذاً نَحْسِبُ أنَّ الإنسانَ يَتبرَّرُ بالإيمانِ بدونِ أعمالِ الناموس (٢٩) أم اللهُ لليهودِ فَقَطْ. أَلَيْسَ للأُمَمِ أيْضاً. بلَى للأُمَمِ أيْضاً. (٣٠) لأنَّ اللهَ واحدٌ هُوَ الذي سَيُبَرِّرُ الخِتانَ بالإيمانِ والغُرْلَةَ بالإيمان».

وقد شرح يوسف العلم هذه الفقرات[١]، ومما قال في شرحه: «أيْ مِن العَملِ بما في ناموس موسى لن يَتبرَّرَ إنسانٌ قُدّامَ الله، وهذا هو غَرَضُ الرسول، وفي العدد الثاني والعشرين يستخْلص إليه ويُصرّح به[٢]. . . . وهو أنَّ البِرَّ إنما هو مِن إيمانِ المسيح لا مِن الفلسفة ولا مِن شريعة موسى كما زَعَمَ الأُمَمُ واليهودُ[٣]. . . . أيْ إنّ اللهَ الآبَ رتَّبَ المسيحَ إلى أنْ يكـون ذبيحـةً استغْفـاريَّة لأَجْلنا وإننا لا نصِير أهْلاً لمنافع هذه

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٢-٢٦.
(٢) النص السابق ص ٢٢ في شرح الفقرة ٢٠.
(٣) النص السابق ص ٢٢ في شرح الفقرة ٢١.

الذبيحةِ إلاَّ بالإيمان، إذْ نعتقد موقنين أنّ المسيحَ قد تألّم ومات وصار بذلك استغفاراً من أجْل الخطاة. . . . ولا يخفى أنّ دمَ المسيح قد استغفر لا عَنِ الخطايا السابقة فقط، بل عن جميع الخطايا من ماضية وآتية[1]. . . . أمّا تبْيان كونه بارّاً في ذاته فقَدْ حصل بتعذيب ابنه بَدَلَ الخُطاةِ، فإنه لِشدَّة مَقْته للخَطِيَّة دَفَعَ ابنَه إلى الموت قضاءً لحقِّ العَدْل، وأمّا ظُهور كونه مُبرِّراً فقد حَصَلَ بتَرْكِه للخُطاةِ خطاياهم بإيمانهم بالمسيح وَرَدّهم إلى بِرّهِم الأوَّل الذي فُطِرُوا عليه في الابتداء في شخص آدم[2]. . . . أي مما قيل نَسْتَدِلّ على أنّ الإنسانَ يهوديًا كان أو شُعوبيًّا إنّما يَتَبَرَّرُ بإيمان المسيح لا بأعمال الناموس، على أنَّ هذه الأعمالَ ليس فيها سبيلٌ إلى إصابةِ البرِّ»[3].

والأصحاحات الرابعُ والخامسُ والسادسُ والسابعُ من رسالة بولس إلى أهل رُومِيَة كلُّها في فلسفة البرِّ والخَطِيئة وأنَّ التبرير لا يَحصُل بالناموسِ الذي يقوّي الخَطِيئَة، وأنّ إبراهيم صار بارّاً بالإيمان لا بالأعمال[4]، ومن كلام يوسف العلم في شرح الأصحاح الرابع ما يلي: «واعْلَمْ أنّ مُرادَ الرسولِ بالختانِ هُنا كُلّ الشريعة القديمةِ على ما كان فيها مِن العِبادات والاحتفاليّات، وإنّما خصَّ الخِتانَ بالذِّكْرِ لكَوْنِهِ أُمّ الشريعة المذكورة والمَدْخَل إليها، فمِنْ ثَمّ يكون نَفْيُ الرسولِ للختانِ عن برِّ إبراهيمَ وكُلّ أولادِه نَفياً مُتناولاً لِباقي أعمالِ الناموس[5]. . . . يريد الرسول أنّ حُصولَ البرِّ لإبراهيمَ هو مِنَ الإيمانِ لا مِن أعمالِ الناموسِ، على أنّه لو كانَ مِنْ أعمالِ الناموسِ لا مِنَ الإيمان لَبَطَلَ إيمانُ إبراهيمَ والوَعْدُ له إذْ إنه وُعِدَ بالبَرَكة من الإيمان ولم يكنْ بَعْدُ أُنْزِلَ الناموس[6]. . . . فهو - أي إبراهيم - نموذج لنا في كون البرِّ يَحْصُل لَنا مِن الإيمان لا من الخِتان والناموس»[7].

---

(١) النص السابق ص ٢٤ في شرح الفقرة ٢٥ .
(٢) النص السابق ص ٢٤ في شرح الفقرة ٢٦ .
(٣) النص السابق ص ٢٥ في شرح الفقرة ٢٨ .
(٤) شرح الأصحاحات الأربعة في كتاب تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٦-٥٣ .
(٥) (٦) (٧) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٠-٣٣ .

وفي رسالة بولس إلى أهل غَلاطِيَّة ٢ / ١٦-٢١ «١٦- إذْ نَعْلَمُ أنّ الإنسانَ لا يَتبرَّرُ بأعمالِ النّاموسِ بلْ بإيمانِ يَسُوعَ المَسيحِ آمنا نحنُ أيضاً بيَسُوعَ المسيحِ لِنَتبرَّرَ بإيمانِ يَسُوعَ لا بأعمالِ الناموسِ. لأنَّه بأعمالِ الناموسِ لا يَتبرَّرُ جَسَدٌ مَا (١٧) فإنْ كُنّا ونَحْنُ طالِبُونَ أنْ نَتبرَّرَ في المَسيحِ نُوجَدُ نَحْنُ أنْفُسُنَا أيْضاً خُطاةً أفالمَسيحُ خادِمٌ للخَطِيَّةِ. حاشا (١٨) فإنّي إنْ كُنْتُ أبْني أيْضاً هَذَا الذي قَدْ هَدَمْتُهُ فإنّي أُظْهِرُ نَفْسِي مُتَعَدِّياً (١٩) لأنّي مُتُّ بالناموسِ للناموسِ لأحيا لله (٢٠) مَعَ المسيحِ صُلِبْتُ فَأَحْيا لا أنا بَلِ المَسيحُ يَحْيا فيَّ. فَما أَحْيَاهُ الآنَ في الجَسَدِ فإنّما أحْيَاهُ في الإيمانِ إيمانِ ابن اللهِ الذي أحَبَّني وَأَسْلَمَ نَفْسَه لأجْلي (٢١) لَسْتُ أُبْطِلُ نِعْمَةَ الله. لأنّه إنْ كَانَ بالنّاموسِ بِرٌّ فالمَسيحُ إذاً ماتَ بِلا سَبَبٍ».

وقد شرح يوسف العلم هذه الفقرات[1] وفيما يلي بعض كلامه: «فنحن معشر اليهود مع أننا قد وُلِدْنا في مَذْهب اليهودِ وتربّينا فيه وتَعَوَّدْنا على رسوم الشريعة القديمة وعباداتها قد تَرَكْنا كُلَّ ذلك وتَبِعْنا إيمانَ المَسيحِ لِعِلْمِنا أنّه لا يَتَبرَّرُ أحَدٌ بأعمال الناموس، بل بالإيمان بيسوعَ المسيح؛ لأنَّ كُلَّ الذين تَبرَّرُوا مِثْل إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ وغيرهم قد تَبَرَّرُوا بالإيمان بالمسيح لا بأعمال الناموس، فكيف إذاً ندعو الشعوب إلى اتّباعِ الناموسِ مع معرفتِنا الأكيدةِ أنّ الناموسَ لا يفيدُ شيئاً في تحصيلِ البرِّ[2]. . . . فإذاً نحن بتَرْكِنا الشريعةَ واتّباعنا إيمانَ المسيحِ طَلَباً للبرِّ قَدْ أُصَبْنا وتَبرَّرْنا؛ لأنَّ البرَّ هو بإيمان المسيحِ لا بأعمالِ الناموس كما زعم الرسل المُتَهوِّدون، تقول: أين أشارَ المسيحُ إلى إلغاء الشريعة القديمة؟ أُجيبك بقوله لتلاميذه (اذهبوا تلْمذوا الأمَمَ وعَمِّدُوهم فَمَنْ آمنَ واعْتَمَدَ خَلَصَ) متى أصحاح ١٦[3]، وبقوله للسامريّة: (إنه سيأتي زمانٌ فيه يَسْجُد الساجدون الحقيقيّون للهِ الآبِ في كُلّ مكانٍ بالروحِ والحقِّ)[4]

(١) انظر: المرجع السابق ص ٣٥٠-٣٥٢.

(٢) النص السابق ص ٣٥٠ في شرح الفقرة ١٦.

(٣) الصواب أنه في إنجيل مرقس ١٦/١٦.

(٤) انظر: إنجيل يوحنا ٤/٢٣.

وفي غير ذلك مما يدلُّ على أنّ الرسومَ القديمةَ صارت باطلةً لأنهُ قَدْ قَامَ مقامها رسومٌ جديدةٌ تفيدُ الـبرَّ والخَـلاصَ، وقد أَوْضَح عن ذلك بغاية ما يكون الرسول في هذه الرسالة وفي رسالة رومية[1]. . . . اعْلَمْ أَنّ الرسلَ الكَذَبَةَ المُتهوِّدين كانوا يقولون: إنّ تَرْكَ الشريعةِ القديمةِ إثْمٌ ومُخالَفةٌ، فقال الرسول: لا بل إنّ الرجوعَ إلى الشريعةِ إثْمٌ ومخالفة.... فإذاً تَرْكُ الشريعةِ ليس بإثمٍ ولا مُخالَفةٍ كما قال المتهوِّدون بل الرجوع إلى الشريعة إثمٌ ومُخَالَفةٌ[2].... أيْ ولَسْتُ أَجحد نِعْمةَ اللهِ أو أَلغيها كغيري من القائلين بأنّ البرَّ هو من الناموس لا من الإيمان، لأَنّه إنْ كان البرُّ من الناموس كما يقولون، فالمسيحُ لا مَنفعةَ من موته لأنّه؛ إنما مات لِيُحقِّقَ لنا البرَّ بموتِهِ ويكسب لنا الخَلاص، فعلى ذلك يكون القولُ بأن البرَّ من الناموس كُفراً وضلالاً مُبيناً، وصاحب هذا القول جاحدٌ لِنعْمَةِ الله وكافرٌ بها»[3].

والأصحـاح الثـالث من رسـالـة بولس إلى أهل غَلاَطِيَّة كُلّه في التهجّم على الناموس وبيان عدم فائدته في تحصيل البرّ، حتى إنه جَعَلَ العامِلَ بالناموس ملعوناً، وأكتفي من فقراته التسع والعشرين بما يلي: «١- أَيُّها الغَلاَطِيّون الأَغْبيَاءَ مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لا تُذْعِنُوا للحَقِّ أَنْتُم الذينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ المَسِيحُ بَيْنَكُم مَصْلُوباً (٢) أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هَذا فَقَطْ: أَبِأَعْمَالِ النَّامُوس أَخَذْتُم الروحَ أَمْ بِخَبَرِ الإيمانِ (١٠) لأَنّ جميعَ الذينَ هُمْ مِنْ أَعمالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ لأَنهُ مَكْتُوبٌ: مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ في جَميعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ في كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ به (١١) ولكنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ لأنّ البَارَّ بالإيمان يَحْيا (١٣) المَسيحُ افْتدَانا مِنْ لَعْنَةِ النّاموسِ إذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا لأنه مَكْتُوبٌ: مَلْعونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ على خَشَبَةٍ».

(١) النص السابق ص ٣٥٠ في شرح الفقرة ١٧.
(٢) النص السابق ص ٣٥١ في شرح الفقرة ١٨.
(٣) النص السابق ص ٣٥٢ في شرح الفقرة ٢١.

وأقتطفُ من شرح يوسف العلم لفقرات الأصحاح الثالث ما يلي[1]: «أيْ وَقَدْ بَالَغْنـا في تَبْشِيرنا لَكُم بالمسيح وتَعْلِيمِنا إيّاكم في أَمْرِ صَلْبه وموتِه حتّى رأيتموه كأنّه صُلِبَ أمامَ أَعْيُنِكم[2]. . . . وقد كان محقَّقاً عند الغَلاطِيّين أنّهم قَبِلوا هذه المواهب لمّا آمنوا بالمسيح واعتمدوا باسمه لا من الخِتان ولا مِن باقي أعمال الناموس التي كانوا يَعملونها قَبْلاً. وفيه أثبتَ عليهم أنهم ناقصو الرأي جهال عمي؛ لأنّهم مِن بَعْدِ ما قبلوا مثلَ هذه المواهب من الإيمان بالمسيح انْثَنوا إلى الشريعة القديمة[3]. . . . وهنا أَخَذَ يُبَرْهِنُ على أنَّ الـبِرّ لا يُمكِنُ أنْ يكونَ مِن أعمالِ النّاموس، لأنَّ الذين يتمسّكون بأعمالِ الناموسِ ورسومِه طَلَباً للبِرّ منها هُمْ عُرْضة للّعْنَةِ والعُقوبةِ، لأنّه مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لا يَعمل بجميعِ ما كُتِبَ في هذا الناموسِ، والحال أنَّ جميعَ الذين هُمْ تَحْتَ الناموسِ لا يُمْكِنهم العمل بكلّ ما فيه. . . . فإذًا الناموسُ في نَفْسِه لا يُبرّر، لا بل يسوقُ إلى اللعْنَةِ والهلاك[4]. . . . وأمّا الناموس فليس من الإيمان، لأنّ الأعمال التي هي بحسب الناموس ليست هي بحسب الإيمان، ولأنّ الناموسَ لا يُؤْتي الإيمانَ ولا يَجْلِب النعمةَ التي بها يُتَمِّم هو ويَتَبَرَّر الإنسان، بل هذه النعمة هي مِن الإيمان»[5].

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٥٢ـ٣٦١.

(٢) النص السابق في شرح الفقرة ١ ص ٣٥٢.

(٣) النص السابق في شرح الفقرة ٢ ص ٣٥٣.

(٤) النص السابق في شرح الفقرة ١٠ ص ٣٥٤ و٣٥٥.

(٥) النص السابق ص ٣٥٥ في شرح الفقرة ١١.

مبالَغةٌ في التهجّم على الناموس أيْ شريعة التوراة

ففي رسالة بولس إلى أهل غَلاَطِيّة ٤/٩-١١ «٩ - وأمّا الآن إذْ عَرَفْتُمُ اللهَ بَلْ بالحَريّ عُرِفْتُمْ مِن اللهِ فَكَيْفَ تَرْجعُونَ أَيْضاً إلى الأَرْكانِ الضعيفَةِ الفَقِيرَةِ التي تُريدُونَ أنْ تُسْتَعْبَدُوا لَها مِنْ جَدِيدٍ (١٠) أَتَحْفَظُونَ أياماً وَشُهُوراً وَأَوْقَاتاً وَسِنِينَ (١١) أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَكُونَ قَدْ تَعِبْتُ فِيكُمْ عَبَثاً».

وقد قال يوسف العلم في شرح الفقرات السابقة[1]: «فَأَنّى رَجَعْتُم إلى العُبودِيّةِ لا عُبُودِيّةِ الأَوثَانِ بل عُبُودِيّة الشريعةِ اليهوديةِ المُعَبَّر عَنها بالعناصرِ الضعيفةِ الحَقِيرَةِ؛ لأَنّ طُقوسَها وَرُتَبَها وعباداتِها لا تُبَرِّرُ مَنْ يُباشِرها ولا تُؤْتِيهِ من ذاتِها شيئاً من النعمة، فتعبدّتم لها وتهافتم إليها، وصرتم تُراعون ما كان يُراعي اليهودُ من الأيام كالسّبوتِ، ومن الشهورِ كالأَهِلّة والشهر السابع، ومن الأوقات كالأعياد، ومن السِّنين كَسَنَةِ الجيوبيليوم أي سَنَةَ السراح، وكالسَّنةِ السابعة وهي سَنَة الغُفران، وغير ذلك من الطقوس والعبادات التي كانت مستعملة عند اليهود، وقد دعاها الرسول هنا عناصر ضعيفة».

ويقول بولس في رسالته إلى أهل كُولُوسّي ٢/١٣-١٧ «١٣- وإذْ كُنْتُمْ أمواتاً في الخَطَايا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ أَحْيَاكُم مَعَهُ مُسَامِحاً لكم بجميعِ الخَطَايا (١٤) إذْ مَحَا الصَّكَ الذي عَلَيْنا في الفَرائِضِ الذي كانَ ضِدًّا لَنا وَقَدْ رَفَعَهُ مِن الوَسَطِ مُسَمِّراً إيّاه بالصَّليبِ (١٦) فَلا يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ في أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَلٍ أَوْ سَبْتٍ (١٧) التي هِيَ ظِلُّ الأُمورِ العَتِيدَةِ وَأَمّا الجَسَدُ فَلِلْمَسِيح».

وأقتطف من شرح يوسف العلم لهذه الفقرات ما يلي[2]: «أيْ إنّ المسيحَ

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٦٤.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٥٨-٤٦٠.

أحْياكم من موتِ الخَطِيَّةِ والشَّهْوةِ المُعَبَّر عنها بغُرْلَةِ اللحْم إلى حَياةِ النعمةِ كما حَيِيَ هو مِن المـوتِ إلى حَياةِ المَجْـدِ، وكـانَ ذلكَ لَكُمْ يَوْمَ كُنْتُمْ لا تَعْرِفُونَ الخِتانَ ولا الناموسَ، فما المنفعةُ إذاً مِن تَحمّل ثقل الخِتان أو الناموس[1]. . . . والمرادُ بصكّ الذنوب: الشريعة القديمة؛ فإنها كانت شريعةَ الشَّجْبِ وكانت ضِدًّا لنا، فالمسيحُ أبْـطَلها بشَرْعِهِ شريعةَ الإنجيل. . . . وتَسْمِير هذا الصّك على الصليب دلالة على مَحْوِهِ وإلغائه، فإنّ بعض الأمم كانوا يخرقون الصكوكَ المُلغْاةَ بمسامير. . . . فكانَ كأنه سَمَّرَ الشريعةَ القديمةَ على صَلِيبه للدلالة على مَحْوها وإبطالِها[2]. . . . أيْ فَمِن ثَمّ لا يُوسْـوِسَنّ أَحَدٌ في ضَمائِركُم في كُلِّ ما يتَعَلَّق بالمآكلِ المحرمةِ في الشريعةِ القديمةِ أو بمرُاعاةِ الأعيادِ والأهِلَّةِ والسُّبوتِ، فإنّ ذلك قدْ صارَ لغْواً باطلاً ما عادَ يَلزَمُ حِفْظُه لأنّ كُلَّ ما كان في الشريعة القديمةِ من رُتَبٍ وعباداتٍ واحْتِفاظاتٍ كان ظِلاً للمُسْتَقْبَلات، أيْ لِما يكونُ في الشريعة الجديدة»[3].

وفي رسالة بولس الأولى إلى تِيمُوثَاوس ١/ ٩ «عالِماً هذا أنَّ الناموسَ لَمْ يُوضَع لِلْبَارِّ بلْ لِلأَثَمَةِ والمُتَمَرِّدِينَ لِلفُجّارِ والخُطاةِ لِلدَّنِسينَ والمُسْتَبِيحينَ لِقاتِلي الآباءِ وقَاتِلي الأُمَّهاتِ لِقَاتِلي الناس».

وقد قال يوسف العلم في شرح هذه الفقرة مُعَلِّقاً[4]: «ومِن ثَمّ لا يكونُ الناموسُ لازِماً للمسيحيين الذين قد تَزكّوا وتَبرَّرُوا بالإيمانِ والعمادِ وَنجوا بالمسيحِ من لَعْنةِ الناموس».

وفي تعليق طبعة اللاتين ورد ما يلي[5]: «الشريعةُ تَنْهَى عن السيئاتِ وتُعاقِبُ المُذْنِبِينَ، ولذلك لَمْ تُسَنّ للبَارِّ، بل لمُسْتَبِيحي الحُرمَاتِ والمُنَجِّسِين».

---

(١) النص السابق ص ٤٥٨ في شرح الفقرة ١٣ .
(٢) النص السابق في شرح الفقرة ١٤ ص ٤٥٩ .
(٣) النص السابق ص ٤٦٠ في شرح الفقرتين ١٦ و١٧ .
(٤) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥١٥ .
(٥) انظر: هامش ص ٨٢٠ .

الناموس يقوّي الخَطِيئَة

يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية ٤/١٥ «لأنّ النّاموسَ يُنْشِئُ غضباً إذْ حيثُ ليسَ ناموسٌ ليسَ أَيْضاً تَعَدٍّ».

وفي طبعة اللاتين: «وحيثُ لا تكونُ شَرِيعة لا تكونُ مَعْصِيَة».

جاء في شرح يوسف العلم: «يعني أنّ الناموسَ ما هو عِلّة البَرَكَة والبِرّ، بل هو عرْضة للتعدّي والمُخالفة، وبذلك هو سبب للغضب والنقمة، إذْ لولاه لَمَا وقع تَعَدٍّ ومُخالَفة، على أنه لا تَعَدّي حيث ليس شريعة ووصية، ثم هو سبب للغضب بتهْييجِه فِينا الشهْوةَ إلى ما يُنْهى عنه، لأننا من طَبْعِنا نشتهي ما هو محظور»[1].

ويقول بولس في رسالته إلى أهل روما ٥/١٣ و ٢٠ «١٣- فإنه حتّى النّاموسِ كانتِ الخَطِيَّةُ في العالَم. على أَنَّ الخَطِيَّةَ لا تُحْسَبُ إنْ لـم يَكُنْ ناموسٌ (٢٠) وأمّا الناموسُ فَدَخَل لِكَيْ تَكْثُرَ الخَطِيَّةُ. ولكنْ حيثُ كَثُرَتِ الخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا».

يقول يوسف العلم في شرحهما[2]: «أيْ إنّ الخَطِيَّةَ نعم قد كانت في العالَم قَبْلَ إنزالِ الناموسِ إلا أنها لَمْ تكنْ تُحْسَب قَبْل إنزال الناموسِ حسبانها من بَعدِه إذْ تغلّظت بسببِه من جانب التعدّي والمجاوزة، وقَبْل تنزيله لم يكن هذا التعدّي، على أنه لا تَعَدّي حيث ليس ناموس كما مَرّ. . . . خاف الرسول من قوله في العدد ١٣ (أنّ الخَطِيَّة كانت في العالَمِ حتّى الناموسِ) أنْ يَتوهّم منه المُتوهِّمُ أنّ الخَطِيَّةَ ما بَقِيتْ في العالَم بَعْدَ الناموسِ، فردّه هنا بقوله: لا بل إنّ الخَطِيَّةَ ازْدادت وتكاثرتْ بالناموس

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣١.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٧ شرح الفقرة ١٣، و ص ٤٠ و٤١ شرح الفقرة ٢٠.

كأن الناموسَ صار عِلّة لزيادتها، ولمّا تكاثرت الخَطِيّة وتناهى العالَم في الشرور إلى أقصى ما يكون جاء المسيحُ وأفاضَ على الدنيا بُحورَ النِّعَمِ والعَطَايا».

والأصحاحان السادس والسابع من رسالة بولس إلى أهل رومية مُتَمِّمان لبعضهما، فهما كلام فلسفي عقيم جدًّا في فلسفة البِرِّ والخطيئة، سواء في المتن أم في الشرح، وفيهما خَلْطٌ كثير وتخبط فاحش ودارسُهما يخرج بنتيجة هي أنّ بولس يُشجّع على فِعل المُنْكرات والتحرّر من شريعة الناموس؛ لأنّ الناسَ قَبْل الناموس بزعمه كانوا لا يَعرْفون الخَطِيَّةَ، فَهُمْ مَعذُورون بِفعلها لأنه لا يوجد ناموس يقول لهم هذه خَطِيّة، فلمّا جاءَ الناموسُ وقال للناس اجتنبوا الخَطَايا الفلانية نبّههم عليها وقوّى فيهم الرغبةَ لعَمَلِها فأثِموا بمخالفتهم الناموس، وبما أنّ المسيحَ افتدى البشَرَ من الخَطِيَّة فلا مانع الآن من العوْدةِ لحياةِ الخطايا، لأنّ المسيحَ كَفَّرها كلَّها سابقها ولاحقها، ولعلّ هذا هو مقصدُ بولس بنعْمَةِ الافتداء، أي تسهيل عَملِ المعاصي دون تحرّج من وعيدِ الناموس، وأكتفي من هذين الأصحاحين بذكْر فقرات الأصحاح ٧/٧-١١ «٧- . . . فإنّني لَمْ أعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْ لَمْ يَقُلِ النّاموسُ لا تَشْتَهِ (٨) ولكنّ الخَطِيَّةَ وهِي مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بالوَصِيَّةِ أَنْشَأَتْ فِيَّ كُلَّ شَهْوَةٍ. لأنْ بِدُونِ النَّاموسِ الخَطِيَّةُ مَيِّتَةٌ (٩) أمّا أنا فَكُنْتُ بدونِ النّاموسِ عائِشاً قَبْلاً. ولكنْ لمّا جاءَتِ الوَصِيَّةُ عاشَتِ الخَطِيَّةُ فَمُتُّ أنا (١٠) فَوُجِدَتِ الوَصِيَّةُ التي للحياةِ هي نَفْسُها لِي لِلْمَوْتِ (١١) لأنّ الخَطِيَّةَ وهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بالوَصِيَّةِ خَدَعَتْنِي بِهَا وَقَتَلَتْني».

وأكتفي من شرح يوسف العلم لهذه الفقرات بما يلي من شرح الفقرة الثامنة[1]: «يعني أنّ الشهْوةَ كانت في الإنسان كأنّها نائمةٌ خامدةٌ وبإنزال الناموسِ تَنَبَّهتْ واهْتاجَتْ وهَيَّجَتْ معها بناتها ومتفرعاتها، على أنّ الإنسانَ من طَبْعِهِ مائلٌ إلى المَحْظورات، فالناموسُ بزجْرِهِ للإنسانِ عن اتّباع شَهواتِه الخبيثة كانَ له كالمحرّك إليها وكالمهيّج لها، والحاصل أنّ الشهْوةَ قَوِيَتْ في الإنسان بسببِ الناموسِ وتَسعَّرتْ نارُها فيه أكثر من الأوّلِ».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٩.

وفي رسـالـة بولس إلى أهـل رومـا ٨/٢-٣ «٢- لأَنَّ ناموسَ رُوحِ الحياةِ في المسيحِ يَسُوعَ قَدْ أَعْتَقَني من ناموسِ الخَطِيَّةِ والمَوْتِ (٣) لأَنَّه ما كَانَ الناموسُ عاجزاً عنْـهُ في مَا كانَ ضَعيفـاً بالجَسدِ فالله إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ في شِبْه جَسَدِ الخَطِيَّةِ ولأَجْلِ الخَطِيَّةِ دَانَ الخَطِيَّةَ فِي الجَسدِ».

فانـظر كيف سمّى بولسُ شريعـةَ موسى ناموسَ الخَطِيَّة والموت، وفي نُسْخة يوسف العلم وردت هاتان الفقرتان كما يلي: «٢ ـ لأنّ سُنَّةَ رُوحِ الحياةِ التي بيسوعَ المسيحِ قد أَعْتَقَتْكَ مِنْ سُنَّةِالخَطِيَّةِ والموْتِ (٣) ومِن أَجْلِ أَنَّ الناموسَ كان ضَعيفاً لضعْفِ الجَسدِ أَرسَلَ اللهُ ابْنَه في شِبْه جَسدِ الخَطِيَّة مِن أَجْل الخَطِيَّة لكَيْ يَشْجُبَ االخَطِيَّةَ بِجَسَدِه».

قال يوسف العلم في شرح الفقرة الثالثة[1]: «أيْ ومِن حيثُ أَنّ الناموسَ قَصَّرَ لِفسادِ الطبيعةِ البشَريَّةِ عن إنقاذِنا مِن عُبوديَّةِ الشهْوةِ وما قَويَ على تَقْويَتِنا عليْها ولا على حِفْظِ الوصايا بِرُمَّتِها بعَثَ اللهُ ابْنَه لِيُولِيَنَا ما قَصّر عنه الناموسُ فأتانا في شِبْهِ جَسدِ خاطِىء بأنْ وُلِدَ قابِلاً للموت وتحمّل الهوانَ والشقاءَ ثم ذاقَ الموتَ كأَنّه خاطِىء، أيْ حَلَّ به من البلايا ما هو واجِبٌ للخُطَاةِ».

ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كُورِنْثُوس ١٠/٥٦ «أَمّا شَوْكَةُ الْموتِ فَهِيَ الخَطِيَّةُ. وقُوَّةُ الخَطِيَّةِ هِيَ النّامُوسُ».

قال يوسف العلم في شرحها[2]: «وأمّا كون قُوّة الخَطِيّة من الناموس فَلأَنّ الناسَ من طَبْعِهم يَميلون إلى المَحْـظُورات ويَرْغَبـون في ما حُرِّمَ عَليْهم، فكـانَ وضْعُ الناموسِ سببًا لِتقَوّي الخَطِيّة وكَثْرتها».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٤.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٦٣.

ويقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كُورِنْثُوس ٣/٦ «الذي جَعَلَنا كُفَاةً لأنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لا الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأنَّ الحَرْفَ يَقْتُلُ ولكنَّ الرُّوحَ يُحْيِي».

قال يوسف العلم في شرحها[1]: «يعني أنَّ اللهَ سُبحانه جَعَلَ الرسولَ وأقرانَه خُدّاماً للعَهْدِ الجَدِيد لا لِيَقْرَأُوا على الناسِ وصَايا مُعَلَّقةً على ألواحٍ نَظِيرَ خُدّامِ العَهْدِ القـديمِ فَقطْ، بل لِيَهَبُوهم الروحَ القُدُس أيضاً لِيَتَقَوُّوا به على حِفْظ ما يأمُرونَهم بهِ وإتمام ما يَقولونَه لهم، لأنَّ الكِتابَ ـ أي الناموس ـ بدون نِعْمةِ الروحِ القُدس لا يُفِيدُ الإنسانَ شيئاً لا بلْ يكونُ له للموت. . . . وقوله (إنَّ الكِتاب يَقْتُل) هو كقوله في رسالة رومية ص٧ عدد ٨ (إنَّ الخَـطِيَّةَ اتّخذتْ بالوصيةِ فُرْصَةً فَعَملَتْ فيَّ كُلَّ شَهْوةٍ لأنَّ الخَطِيَّةَ بدونِ ناموسٍ كانتْ مَيِّتة). . . . لأنّه بالناموسِ يَتحرَّك إلى الشهْوةِ إذْ إنّه مِن طَبْعهِ مائِلٌ إلى المحْظورات فَتقْتله الشهْوةُ».

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص٢٨١.

نَسْخُ الختان

يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية ٢/٢٥-٢٩ «٢٥ - فإنَّ الخِتَانَ يَنْفَعُ إنْ عَمِلْتَ بالنّاموس . ولكنْ إنْ كُنْتَ مُتَعَدّياً الناموسَ فقدْ صارَ خِتَانُكَ غُرْلَةً (٢٦) إذاً إنْ كانَ الأَغْرَلُ يَحْفَظُ أَحْكَامَ النّاموس أَفَمَا تُحْسَبُ غُرْلَتُهُ خِتاناً (٢٧) وَتَكُونُ الغُرْلَةُ التي مِن الطّبيعَةِ وَهِيَ تُكَمِّلُ النّاموسَ تَدِينُكَ أَنتَ الذي في الكِتَابِ والخِتانِ تَتَعَدّى النّاموسَ (٢٨) لأنّ اليهوديَّ في الظّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًا ولا الخِتانُ الذي في الظّاهِرِ في اللحْمِ خِتَاناً (٢٩) بل اليَهُودِيُّ في الخَفاءِ هو اليَهُودِيّ وخِتَانُ القَلْبِ بالروحِ لا بالكِتَابِ هو الخِتَانُ. الذي مَدْحُهُ لَيْسَ مِن النّاسِ بلْ مِنَ اللهِ».

لقد فسّر يوسف العلم هذه الفقرات[1] وملخص كلامه : إنّ الخِتَانَ عِلامةٌ لليهودِ على حِفْظِ الناموسِ ، لأنّ الخِتانَ ما هو إلا تَكَفُّل بحفْظِ الناموسِ ، والخِتان الصحيح الحقيقيّ ما كان في نَبْذِ الخَطِيَّة وقَطْعِ الإثمِ لا بجراحةِ الجسدِ وقَطْعِ اللحمِ ، فليْسَ الخِتان المرضي لله ما كان ظاهراً في البَشَرة، بل إنّ حقيقة الخِتان المرضي لله إنما تقوم بقَطْعِ القلبِ عن الإثم والشهوات بروح القدس لا بحسب حَرْفِيّة ناموس موسى والجسدِ الظاهري .

وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطية ٢/٣-٥ «٣-لكنْ لمْ يَضْطَرّ ولا تِيطُسُ الذي كان مَعِي وهـو يونانيٌّ أَنْ يَخْتَتِنَ (٤) ولكنْ بسَبَبِ الإخوةِ الكَذَبةِ المُدْخَلِينَ خِفيَةً الذين دخلوا اختلاساً لِيَتَجَسَّسُوا حُرِّيَّتَنا التي لَنا في المسيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا (٥) الذينَ لَمْ نُذْعِنْ لَهُمْ بالْخُضُوعِ ولا سَاعَةً لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الإنجيلِ ».

قال يوسف العلم في شرح الفقـرات السـابقة[2]: «إنّ بعضاً من اليهودِ كانوا يَطْلبـون أنْ يَختتِنَ طيطوس لأنّهم كانوا عالِمينَ بأنه غيرُ مخْتُون، وكان قَصْدُهم أنْ

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٦-١٧ .

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٤٥.

يُوجِبُوا على المؤمنينَ حِفْظ رسوم الشريعةِ القديمةِ التي ألغاها المسيحُ[1] وأَعْتَقَ المؤمنين من عُبودِيّتِها، فهؤلاء اليهود دعاهم الرسول إخْوة كَذَبة لأنهم تظاهروا بالنصرانية وانسابوا بين المسيحيين يَطلبون أنْ يَختتن طيطوس، فكانت حِيلتُهم خبيثة وغَرَضُهم مذموماً كما تقدّم، أي ولم نوافق هؤلاء الإخوة الكَذَبة على غرضهم ولا ساعة واحدة، وذلك لِنُقيمَ عليهم الحجة ويتحقق عندهم أَننا قد أُعتِقْنا بالإنجيل من الشريعة. اعلمْ أنّ الرسولَ لم يُسامحْ في خِتان طيطوس لئلا يكون ذلك منه إيذاناً بأنّ الختان ضروريّ للشعوب».

وفي رسالة بولس إلى أهل غَلاطِيَّة ٥/١-٦ «١ - فاثْبُتوا إذاً في الحُرِّيّةِ التي قَدْ حَرَّرَنا المسيحُ بها ولا تَرْتَبِكوا أيضاً بِنِيرِ عُبُودِيّةٍ (٢) هَا أَنا بولسُ أَقولُ لَكُمْ إنّهُ إنِ اخْتَتَنْتُمْ لا يَنْفَعُكُمُ المسيحُ شَيْئاً (٣) لكنْ أَشهدُ أيضاً لكلِّ إنسانٍ مُخْتَتِنٍ أنّه مُلْتَزِمٌ أنْ يَعْمَلَ بِكُلِّ النّاموسِ (٤) قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ المسيحِ أيّها الذينَ تَتَبرَّرُونَ بالنّاموس. سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ (٥) فإنّنا بالروحِ مِنَ الإيمانِ نَتَوَقَّعُ رَجاءَ بِرٍّ (٦) لأنّه في المسيحِ يسوعَ لا الخِتانُ يَنْفَعُ شَيْئاً ولا الغُرْلَةُ بلِ الإيمانُ العَامِلُ بالمَحَبّةِ».

وأنقل من شرح يوسف العلم لهذه الفقرات ما يلي[2]: «اعلمْ أنّ الرسلَ الكَذَبةَ كانوا يُعَلِّمُون بأنّ الخِتانَ لازمٌ للخَلاص وأنّ الإيمان بالمسيحِ لا يكفي للتبرير ولتَحْصِيلِ الخَلاص بدون الختان. . . . فخالفهم الرسولُ هنا ونَقَض تعليمهم بقوله: إنّ الختان على بناء أنه لازم للخلاص هو انسلاخ عن دين المسيح وكُفْرٌ بإيمانه، فلا يُمْكِن الجَمْعُ بينهما، وإنّ حِفْظَ الخِتانِ يُوجب حِفْظَ باقي رسومِ الناموسِ كلها؛ لأنّ الخِتانَ هو إقرارٌ بالدينِ اليهوديّ كما أنّ العمادَ هو إقرارٌ بالدين المسيحي[3]. . . . أيْ أنتم الذينَ تَطْلبون أنْ تتبرَّروا بالختانِ وتَجعلون البِرَّ من أعمالِ الناموسِ قد عَدمْتم

---

(١) نحن في صدد إثبات أن الذي ألغاها هو بولس لا المسيح عليه السلام.
(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٧١-٣٧٣.
(٣) النقل السابق ص ٣٧١-٣٧٢ في شرح الفقرتين ٢ و٣.

أنفُسَكم من منافع المسيح وخَسِرْتم النعمةَ التي كانت لكم منه ؛ لأنّ الذين يَجعلون البِـرَّ بأعمـالِ النـامـوسِ ما هُم مسيحيين حقّـاً ولا لهم نصيبٌ في استحقـاقـات المسيح[1]. . . . فيه يبرهن على أنّ المُتَهوِّدين الذين يَرُومون أنْ يَتبرَّرُوا من الناموس قد سَقطوا من المسيحِ ودينهِ وما هم مسيحيين حقّاً، لأنّ المسيحيين الحقيقيّين يَطْلبون البِرَّ المَرجو مِن إيمان المسيح ومِن روحِ النعمةِ والمحبَّةِ الذي هو من الإيمان لا مِن الخِتـان وغيره من أعمـالِ الناموس، وذلك لأنّه في إيمان المسيحِ وديانته لا اعْتِبارَ للخِتانِ ولا للغُرْلَةِ، ولا عَمَلَ لهما في تحصيلِ البِرِّ والخَلاص، بلْ كُلُّ العَمَلِ للإيمانِ الحَيِّ الفعّال»[2].

وفي تعليق طبعة اللاتين على الفقرة الأولى ما يلي[3]: «لا يستطيعُ المسيحيُّ أنْ يَجمع بيْن التمسُّـكِ بأحكامِ شريعةِ موسى والإيمان بأنّ الخَلاصَ يأتِينا.من السيد المسيح ، فلا بُدّ له من اختيارِ أَحدِ الأمريْن».

وفي رسالة بولس إلى أهل غَلاطِيَّة ٦/١١-١٦ «١١ - أنْظُرُوا ما أَكْبَرَ الأَحْرُفَ التي كَتَبْتُها إليكم بيَدِي (١٢) جَمِيعُ الذينَ يُرِيدُونَ أنْ يَعْمَلُوا مَنْظَراً حَسَناً في الجَسَدِ هَؤُلاءِ يُلْزِمُونَكُمْ أَنْ تَخْتَتِنُوا لِئَلّا يُضْطَهَدُوا لأجْلِ صَلِيبِ المَسيحِ فَقَطْ (١٣) لأَنَّ الذينَ يَخْتَتِنُون هُمْ لاَ يَحْفَظُونَ النّاموسَ بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ تَخْتَتِنُوا أَنْتُمْ لكَيْ يَفْتَخِرُوا في جَسَدِكُمْ (١٤) وأَمّا مِنْ جِهَتِي فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إلّا بِصَلِيبِ رَبِّنا يَسُوعَ المسيح الذي بِهِ قَدْ صُلِبَ العَالَمُ لِي وأَنَا لِلعَالَمِ (١٥) لأَنه في المَسيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الخِتانُ يَنْفَعُ شَيْئًا ولا الغُرْلَةُ بل الخَلِيقَةُ الجَدِيدَةُ (١٦) فَكُلُّ الذِينَ يَسْلُكونَ بِحَسَبِ هذا القانونِ عليهِمْ سلامٌ ورحمةٌ وعلى إسرائيلِ اللهِ».

---

(١) النقل السابق ص ٣٧٢ في شرح الفقرة ٤ .

(٢) النقل السابق ص ٣٧٣ في شرح الفقرتين ٥ و٦ .

(٣) انظر: هامش ص ٧٣٧ .

قال يوسف العلم في شرح الفقرتين الأخيرتين[1]: «في النصرانية لا اعْتِبارَ للخِتانِ ولا للغُرْلَةِ. . . . بل كلُّ الاعتبارِ لِمَنْ وُلِدَ في المسيحِ بالعمادِ وخَلَعَ الإنسانَ العتيقَ ولبسَ الإنسانَ الجديدَ. . . . والذين يأخذون بما قُلْتُ من حقيقةِ المذهبِ المسيحيِّ ولا يميلُون إلى الخِتانِ والطقوسِ القديمةِ بل يسْلُكون كالخليقةِ الجديدةِ بحسب تَعْليمِ المسيحِ وضَوابطِ إيمانِه فإنهم يُرْزَقُون من الله السّلامَ والرّحْمةَ وكُلَّ نِعمةٍ ومَوْهِبةٍ».

ويقول بولس في رسالته إلى أهل فيلبي ٣/٣ «لأنّنا نحْنُ الخِتانُ الذِينَ نَعْبُدُ اللهَ بالروحِ ونفْتَخِرُ في المسيحِ يسوعَ ولا نَتَّكِلُ على الجَسَدِ».

قال يوسف العلم في شرح هذه الفقرة[2]: «يعني أَنَّ خِتانَ الجسدِ كانَ رمْزاً لخِتانِ القلْبِ لأنّ الخِتانَ إنما هو خِتان القلبِ بالروحِ لا بالكِتابِ، فالمسيحيّون هُمْ أهْلُ خِتانِ القلْب، فإذاً هُمْ أهل الختانِ الحقيقيّ لا اليهود؛ لأنّ المسيحيينَ قَدِ اخْتَتَنُوا بقلوبهم منقطعين عن محبّةِ الشَّهَواتِ والمُنْكَرات وصاروا عَبَدَةً للهِ بالروحِ والحقِ، يَفتخِرون بيسوعَ المسيحِ الفادِي، متوكّلين عليه ومترجّين الخلاصَ منه خِلافاً لليهود، فإنّ خِتانَهم إنما هو بقطْعِ اللحْم لا غير».

ويقول بولس في رسالته إلى أهل كُولُوسّي ٢/١١ «وَبِهِ أَيْضاً خُتِنْتُمْ خِتَاناً غَيْرَ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ بِخَلْعِ جِسْمِ خَطَايَا البَشَرِيَّةِ بِخِتَانِ المَسِيحِ».

قال يوسف العلم في شرحها[3]: «أيْ وبعضٌ مِن العُلَمَاءِ المتهوِّدينَ يَحثُّونَكم على الخِتانِ ويُحبِّبُونَه إليكم فلا تَسْمعوا لهم؛ لأنّ خِتانَكم أشرفُ من ختانِ اليهودِ

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٨٢.
(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٣٧.
(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٥٨.

وأنفعُ بكثير، فإنّ خِتانَ اليهودِ في الجَسدِ وخِتانكم في القلبِ والروحِ ، خِتانهم بأيدي البَشَر وخِتانكم بقوّةِ المسيحِ والروحِ القدس، خِتانهم بقطْعِ اللحْمِ وخِتانكم بقَطْع الخَطِيَّةِ، خِتانهم كانَ مِن إبراهيمَ وخِتانكم من المسيحِ ، فالختانُ الصحيحُ الحقيقيُّ النافعُ إنّما هو خِتانكم».

فَتوى بولس بالإباحةِ العامّـــة :
أيْ تحْليل جميعِ المحَرَّمات بما فيها ذبائحُ الأوثـــان .

أكّد بولسُ على حِلِّيَّةِ جميعِ المحرَّمات الواردة في التوراة، وأنه لَمْ يَبْقَ في دينهِ شيءٌ نَجِسٌ، بلْ كُلُّ شيءٍ في نظرِه طاهرٌ وحلالٌ لأتْباعِه، الذين سمّاهم بالطّاهرين.

ففي رسالته إلى أهل رُومِيَة ١٤/٢-٣ «٢- واحِدٌ يُؤْمِنُ أنْ يَأْكُلَ كُلَّ شَيْءٍ وأمّا الضَّعِيفُ فيَأْكُلُ بُقُولاً (٣) لا يَزْدرِ مَنْ يَأْكُلُ بِمَنْ لا يَأْكُلُ ولا يَدِنْ مَنْ لا يَأْكُلُ مَنْ يَأْكُلُ. لأنَّ اللهَ قَبِلَهُ».

وقـد قال يوسف العلم في شرح الفقرات السابقة[1]: «أيْ مَن كان عالِماً في الإيمـان وخبيراً في المَـذْهب يَعْلم أنه يَجُوز له أنْ يأكلَ كلَّ شيء لأنه لا شيء من المأكولات محرّم في الإنجيل[2]. . . . أيْ مَن يأكل كلَّ شيء بحسب إباحةِ الإنجيل وتحديدِ الشريعة الجديدة لا يحتقر من لا يأكل تمسّكاً بالشريعة القديمة لضَعْفِهِ وعدم عِلْمِه، ولا يَعُدّه مخالفاً للشريعة الإنجيلية، كذلك مَنْ لا يأكل لا يَحْكم على مَن يأكل بأنه مخالِفٌ للشريعةِ الموسوية المحرِّمة لِمَا يأكله؛ لأنّ الله قد اتّخذ مِثْلَ هذا عَبْداً له وقَبِلَه ورضيَ عنه، فلم يَعُدْ يسوغ لأحدٍ أنْ يدِينَه ويعيبَه، أي ليس لك يا مَن لا تأكل أن تدِينَ مَن يأكل وتَشْجبه. . . . فالذي تَحكمُ عليه أنت بأنه أُذنَبَ بأكْلها هو عِنْدَ الله بريءٌ غير مذنب. . . . وسَمَحَ[3] بالامتناع عن المآكل المذكورة لِمَن اعتقد ذلك، وكان سماحُه إلى زمن إذْ لم يكن يتأتى وقتئذ إلغاء الشريعة القديمة بالكُلّيَّة»[4].

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١١١-١١٢.
(٢) النص السابق في شرح الفقرة ٢ ص ١١١.
(٣) أي بولس.
(٤) النصوص المذكورة في شرح الفقرتين ٣ و٤ ص ١١١ و١١٢.

وفي الأَصحاح الثامن من رسالة بولس الأولى إلى أهل كُورنْثُوس ذِكْرٌ لذبائح الأوثانِ بكلامٍ فَلْسفي، وقارئُ هذا الأصحاح لا يَخْرج منه بنتيجة بخصوص ذبائح الأوثان هل هي حلال أم هي حرام، ثم عاد لذِكْر ذبائح الأوثان في الأَصحاح العاشر أيضاً على نفس المنهج الفلسفي في الأَصحاح الثامن، وأكتفي بنقل بعض فقرات من الأَصحاح العاشر يفهم منها حِلِّيَّة ذبائح الأوثان صراحة:

ففي رسـالـة بولس الأولى إلى أهل كُورنْثُوس ١٠/٢٣ و ٢٥و ٢٦ «٢٣- كُلُّ الأَشْياءِ تحِلُّ لِي لكنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشياءِ تُوافِقُ. كُلُّ الأشياءِ تَحِلُّ لِي ولكنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشياءِ تَبْنِي (٢٥) كُلُّ ما يُبَاعُ في المَلْحَمَةِ كُلُوهُ غَيْرَ فَاحِصِينَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِ الضَّمِيرِ (٢٦) لأَنَّ للرَّبِّ الأَرْضَ ومِلأَهَا».

ونص الفقرة الثالثة والعشرين في طبعة اللاتين كما يلي: «كُلُّ شَيْءٍ حَلالٌ ولكنْ لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ بِنَافع. كُلُّ شَيْءٍ حَلاَلٌ ولكنْ لَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ يَبْنِي».

وقد شرح يوسف العلم هذه الفقرات جميعها في صفحة ٢١١ من تفسيره، وفيما يلي نصّ كلامه: «وذلك كأَكْلِكُمْ مِنْ ذبائح الأَوثان مَثَلاً، فإنه مباح لكم وهو حلال غير محرّم، لكنّه لا يجوز لكم فيما إذا كان عثْرةً للضُّعَفَاءِ، لأنّ ذبائح الأوثان في ذاتها حُكْمها حُكْم باقي الأَطعمة، فيجوزُ أَكْلها بهذا الاعتبار. . . . اعلمْ أنّ الوثنيين كانوا يَضَعُون ما يفْضُلُ عنهم من الذبائح في الأسواق للمبيع، فكان بعضُ الضعفاء يمتنعون عن شِراء اللحوم لئلاّ يَشتروا ما يكون من ذبائح الأوثان. . . . فأَزالَ الرسولُ وسْواسهم هذا بقوله: كُلُوا من اللحوم التي تُباع في المَجْزَرِ ولا تسألوا أيها من ذبائح الأوثان، وذلك لأَجْل نِيَّتِكم لأنكم تَعْلمون أنّ الوثنَ ليس بشيء وأنّ ما يُقَرَّب له من الذبائح لا يفْرق عن باقي اللحوم، أيْ إنّ الأرضَ وكلَّ ما فيها للرب، فكل ما في الأرض إذاً حَسَن طاهـر وكذلك ذبائح الأوثان فإنها بحسب كونها مخلوقة من الله طاهرة لا دنسة كما تتوهمون، وعليه الذهبي وتاوفيلكتوس».

وقد ذكر بولس بعضَ تعاليم مخالفيه بخصوص بعض المحرمات من المطعومات وفتْواه ضدهم في رسالته الأولى إلى تِيموثاوس ٤/٣-٧ «٣- وآمِرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عنْ أَطْعِمَةٍ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِتُتَنَاوَل بالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنينَ وعارِفي الحَقِّ (٤) لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ ولا يُرْفَضُ شَيْءٌ إذا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ (٥) لأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ والصَّلاةِ (٦) إنْ فَكَّرْتَ الإِخْوَةَ بِهَذَا تَكُونُ خادماً صَالِحاً لِيَسُوعَ المَسِيحِ مُتَرَبِّياً بِكَلامِ الإيمانِ والتَّعْليم الحَسَنِ الذي تَتَبَّعْتَهُ (٧) وأَمَّا الخُرَافَاتُ الدَّنِسَةُ العَجَائِزِيَّةُ فارْفُضْهَا وَرَوِّضْ نَفْسَكَ للتَّقْوَى».

ونص الفقرة الرابعة في طبعة اللاتين كما يلي: «فَكُلُّ ما خَلَقَ اللهُ حَسَنٌ فَمَا مِنْ طَعَامٍ نَجِس إذَا تَنَاوَلَهُ الإنسانُ وَهُوَ حَامِد».

قال يوسف العلم في شرح الفقرات الثلاث الأولى[1]: «فيه يَرُدُّ الرسولُ على الهراطقةِ الذين أَشرْنا إليهم بثلاث حجج: **الأولى**: أنّ الله هو الذي خَلَق الأطعمةَ بخلاف ما زعموا، وغَرَضه فيها أنْ يَتَناولها المؤمنون شاكرين له تعالى عليها. **الثانية**: كونها في نفسها جيدة لا شَرَّ فيها؛ لأنّ الله نَظَرَ كُلَّ شيء خَلَقَهُ فإذا به حَسَن جداً فلا يحْسُن نَبْذها وَرذْلها كما زعموا، بل يَجِب قبُولها والشكر عليها. **الثالثة**: كون تناولها لا إثم فيه ولا شَرّ لا بل هو مقبول عند الله وحَسَنٌ لديه، وهي تتقدم له بما يُتْلَى عليها من كلام الله والصلاة وبذلك تورث مَن يَتَناولها أَجْراً وجزاءً حسناً».

وأمّا فتوى بولس بالإباحة العامّة لجميع المحرّمات بلا استثناء فقد دوَّنها في رسالته إلى أهل روما ١٤/١٤ و ٢٠، وأعاد صياغتها بقالب جديد في رسالته إلى تيطس ١/١٤-١٥، وفيما يلي نصها وشرحها:

ففي رسالته إلى أهل روما ١٤/١٤ و ٢٠ «١٤- إنّي عالِمٌ ومُتَيَقِّنٌ في الربِّ يَسُوعَ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ نَجِساً بِذَاتِه إلاّ مَنْ يحسِبُ شَيْئاً نَجِساً فَلَهُ هُوَ نَجِسٌ (٢٠) لا تَنْقُضْ لأَجْلِ الطَّعَامِ عَمَلَ اللهِ كُلُّ الأَشْيَاءِ طَاهِرَةٌ لكنَّه شَرٌّ للإِنْسَانِ الذي يأْكُلُ بِعَثْرَةٍ».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٣٧.

قال يوسف العلم في شرح هذه الفتوى[1]: «أيْ إنّي قد عرفتُ مِن يسوعَ المسيح معلّمي أنْ لَيْسَ في إنجيله شيءٌ من المآكل بمحرّم ولا شيءٌ نَجِس غير جائز، وأنّ مَنْ تَوَهّم ذلك فيُعَدّ عليه محرّماً لخطأ ضميره، فعلى ذلك لا نَمْنَع أحداً عن أكل المحظورات القديمة».

وأمّا نصّ هذه الفتوى في رسالة بولس إلى تيطس ١/١٤-١٥ فكما يلي: «١٤- لا يُصْغُونَ إلى خُرافاتٍ يَهُودِيّةٍ وَوَصَايَا أُناسٍ مُرْتَدّينَ عن الحقّ (١٥) كُلُّ شَيءٍ طاهِرٌ للطّاهِرينَ وأمّا للنَّجِسِينَ وغَيْرِ المُؤْمِنينَ فَلَيْسَ شَيْءٌ طَاهِراً بَلْ قَدْ تَنَجَّسَ ذِهْنُهُمْ أَيْضاً وَضَمِيرُهُمْ».

قال يوسف العلم[2] في شرح هذه الصِّيغةِ لفتْوى بولس بالإباحةِ العامَّةِ: «يَعني أنّ علماءَ اليهودِ الذين عليهم الكلام هنا يعلمون أنّ بعض الأطعمة نجسة في ذاتها، وبعضها محرَّم من الشريعة القديمة، فمن ثَمّ يُحرِّمون هذه الأطعمةَ على المسيحيين للوجهيْن المذكورين، وأمّا أنت[3] فَعَلِّم بأنه لا شيء من ذلك محرَّم على المسيحيين الذين تَبرَّرُوا وتَطَهَّرُوا في العمادِ والإيمان، بل لهم أنْ يأكلوا ما أرادوا وأحبّوا لأنّ كل شيء من الأطعمة مباح لهم، وأمّا اليهود والمتهودون الأنجاس الكافرون فلا يَحلّ لهم أنْ يأكلوا لفساد ضميرهم ونِيَّتِهم لزعمهم أنّ بعض الأطعمة لم تَزَلْ محرمة عليهم، وهذا مبنيٌّ على اعتقادهم في الشريعة القيام والإلزام. أيْ إنّ الشريعةَ القديمةَ لمْ تَزَلْ قائمة مُلْزِمة، فإنْ أكلوا من الأطعمة المحرّمة مع هذا الاعتقاد أثِموا من جهة ضميرهم، وإن امتنعوا تمسّكاً بالشريعة أثِموا أيضاً؛ لأنّ ذلك مضادٌّ ومخالفٌ للتعليم الإنجيلي».

وبهذه الفتوى العامَّة لَمْ يَبْقَ في شريعة بولس شيء حرام، بل كل شيء حلال ويجوز أكْلُه لأتْباعِه.

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١١٤ شرح الفقرة ١٤.
(٢) انظر كتابه: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٩٢.
(٣) أي تيطس الذي أُرسِلتْ إليه هذه الرسالة.

وقَبْل الانتقال من هذه العقيدةِ إلى غيرها أقول: تحصّل لدينا من النقول السابقة وشروحها عدة ادّعاءات:

١ ـ أنَّ البرَّ عِنْدَ الله لا يكونُ بالعمل بأحْكام شريعة التوراة والالتزام بناموس موسى، فالبرُّ كلّه حَصَلَ بموْتِ المسيح، فَدَمُ المسيح استَغْفَرَ، لا عَنِ الخَطَايا السابقَةِ فقط، بَلْ عن جميع الخَطَايا مِن ماضية وآتية، فالمسيحُ هو ذبيحةٌ استغفاريّة، ولا تُنالُ منافعُ هذه الذبيحة إلا بالإيمان، وأمّا الأعمالُ فليسَ فِيها سَبيلٌ إلى إصابة البرِّ، ولو كان فيها برّ فالمسيحُ إذاً ماتَ بلا سَبَب.

٢ ـ أنَّ موْتَ المسيح الاستغفاريّ دَالٌّ على أنَّ الله بارٌّ في ذاتِه، فإنّه لِشَدَّةِ مَقْتِه للخَطِيَّةِ دَفَعَ ابنَهُ الوحِيدَ إلى الموْتِ ورَضِيَ بتَعْذِيبِه، قَضَاءً لحقِّ العدْلِ، ولِيترك للخُطاةِ خَطَايَاهُم بإيمانهم بالمسيح.

٣ ـ أنَّ إبراهيمَ ما حَصَلَ لهُ البرُّ بأعمالِ الناموسِ ولكنْ بالإيمان بالمسيح، ولَوْ كَانَ حَصَلَ لهُ البرُّ بالأعمالِ لبَطَلَ إيمانُه، ومثله إسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء، فجميعهم تَبَرَّرُوا بالإيمان بالمسيح لا بأعمالِ الناموسِ.

٤ ـ النامُوسُ عناصرُ ضعيفةٌ حقيرةٌ، لا تُؤتِي الإيمانَ، ولا تَجلبُ النعمةَ، وهو موضوعٌ للأَثَمَةِ والمُتَمَرِّدِينَ والفُجّارِ والخُطَاةِ والدَّنِسينَ، ولَمْ يُوضَعْ للأبْرارِ، والمسيحُ سَمَّرَ النامُوسَ والشريعةَ الموسوية على صَلِيبه ومَحَاهَا وألْغَاهَا، والمسيحيونَ مُصِيبُون فِي تَرْكهم الشريعةَ، ومتَبَرِّرُونَ بالإيمانِ، وناجُونَ بالمسيحِ مِنْ لَعْنَةِ الناموسِ، فالرجوعُ إلى شريعةِ الناموسِ إثْمٌ ومخالَفةٌ؛ لأنَّ معناهُ أنَّ المسيحَ لا مَنْفَعَةَ مِن موتِه، وهو إنما ماتَ ليحقِّقَ البرَّ والخَلاصَ لكلِّ الناسِ، فالقولُ بأنَّ البرَّ من الناموسِ كُفْرٌ وضَلالٌ مُبين، وجُحودٌ لنعمةِ اللهِ وكُفْرٌ بها، والمُتَمَسِّكُ بأعمالِ الناموسِ ورُسُومِه مُعَرَّضٌ لِلَّعْنَةِ والعُقوبة والهَلاكِ.

٥ - النـامـوسُ يُقَـوِّي الخَطِيئَةَ، وسَبَبٌ للغَضَبِ والنِّقْمةِ، ومُهَيِّجٌ للشَّهْوَةِ النائِمَةِ، ومُحَرِّكٌ إليها، وما تَسَعَّرتْ نارُها إلا بِسَبَبِ الناموسِ ، الذي ما جَاءَ إلا لِتَكْثُرَ الخَـطِيئَةُ، فهو عِلّة لِزيَادَتها، ومُرَغِّبٌ لِعَمَلِها، فهو إذَنْ لَيْسَ مُقَصِّراً في إنقاذِ الناسِ فَحَسْب، بل مُمِيتٌ لهـم.

٦ - أَنّ الخِتـانَ الـذي هو بِجِرَاحَةِ الجَسدِ وقَطْعِ اللحْمِ علامةٌ لليهودِ على حِفْظِ الناموسِ الموسويّ ولَيْسَ هو خِتاناً صَحِيحاً ولا مرضياً لله، بل هو كُفْرٌ وانسلاخٌ مِن الـدِّينِ والإيمـان، ولا يُمْكِنُ الجَمْـعُ بيْن هذا الخِتـانِ وبيْن الإيمـان بأَنَّ الخَلاصَ يأتي مِنَ المسيحِ ، فلا بُدّ من اختيارِ أَحدِ الأَمرينِ، والختان الصحيح ما كانَ بقَطْعِ القَلْبِ عنِ الإثمِ والشهواتِ.

٧ - أنّ جَميعَ المَطْعُوماتِ المُحَرَّمَةِ في التوراةِ مباحةٌ وحَلالٌ أَكْلُهَا، بِما فيها ذبائح الأَوثانِ والكفّار، لأَنّها بحسب كونها مَخْلوقة من الله فهي طاهرة لا دَنِسة، بشرْطِ أَنْ يَتَنَاوَلَها الإنسانُ معَ الشُّكْرِ، فليسَ شيءٌ من المآكلِ بمحرَّم، ولا شيء نَجِس غير جائزٍ، فيحلّ للمسيحيينَ أنْ يأكُلُوا ما أَرادُوا، وكلّ شيء طاهر للطّاهرين، وأمّا للنّجسينَ وغيرِ المؤمنين فليس شيء طاهراً.

النتيجة لهذه الادعاءات:

يُؤْمِنُ النصارى جميعاً بأنّ بولس نَسَخَ شريعةَ التوراةِ بما فيها الخِتان، وأَبَاحَ لهم جميعَ ما فِيها من مُحرّمات، وأَنّ البِرَّ والخلاَصَ حَصَلَ لهم بالإيمانِ بموتِ المسيحِ الكفّاريّ الاسْتغفاريّ، لا بالالتزامِ بأعمالِ الناموسِ الموسوِيّ، ولا دليلَ عندهم على ذلك سِوى ما كتَبَهُ بولسُ في رسائِله، ومَنْ يَتَجَرَّأ فيُطالِب بالالتزامِ بغيرِ ما شَرَعَهُ بولس، أو يقول هذا حرامٌ لا يَجُوزُ أَكْلُه، فهو خارجٌ عن الإيمانِ، وكافِرٌ بالنّعمةِ، ومُنْكِرٌ لِعَدْلِ اللهِ، ومُرْتَدٌّ عن الدّين.

٩ ـ عقيدة التَّعميد : الطَّقْسُ والأَسْرار

التَّعْمِيدُ (ويسمّى العماد، أو المَعْمُودِيّة) : وهو الغسْلُ بالماءِ رَمْزاً للنَّقَاوَةِ، وكان اليهودُ يَستعْمِلُون هذا الطقس، وتروي الأناجيلُ[١] أَنَّ يَحْيَى عَمَّدَ عيسى عليهما السلام في نهر الأردن، وليس فيها زيادة على ذلك، ولمْ تَرْوِ لنا كيفية هذا الطقْس، بل إنّ المسيحَ نَفْسَه لمْ يُعَمِّدْ أَحداً[٢]، والمسيحيونَ الآن يَعُدُّونَ هذا الطَّقْسَ علامةً على الانتسابِ رسمياً إلى الكنيسة «ويُصَرِّحُ اللهُ لِلْمُعْتَمِدِ بواسطةِ هذِهِ العَلاَمَة بغُفْرانِ الخَطَايا، ومَنْحِ الخَلاَص، أمّا المُعْتَمِدُ فيَتَعَهّد هو أو المسؤولون عنه بالطاعةِ لِكَلِمَةِ الله والتّكْرِيس لخِدْمَتِه»[٣].

كيفية التعميد:

اختَلفتْ وِجْهاتُ نَظَرِ المسيحيين فيها، فَيرَى المَعْمَدانيّون أنّ التعميد لا يَصِحّ إلا بالتغْطِيس الكامل لجسمِ المُعَمَّد، وقال بعضهم : بالتغطيس ثلاث مرّات، وجميعُ طوائف المسيحيين توافقُ على صِحّةِ التعميدِ بالتغطيس، وإنما الخلافُ في الرَّشّ والسَّكْب، وأغلبية المسيحيين تكتفي برَشّ الماءِ على الوجْه، لأنّ المقْصُودَ مِن وَضْعِ الماءِ الإشارةُ إلى غسْل الروحِ القُدُس، وأَوْجَبَت الأغلبيةُ تعميدَ الأطفال، لأنّه علامةٌ على الميثاق بيْنهم وبيْن الله، وعند البروتستانت لا يُعَمَّد إلا الكِبَار، أيْ بَعْدَ سِنٍّ يكونُ المَرْءُ فيه مُدْرِكاً لطقْس التعميد، وفاهِماً لمعْنَى الخَلاص والاعترافِ والتوبةِ[٤].

وقد أعطَى بولسُ لطقْس العمادِ في رسائله مفاهيمَ فلسفية لمْ تَرِدْ فيما سواها من الكُتُب والرسائل، وكانت تلك المفاهيمُ منْتشرةً بيْن الوثنيّين في عَصْرِه، ولذلك نقول :

(١) انظر: إنجيل متى ٣/١٣-١٦، وإنجيل مرقس ١/٩-١٠، وإنجيل لوقا ٣/٢١.

(٢) انظر: إنجيل يوحنا ٤/٢.

(٣) انظر: قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

(٤) انظر كتاب: عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت، تأليف دونالد ديماري، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد ص ١٤٥-١٤٧، وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٣٧.

إنّ طقْسَ العمادِ وفلْسفتَه وأَسْرارَه تُنْسَب كلّها إلى بولس، وفيما يلي البيان:

ورد ذكْـر العمـادِ وسـرّه في رسـالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٦/١١ و ١٢/١٣ وفيما يلي نصهما: «١١ـ وَهَكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُم. لَكِنِ اغْتَسَلْتُمْ بَلْ تَقَدَّسْتُمْ بَلْ تَبـرَّرْتُمْ باسْمِ الـربِّ يَسُـوعَ وبروُحِ إلهِنا (١٣) لأَنَّنا جَمِيعَنا برُوحٍ واحدٍ أيْضاً اعْتَمَدْنَا إلى جَسَدٍ واحِدٍ».

ونص الفقرة ١٣ في طبعة اللاتين كما يلي: «إنّا قَبِلْنَا المَعْمُودِيَّةَ جَمِيعاً في رُوحٍ وَاحِدٍ لِنَكُونَ جَسَداً وَاحِداً».

قال يوسف العلم في شرحهمـا: «لكنّكم اغْتَسلتم مِن خَطَاياكم بمـاءِ العمادِ ودُموعِ التوبةِ وحُزْتم القَدَاسَةَ والبرّ، وذلك باستحقاقِ المسيحِ وفعلِ الروحِ القُدُس، فإنّه هو فاعلُ التقْدِيسِ بنا[1]. . . . إنّ المؤمنين جميعهم دون تمييز قدْ تَرَتَّبوا لِجَسَدٍ وَاحِدٍ، وذلك في المَعْمُودِيَّةِ حيثُ اتحدوا بالمسيحِ بروحٍ واحدٍ وهو الروح القدُس الذي أُفِيضَ عليهم في المعمودية»[2].

وبهذا العمادِ يَصِيرُ المُعْتَمِدُونَ أبناءَ الله وخَلِيقةً جديدةً، ففي رسالة بولس الثانية إلى أهل كُورِنْثُوس ٥/١٦ـ١٧ «١٦ـ إذاً نحْنُ مِن الآنَ لا نَعْرِفُ أَحَداً حَسَبَ الجَسَدِ. وإنْ كُنّا قَدْ عَرَفْنَا المَسِيحَ حَسَبَ الجَسَدِ لَكِنِ الآن لا نَعْرِفُهُ بَعْدُ (١٧) إذاً إنْ كَانَ أَحَدٌ فِي المَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ العَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً».

---

(١) الشرح السابق من تيسير الوسائل ص ١٦٨ في شرح الفقرة ١١، وقد ذكر الدكتور القس فهيم عزيز في كتابه الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٣٤٦ أن معظم العلماء ومنهم كلفن يعتقدون أن هذا الغسل الوارد في هذه الفقرة إنما يشير إلى المعمودية.

(٢) الشرح السابق من تفسير تيسير الوسائل ص ٢٣١ في شرح الفقرة ١٣.

وقد ورد في شرحهما عند يوسف العلم ما يلي[1]: «لأنّه مِن حيثُ إنّه آمنَ بالمسيح فقد صار جديداً لِوُلودِهِ بالعمادِ مِيلاداً ثانياً روحيّاً، فكأنّه استحالَ إلى إنسانٍ آخر لأنَّ الأشياءَ القديمةَ كلَّها مَضَتْ وصارَ كُلُّ شيءٍ جديداً، كما مَضَتْ الرُّتَبُ والعِباداتُ اليهوديّة وقامَتْ مكانها الديانةُ المسيحيةُ، فيَلْزم كُلَّ مسيحيّ أنْ يَنْسى المساعي القديمةَ ويَعيش عيشةً جديدةً روحيةً. قال القِدّيس أغوسطينوس: إنَّ الإنسانَ المسيحيّ قَبْلَ العمادِ كانَ في حَيّزِ العَدَمِ إذْ كانَ في الخَطِيَّة؛ لأنَّ الخَطِيَّةَ هي عَدَمٌ، ولكنْ بالعمادِ يَنْتقِلُ مِن هذا العَدَمِ إلى الوجودِ الفائقِ الطبيعة الذي هو حالة النِّعمة فيَصير ابْناً لله كما قال الرسول: كُلّ مَنْ هُوَ بالمسيح فهو خَلِيقَةٌ جَديدةٌ».

وفي رسالته إلى أهل أفسس ٢/٤-٦ و ٤/٢٢-٢٤ يقول بولس: «٤ - اللهُ الذي هُوَ غنيٌّ في الرَّحْمةِ مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الكَثيرةِ التي أَحَبَّنا بها (٥) ونحنُ أمواتٌ بالْخَطايا أَحْيانَا مَعَ المسيح. بالنّعمةِ أنتمْ مُخَلَّصُونَ (٦) وأَقَامَنا مَعَهُ وأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي المسيح يَسُوعَ (٢٢) أَنْ تَخْلَعُوا مِن جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابقِ الإنسانَ العَتِيقَ الفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهواتِ الغُرُورِ (٢٣) وتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ (٢٤) وتَلْبَسُوا الإنسانَ الجديدَ المخلوقَ بَحَسَبِ اللهِ في البِرِّ وقَدَاسَةِ الحَقِّ».

قال يوسف العلم في الشرح: «كُنّا كُلُّنا موْتَى في الخَطِيَّة أَحَيانَا اللهُ في العمادِ كَمَا أَحْيَا المسيحَ من الموتِ، وذلك عن كثْرةِ رَحمتهِ ومَحبَّته لَنا، ولأَجْلِ استحقاقِ المسيح ونعمته. وأمّا قوله: (وأَقَامَنَا مَعَهُ وأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السماءِ) فيُريد به أنّه سَوْفَ يُقيمنا بالجَسدِ أيضاً، ويُجلسنا مع المسيح على كَراسي المجدِ والمُلْكِ؛ لأنَّ قيامةَ الروحِ في العمادِ تُحقِّقُ قِيامةَ الجَسدِ، وتُقرِّرُ لَنا الشَّرْكَةَ بمَجْدِ المسيح رأسِنا؛ فإن الأعضاءَ تابعةٌ للرأس، ولكن الرسول استَعملَ هنا الماضي مكانَ المستَقْبَلِ للدّلالَةِ

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٩٤.

على أنّ ذلك محقّقٌ لَنا كأنّه قَدْ حَصَلَ وصَارَ في حَوْزَتنا[1]. . . . وقد عَبَّرَعنها بالإنسانِ الجديدِ مِن حيثُ أنّ الإنسانَ في العمادِ يَخْلَعُ ثَوْبَ المآثمِ والخَطَايَا ويَلبسُ حُلَّةَ البرِّ والقَدَاسةِ، وينقلبُ من حالةٍ إلى أُخرى جديدة»[2].

ويقول بولُس في رسالتِه إلى أهل كُولُوسّي ٢ /١٢-١٣ : «١٢ـ مَدْفُونين مَعَهُ فِي المَعْمُودِيَّةِ التِي فِيها أُقِمْتُم أيضاً مَعَهُ بإيمانِ عَمَلِ اللهِ الذي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ (١٣) وإذْ كُنْتُمْ أَمْواتاً فِي الخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ أَحْيَاكُمْ مَعَهُ مُسَامِحاً لَكُمْ بجَمِيعِ الخَطَايَا».

يقول يوسف العلم في شرحهما[3]: «يعني أنّ دَفْنَ المسيحِ وقيامتَهُ كانَ رَمْزاً ومثالاً لِدفْنِنا وقيامَتِنَا، فإنّنا في المَعْمُودِيّةِ متْنا عن الإنسانِ العتيقِ وَدُفِنّا على شِبْهِ ما دُفِنَ المسيحُ في القَبْـرِ، ثمّ قُمْنَـا إلى حَياةِ النعمـةِ كمـا قَامَ المَسِيحُ إلى حَياةِ المجْدِ. . . وقوله (وَغَفَرَ لَنا خَطَايَانَا) يُريد به أنّ المسيحَ في العمادِ والإيمانِ غَفرَ لَنا خَطَايَانَا الأَصْلِيَّةِ والفِعْلِيَّةِ».

وقَـريبٌ مِن هَذا المعْنَى ما قالَـه بولُس في رسالته إلى أَهل غَلَاطِيَّة ٢ /٢٠ و ٣/٢٧ «٢٠ ـ مَعَ المسيحِ صُلِبْتُ فَأَحْيا لاَ أَنَا بَلِ المَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الجَسَدِ فإنّما أَحْيَاهُ فِي الإيمانِ إيمانِ ابنِ اللهِ الذي أَحَبَّني وأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي (٢٧) لأَنَّ كُلَّكُمُ الذينَ اعْتَمَدْتُمْ بالمَسيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ المَسِيحَ».

وقد شرح يوسف العلم هاتين الفقرتين بما يلي: «أيْ إنّه ماتَ في العمادِ مَعَ المسيحِ عنْ كُلِّ ما كَانَ عليهِ قَبْلًا وقَامَ لِحياةٍ جَدِيدةٍ، وهِيَ حياة البرِّ والنّعمةِ، وهذه

---

(١) النقل السابق من تفسير تيسير الوسائل ص ٣٩٣ .

(٢) النقل السابق من تفسير تيسير الوسائل ص ٤٠٦ .

(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٥٨ .

الحياة لَيْسَتْ مِنْهُ ولا مِنْ أعمـالِه بلْ مِنَ المَسِيحِ الذي الْتَصَقَ هو بهِ في العمادِ، فالمسيحُ هو الذي أَوْلاَهُ حياةَ البِرِّ التي هو موجودٌ فِيها، وهو حَيٌّ بنعْمةِ المسيحِ وبِرِّهِ لا مِنَ النـامـوسِ ولا مِنَ الرسومِ القديمة[1]. . . . يريدُ أنّهم في المعْمُودِيَّةِ خَلعُوا الإنسانَ العتيق ولَبِسُوا الإنسانَ الجديدَ، وقد كانوا أَوْلادَ الغَضَبِ حُكْمُهم حُكْم العَبيدِ، فَصارُوا أوْلاداً للهِ مِثْل يسوعَ المسيحِ، حيثُ أَفَاضَ عليهم رُوحَه ومواهِبَهُ، وحَكَمَهُم بتعْليمِه، فَلَمْ يَعُودُوا يَحتاجونَ إلى الناموسِ الذي كانَ كالمُؤَدِّبِ والمُرَبِّي لَهُم»[2].

وذكَرَ بولسُ أنّ اللهَ أَعْطَى الروحَ القُدُس للمسيحيِّينَ عُرْبُوناً على الفِداءِ ومَغْفِرَةِ الخَطَايَا الحَاصِلَةِ بالمَعْمُودِيَّةِ، فهو يقولُ في رسالتِهِ إلى أهل أَفَسُسَ ١/١٤ «خُتِمْتُمْ بِرُوحِ المَوْعِدِ القُدُّوسِ الذي هُوَ عَرَبُونُ مِيراثِنا لِفِدَاءِ المُقْتَنَى لِمَدْحِ مَجْدِهِ».

ونص هذه الفقرة عند يوسف العلم كما يلي: «وخُتِمْتُمْ بالرّوحِ القُدُس المَوْعُود به الذي هو عُرْبُون مِيراثِنا لِخَلاصِ الذين يَحْيون ولِمَجْدِ كَرامتِه».

قال يوسف العلم في شرحها[3]: «يعني إنّ إعطاءَ الروحِ القُدُس هو بمنْزِلَةِ عُرْبون على الميراثِ السماويّ، وإنّ ما نَنَاله مِن مواهبه هُنا يَضْمَن لَنا كَمَالَةَ افْتِدائِنا الأخير الأَبَدِيّ. . . . فالرّوحُ القُدس الذي نُعْطَاهُ في المَعْمُودِيّةِ هو عُرْبون هذا الفِدَاءِ على أَنواعِه. . . . ولا يَخْفَى أَنّ العُرْبون هو ما يُدْفَعُ مِن ثَمَنِ المَبِيعِ ضَماناً لاسْتِيفَائِهِ وكَمَالَتِه، كذلك إعطاء الروحِ القُدُس للمؤمِنينَ فإنّه عُرْبون على المِيراثِ الأَبَدِيّ».

وقد قال بعضُ عُلَماءِ النصارى بعَدَمِ وجوب العمادِ للأطفالِ، واستدلّوا بفقرةِ

---

(١) هذا النص في شرح الفقرة ٢٠ ص ٣٥١ من تيسير الوسائل.

(٢) هذا النص في شرح الفقرة ٢٧ ص ٣٦٠ من تيسير الوسائل.

(٣) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٨٨-٣٨٩.

رسالةِ بولس إلى أهل رُومِيَة ١١/١٦ «وإنْ كَانَتِ البَاكُورَةُ مُقَدَّسَةً فَكَذَلِكَ العَجِينُ. وإنْ كَانَ الأَصْلُ مُقَدَّساً فَكَذَلِكَ الأَغْصَانُ».

وقد رَدَّ يوسف العلم هذا الاستدلال، وقال في شرْحِهِ لهذه الفقرة[1]: «فمِنْ ثَمَّ أخطأ كلوينوس في بُرْهَانِه بهذِهِ الآيةِ على أنَّ أطفالَ المسيحيينَ لا يَلْزَمُ لَهُمْ عمادٌ لأنّهم يَتَقَدَّسُونَ بقَدَاسَةِ آبائِهم، مع أنَّ كلامَ الرسول لَيْسَ هو علَى القَدَاسَةِ التي تَجْعَلنا أصدقاءَ لله وقِدّيسين عندهُ تعالى حَقًّا، بلْ هو علَى القَدَاسَةِ المَجَازِيّةِ الخَارجيَّةِ كما تَقَدَّم، ولَوْ صَحَّ بُرْهَانُ كلوينوس لَثَبَتَ به أنَّ اليهودَ الغير المؤمنين وكبارَ المسيحيين أيضاً قِديسونَ لا حَاجَةَ لهم إلى الإيمانِ والمَعْمُودِيّةِ لأَنّهم بَنُو قِدّيسين».

ويقول بولسُ في رسالته إلى أهل رُوما ٦/٣ـ٥: «٣ـ أَوَ تَجْهَلُونَ أَنَّا وَقَدِ اعْتَمَدْنَا فِي يَسُوعَ المسيحِ إنَّما اعْتَمَدْنَا فِي مَوْتِه (٤) فَدُفِنَّا مَعَهُ بالْمَعْمُودِيَّةِ لِنَمُوتَ فَنَحْيَا حَياةً جَدِيدَةً كَمَا أُقِيمَ المسيحُ مِنْ بيْنِ الأمْواتِ بمَجْدِ الآب (٥) فإذا اتّحَدْنَا به في مَوْتٍ يُشْبِهُ مَوْتَهُ فَكَذَلِكَ تَكُونُ حَالُنَا فِي قِيَامَتِهِ»[2].

وخُلَاصةُ القولِ في طَقْسِ التَّعْمِيدِ أنّ المسيحيَّ بالعمادِ يَرْتَدِي المسيحَ كما يَرْتَدِي اللّباسَ ويتّحد مَعَهُ، ويَدْخُلُ في الحياةِ الجديدةِ ويَنْضَمّ إلى الكنيسةِ، وهي أمورٌ لا يُنْكِرُ علماءُ النَّصارَى انفرادَ بولس بها واسْتِقْلالَه بفلْسفتِها وأسرارِها، فقدْ قال الدكتور القَسُّ فهيم عزيز[3]: «في هَذا الأمر تَظْهَرُ اسْتِقْلَالِيَّةُ الرسولِ بولس. . . . ولكنْ بخبْرَتِه في المسيحِ وتَعَمُّقِهِ في مَعْرِفةِ الأسْرارِ الإلهيّةِ عن طريقِ الرُّوحِ القُدُس، عَرَفَ أنّ المَعْمُودِيَّةَ تَرْتَبِطُ بالحياةِ الجديدةِ التي أَعْلَنَهَا وَحَقَّقَها المُخَلِّصُ، كَما تَرْتَبِطُ بالانْضِمَامِ إلى جَسَدِه، أيْ إلى الكَنِيسَةِ».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٩٤.

(٢) النص السابق من طبعة اللاتين.

(٣) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٣٥٠.

ثمّ بيَّنَ الدكتور فهيم عزيز شَواهِدَ أسرارِ التّعميد مِن رسائل بولس، وذَكَرَ أنّه بناءً على ما انْفَرَدَ به بولس عن باقي جَماعةِ الكَنيسةِ حَكَمَ بعْضُ العُلماءِ أنَّ الرسولَ بولس أَخَذَ عن الدياناتِ الوثنيّةِ السِّريةِ طُقُوسَهَا التي يتّحِدُ فيها الإنسانُ بإلهِهِ في موته وقِيامَتِه، فالمسيحيونَ يَعْتقِدُونَ أنّه يَحْدُثُ للمعْتَمِدِ رَمْزِيّاً مَوْتٌ ودَفْنٌ وقِيامَةٌ، فَلَحْظَةُ دُخولِهِ الماءَ مَوْتٌ ودَفْنٌ، ولَحْظَةُ خُروجِه من الماءِ قِيامةٌ له، فبالتغطِيس كأَنّه نَزَلَ إلى عَالَمِ الأَمْواتِ ثمّ قَامَ من القَبْرِ كما قَامَ المَسِيحُ فَصَارَ الدَّفنُ والقِيامَةُ في ماءِ المَعْمُودِيَّةِ رَمْزاً لمَوْتِ المُعْتَمِدِ وقِيامَتِه واتحادِه مَعَ المَسِيح، فالْمَعْمُودِيَّةُ هي القَبْرُ الرُّوحِيّ الذي يُدْفَنُ فيه المؤمِنُ لكَيْ يَقُومَ قِيامةً رُوحِيَّةً عند خُروجِه من الماءِ[1]، وهذه المفاهيمُ نابعةٌ من نَفْسِ وِجْهَةِ النَّظَرِ الشَّائعةِ في عِبادةِ الإِلَهيْن سيبيل وأتيس في فريجيا.

وَيعتقِدُ المسيحيونَ أَيضاً أَنّه بالتعميدِ يُعْطَى المعْتَمِدُ فُيُوضَاتٍ، وتُعْقَدُ أَوَاصِرُ خَفِيَّةٌ بَيْنه وبيْن المسيح، وارْتباطاتٌ وثيقَةٌ يُؤَدّي عَدَمُ الوَفاءِ بها إلى التّهلُكَةِ، ولذلكَ شَاعَتْ في نِهايةِ القَرْنِ الثالثِ الميلادِيّ فِكْرَةُ الامتناع عن التعْميد إلاّ عندَ سَكَرَاتِ الموْتِ، وبخَاصة بيْن الطَّبقَاتِ الرفيعةِ المُسْتَوى، والراقيةِ المقَامِ في مجتمعاتِ المسيحيين[2].

---

(١) انظر كتاب: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٣٥١-٣٥٢.
(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص ١١٠ و ١٥٣ و١٥٤.

١٠ ـ عقيدة العشاءِ الرَّبانِي : الطَّقسُ والأسْرارُ

هذا الطقسُ وإنْ ذُكِرَ أصْلُه في الأناجيلِ [١]، لكنْ ليسَ فِيها ما يَدلُّ على مَفْهومِ هذا الطَّقْسِ وأَسْرارِه التي يَعْتقِدُها المسيحيونَ الآن، ولا ما يَدلُّ على الأسماءِ المختلفة التي يُسَمّونَه بها، وفقراتُ الأناجيلِ الثلاثةِ متقاربةٌ لفظًا ومعْنىً، وأكتفي بنقل نصِّ فقراتِ إنجيل متّى ٢٦/٢٦ـ ٢٨ «٢٦ ـ وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الخُبْزَ وبَارَكَ وكَسَّرَ وأَعطَى التلاَميذَ وقَالَ: خُذُوا كُلُوا. هَذَا هُوَ جَسَدِي (٢٧) وَأَخَذَ الكَأْسَ وَشَكَرَ وأَعْطَاهُمْ قَائِلًا: اشْرَبُوا مِنْها كُلُّكُمْ (٢٨) لأنَّ هَذَا هُوَ دَمِي الذِي للْعَهْدِ الجَدِيدِ الذِي يُسْفَكُ مِنْ أجْلِ كَثِيرينَ لِمَغْفِرَةِ الخَطَايَا».

وليس فِي هذهِ الفقراتِ ما يُثْبِتُ تَحَوُّلَ الخبْزِ والخَمْرِ إلى لَحْمِ المَسيحِ ودَمِه، ولا اتِّحادَ الآكِلِ بالمَأْكُولِ، ولكن بولس هو الذي أَعطَى هذهِ العقيدةَ مفْهوماً فلسفيًّا جَديداً، فَسَمَّاهَا (عَشَاء الرَّبِّ) و (مائِدَة الربِّ) و (شَرِكَة جَسَدِ المَسِيحِ) و (شَرِكَة دمِ المَسِيحِ) و (كَأْس الرَّبِّ)، وقد ذَكَرَ الدكتور القَسُّ فهيم عزيز بأنَّ عباراتِ الرسولِ المَـذْكُورَة هي الوصْفُ اللاَّهُوتِيُّ العَميقُ للعشاءِ الرَّبانِيِّ، فهو شَرِكَةٌ حَقيقيَّةٌ تُوَلِّدها وتُقَوِّيها الشَّرِكَةُ في الخُبْزِ والكَأْسِ اللذيْن يُشِيرَانِ إلى جَسَدِ الرَّبِّ المُقَدَّمِ فدْيَة عن شَعْبه[٢].

وذَكَرَ شارل جنيبير[٣] أنّ تلاميذَ المسيحِ والحَواريّين لَمْ يَكُونوا يَرْبطُون بِصلَةٍ ما بين كِسْرَةِ الخُبْزِ وبيْن مَوْتِ المَسِيحِ، ولَمْ يُحَمِّلُوا التقْليدَ في ذاتِه قِيماً تَبْلُغ به مُسْتوى

---

(١) في إنجيل متى ٢٦/٢٦ـ ٢٨، وفي إنجيل مرقس ١٤/٢٢ـ٢٤، وفي إنجيل لوقا ٢٢/١٩ـ٢٠.

(٢) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٣٥٩، وقد فلسف فيه مسألة العشاء الرباني في عشر صفحات من ص ٣٥٥ـ٣٦٥.

(٣) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٩.

الشعائرِ القُدسيَّةِ، كما لَمْ يُرْجِعُوا أَصْلَ وُجودِه وَوُجوبَ القيامِ بهِ إلى تَعاليمِ المسيحِ، وأَنَّ بولسَ هو الذي كَشَفَ عن المَغْزَى العميقِ لتقْليدِ العشاءِ الجَمَاعِيّ، فَجَعَلَ بزَعْمِهِ

في هذا العَشَاءِ سِرّاً وتَذْكِرةً ورَمزاً لما لَقِيَهُ عيسى من عذابِ الصَّليبِ وموتِه من أَجْلِ التَّكْفِير، وأكتفي بذِكْرِ خُلاصَةِ رأيِهِ في موضوعِ العَشاءِ، فهو يقول: «ولَمْ يكُنْ قَدْ قُدِّرَ لأيِّ طَقْسٍ من طُقوسِ الأَسْرارِ الوَثَنِيّةِ أَنْ يَذْخرَ بمعاني وَفِيرَة وبآمالٍ جَذّابةٍ مِثْل ما ذَخرتْ به الطّقوسُ الخاصّة بالقُرْبان لدى بولس، غير أنها كانتْ من قَبيل عائلةِ الطّقوسِ الوثنيّةِ، ولمْ تكُنْ نابعة من رُوحِ الدين اليهودي، ولقد أُدْخلَتْ في كنيسةِ الحواريين (قِطْعَةً من الوثنيَّةِ) ولكنّ المسيحيين تقَبَّلُوها أيضاً بصدْرٍ رحب؛ لأنّها أضافتْ إلى إيمانِهم درجةً أُخرى من التسامي، وإنْ أصبحتْ بعد ذلك موضوعاً أساسياً لتركيباتٍ لاهوتيَّةٍ واسعةِ النطاقِ تولَّدتْ عنها عقائد كُبْرىَ عديدة»[1].

وقد شرح يوسف العلم فقرات رسائل بولس الخاصة بطقْس العَشاءِ الربّاني، مُؤيِّداً اسْتِحَالَةَ الخُبْزِ والخَمْرِ إلى جَسَدِ المسيحِ ودَمِه حقيقةً، وفيما يلي النصوص البُولُسيَّة الخاصّة بهذا الطقْسِ وأسرارِه:

ففي رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٠/١٥-٢٢ و ١١/٢٣-٢٩ «١٥ - أَقُولُ كَمَا لِلْحُكَمَاءِ. احْكُمُوا أَنْتُمْ فِي مَا أَقُولُ (١٦) كأْسُ البَرَكَةِ التِي نُبارِكُهَا أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ المَسِيحِ. الخُبْزُ الذي نَكْسِرُهُ أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ المَسِيحِ (١٧) فَإِنَّنَا نَحْنُ الكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ جَسَدٌ واحِدٌ لأَنَّنا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الخُبْزِ الواحِدِ (١٨) انْظُرُوا إسرَائِيلَ حَسَبَ الجَسَدِ. أَلَيْسَ الذين يَأْكُلونَ الذَّبائحَ هُمْ شُرَكَاءَ المَذْبَحِ (١٩) فَمَاذَا أَقُولُ. أَإِنَّ الوَثَنَ شَيْءٌ أَوْ إِنَّ مَا ذُبِحَ لِلْوَثَنِ شَيْءٌ (٢٠) بَلْ إِنّ مَا يَذْبَحُهُ الأُمَمُ فَإِنَّما يَذْبَحُونَهُ لِلشَّيَاطِينِ لا لِلّهِ. فَلَسْتُ أُرِيدُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ شُرَكَاءَ الشَّيَاطِينِ (٢١) لا تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْرَبُوا كَأْسَ الرَّبِّ وكَأْسَ شَيَاطِينَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَشْتَرِكُوا فِي مَائِدَةِ الرَّبِّ وفِي

(١) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١١٠.

مَائِدَةِ شَيَاطِينَ. (٢٢) أَمْ نُغِيرُ الرَّبَّ أَلَعَلَّنَا أَقْوَى مِنْهُ (٢٣) لأَنَّنِي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضاً إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ التِي أُسْلِمَ فيهَا أَخَذَ خُبْزاً (٢٤) وَشَكَر فَكَسَّرَ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هذا هُوَ جَسَدِي المَكْسُورُ لأَجْلِكُم. اصْنَعُوا هَذَا لِذِكري (٢٥) كَذَلِكَ الكَأْسَ أَيْضاً بَعْدَما تَعَشَّوْا قَائِلاً هَذه الكَأْسُ هِيَ العَهْدُ الجَدِيدُ بِدَمِي. اصْنَعُوا هَذَا كُلَّما شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي (٢٦) فَإِنَّكُمْ كُلَّما أَكَلْتُمْ هَذَا الخُبْزَ وشَرِبْتُمْ هَذِه الكَأْسَ تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إلى أَنْ يَجِيءَ (٢٧) إذاً أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الخُبْزَ أَوْ شَرِبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحقاقٍ يَكُونُ مُجْرِماً فِي جَسَدِ الرَّبِّ وَدَمِهِ (٢٨) ولَكِنْ لِيَمْتَحِنِ الإنسانُ نَفْسَهُ وَهَكَذَا يَأْكُلْ مِنَ الخُبْزِ وَيَشْرَبْ مِنَ الكَأْسِ (٢٩) لأَنَّ الذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بِدُونِ اسْتِحْقاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسِهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ».

قال يوسف العلم في شرْحِ الفقراتِ السابقة[1]: «إنّنا بِشُرْبِنا كأسَ الخَمْرِ التي نُبارِكُها ونقَدِّسُها نَشْتَرِكُ بِدَمِ المسيحِ لأَنّ مَا فِيها هو دَمُ المسيح، فَبِشُرْبِنَا مِنْها نَتَّحِد بالمسيحِ ونَشْتَرِكُ مَعَه[2]. . . . تُدْعَى كَأْس البَرَكَةِ لأنّ المَسِيحَ بَارَكَهَا في العَشاءِ، أَيْ اسْتَدْعَى بَرَكَةَ اللهِ وقُوَّته على الخبْزِ والخَمْرِ لِيَستَحِيلا وقتئذٍ وفيما بَعْدُ إلى جَسَدِه ودَمِه، وذلك عند تِلاوةِ كلماتِ التقديس عليهما. وقوله (أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةً فِي دَمِ المَسِيحِ) يَعني أَنّها بلا شَكٍّ شَرِكة حقيقيّة بدَمِ المَسيحِ نَفْسِه لا شَرِكَة وَهْمِيّة كَمَا قال كلوينوس، ومثل ذلك قوله (والخُبْزُ الذِي نَكْسِرُه أَلْيسَ هو شَرِكَةً في جَسَدِ المَسِيحِ) أَيْ إنّ الخُبْزَ الذي نُقَدِّسُه وَنُكَسِّرُهُ لِنُوَزِّعَهُ على الشَّعْب هو شَرِكةٌ حقيقيّةٌ فِي جَسَدِ المسيحِ، لأَنّنا فِيهِ نَتَنَاوَلُ جَسَدَ المَسِيحِ كَما قَال القِدّيسُ توما[3]. . . . أَيْ كما أنّ الخُبْزَ الذِي نَتَناوله هو واحدٌ حَقًّا وهو جَسَدُ المَسِيحِ، كذلك نحن كُلّنا جَسَدٌ واحِدٌ أَيْ جَسَدِ المسيحِ السِّرِّيّ الواحِدِ الذي هو الكَنِيسة وكُلّنا نَتّحِدُ بالمسيحِ في تَناولنا جَسَدَهُ

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٠٧-٢١٠ و ص ٢٢١-٢٢٥.

(٢) النص السابق ص ٢٠٧ في شرح الفقرة ١٦.

(٣) النص السابق ص ٢٠٨ في شرح الفقرة ١٦ أيضاً.

إتّحـاداً حقيقيًّا كما يتّحِدُ المَأْكَلُ بمَنْ أكَلَهُ، وكما أنّ الخُبْزَ يتَكَوَّنُ من حبّاتٍ كثيرةٍ ويَصِيرُ واحداً، كذلك نحنُ المؤمنون فإنّنا لِتَناولنا خُبزاً واحداً نَصِيرُ جَسَداً واحِداً في المَسيح [1]. . . . فَمِنْ هُنَا يَنْتُجُ أنّ جَسَدَ المسيحِ ودَمَهُ مَوْجُودَانِ في الأُوخَارِسْتيا [2] وُجوداً حَقِيقيًّا [3]. . . . إنّنـا نحنُ مَعـاشِـر النصـارى لا نَتَنَـاوَل الأُوَخارِسْتيا كالخُبْزِ العُمُومِيّ، بَلْ نَعْتَقِدُ أنّه كَمَا أنَّ ابنَ اللهِ صَارَ إنساناً بكَلِمةِ الله كذلكَ يَصيرُ بكَلمات التقدِيسِ في الأُوخَارِسْتيا جَسد المسيحِ ودَمه. . . . وقول الرسول هنا بَيّنَةٌ واضِحةٌ ودَليلٌ مُبينٌ على وُجـودِ جَسَـدِ المَسِيحِ ودَمِـهِ في الأُوخَـارِسْتيا حقيقـةً لا صُورةً ومِثالاً. . . . فلَوْ كانَ سِرُّ الأُوخَارِسْتيا خُبْزاً صِرْفاً كما زَعَمَ الهراطِقَةُ مِثْل كلوينوس لَمَا قَالَ الرسولُ ما قَال» [4].

وقـد جَلَّى يوسف العلم هذه العقيدَةَ بأَجْلَى بَيانٍ فأنقلُ ما يلي من كلامه [5].

«ففي الديانةِ المسيحيةِ شُرْبُ كَأْسِ البَرَكَةِ هو شَرِكَةٌ في دَمِ المسيحِ، وكذلك أكْلُ الخُبْـزِ المقَّدسِ هو شَرِكَةٌ في جَسَدِ المسيحِ مَعَ كُلِّ الذينَ يَأْكُلُونَ مِنْه. . . . فمِنْ كَلامِ الرسولِ هُنا تَعْلَم:

أوَّلاً: أنّ ذَبيحةَ الأُوخَارِسْتيا كانتْ مُحقَّقة عِند الكُلِّ ومَفْهُومَة من الجميعِ، وإلاَّ لَمَا تَأتّى له أنْ يتّخِذَها بَيِّنةً ودَليلاً على ما يقول.

(١) النص السابق ص ٢٠٨ وهو في شرح الفقرة ١٧.
(٢) الأوخارستيا أو الأفخارستيا: كلمة يونانية معناها: شكر أو الشكر أو الشركة وهو اصطلاح يطلق عند النصارى على العشاء الرباني. (انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٦).
(٣) النص السابق ص ٢٢٤ في شرح الفقرة ٢٧.
(٤) النص السابق ص ٢٢٥ في شرح الفقرة ٢٩.
(٥) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٠٩.

ثانياً: أنّ جَميعَ كلامِه يُشِيرُ إلى حُضورِ دَمِ المَسيحِ وجَسَدِه حُضورًا حَقِيقيًّا، حيثُ نَصَّ على أنّ الاشْتِراكَ فِيهِمَا بِتَناوُلِهِمَا هو اشتراكٌ حَقِيقيٌّ. . . . إنّ مَنْ يَأْكُل مِن الخُبْزِ ويَشْرَب من الدمِ المُقدَّسَيْن يَشْتَرِكُ في جَسَدِ المسيحِ ودَمِهِ شَرِكَةً حقيقيَّةً بحَسبِ مذهب المسيحيين. . . . فالشَّرِكَةُ الحَقِيقيَّةُ تَسْتَلْزِمُ الوجودَ الحَقِيقيَّ، فإذاً وجودُ جَسَدِ المسيحِ ودَمِهِ في الأُوخَارِسْتيا هو حَقِيقيٌّ. فَتَأمَّلْ».

وبخصوص عقيدَتيْ العمادِ والعَشاءِ أنقلُ من كلامه أيضاً ما يلي[1]: «فَكَمَا أنّ حَوّاءَ تَصَوَّرتْ مِنْ جَسَدِ آدمَ وهو فِي سُبَاتِ النّوْمِ، كذلكَ الكَنيسة فإنّها تَصوَّرتْ من جَنْبِ المسيحِ وهو مُضْجَعٌ مَذْبُوحاً على الصَّلِيب، وذلكَ أنّ المسيحَ لَمّا ماتَ طُعِنَ جَنْبُهُ فَجَرى مِنْهُ دَمٌ وَمَاءٌ، فالمَاءُ كانَ رَمْزاً لِمَاءِ العمادِ الذي هو بَابُ الأَسْرارِ، والدّمُ كانَ رَمْزاً للأُوخَارِسْتيا التي هِيَ كَمَالُ الأَسْرارِ كُلِّها، وباقي الأَسْرار تَنْضَوي تَحْتَ هذَيْن السِّرَّيْنِ، أيْ العماد والأُوخَارِسْتيا، فمِنْ ثَمّ تَكُونُ جَمِيعُ الأَسْرارِ ـ كما قال أغوسطينوس ـ مَخْرجها مِن جَنْبِ المسيحِ، وبالتّالي يَكُونُ مَخْرجُ الكَنيسةِ أيضاً مِن جَنْبِ المسيحِ، فَضلاً عنْ أنّ الكَنيسةَ كانَ تَأْسِيسُهَا وتَقْدِيسُهَا مِن اسْتِحْقاقِ جَسَدِ المسيحِ الذي تَقَدَّمَ علَى الصَّلِيبِ».

وبهذا نَرى أنّ الخبزَ المكسورَ في العَشاءِ الرَّبانيّ يُذَكِّرُ المسيحيَّ بجَسِدِ المسيحِ المكسورِ فوقَ الصليب، وأنّ الخمرَ تُذكِّرُهُ بدمِه المسفوكِ، وتُوحِي بالآلامِ التي قَاسَاهَا على الصليبِ لإكْمالِ عَمَلِه الفِدائِي، فالمتناول للخبزِ والخمرِ يَتناولُ جَسدَ المسيحِ ودمَه، ويستفيدُ منه الخلاصَ والوحدةَ معه، ولذلك يُسمَّى العشاءُ الرَّبانيّ بالاشتراكِ أو الشركةِ، والمسيحيون مُجْمِعون على حلولِ المسيحِ في العَشاءِ الرَّبانيّ، ويُسَمّون حلولَه (بالحلولِ الحقيقيّ)، وخالفَ يوحنّا كلفن فقال بحلولِ

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤١٤ في شرح فقرة رسالة أفسس ٥/ ٣٠.

المسيحِ في العَشاءِ الرَّبانيّ حُلولاً رُوحيًا، فينال المشتركُ من بَركاتِ الصليب. أمّا المُصْلحُ السويسريّ زونجلي الذي عاش في القرنِ السادس عشر فقال بأنّ العَشاء الرَّبانيّ ذِكْرَى لموتِ المسيحِ وآلامهِ أكْثر منه حُلولاً حَقيقيًا في الخبز والخمر. وما زالت الكنيسةُ الكَاثوليكيّة إلى الآن تَعْتَقِدُ بالاسْتحالَةِ، ومعْنَاها أنّ المسيحَ يَحلُّ فِعْلياً في الخبز والخمر، فَيَتحوّلانِ إلى جَسدِ المسيحِ : الخبزُ لحْمُه حقًّا، والخمرُ دَمُه حقًّا، رغم أنّ مَظْهَـرَهُمـا الخارجيّ والرائحةَ والطَّعْمَ والمَذَاقَ لا تتغيّر، لكنّ جَوْهَرَ الخبزِ والخمرِ يَتحوَّلانِ بحَقٍّ إلى جَسدِ المسيحِ ودَمِه الحَقيقِيَّين، ورَفَضَ مارتن لوثر نظريةَ الاسْتَحالة عند الكاثوليك وقال بنظرية الاتحادِ، بمعْنَى أنّ المسيحَ نَفْسَهُ يتّحِد بالخبزِ والخمرِ ويُصَاحِبُهُما بصورةٍ فِعْليّةٍ رغم أنّ عيْنَهما باقيةٌ كما هي دونَ تغيير، فالمسيحُ بدمِه وجسدهِ يكونُ في الخبزِ والخمرِ ومَعهما، فهو حاضرٌ في العَشاءِ الرَّبانِيّ بحَقٍّ، وتُـرَجِّـحُ الكنيسـةُ المَشْيَخِيَّةُ رأيَ كلفن القـائـل بالحلولِ الـروحيّ فقط، ويُرَجِّـحُ المعمـدانيون رأيَ زونجلي القـائـل بأنّ المقصـود بالعَشـاءِ الـذّكْـرَى فقط، وتُؤمِن الكَنيستَـان الكَـاثُوليكِيّة والأرْثُوذُكْسِيَّة بنظريةِ الاسْتحالَةِ الحَقِيقيَّةِ، أيّ تَحَوّل الخبزِ والخمرِ إلى جَسدِ المسيحِ ودَمِه حقًّا، ويُرَجِّحُ أنْصارُ لوثر مذهبه في الاتّحاد[1].

وعلى كلِّ حَالٍ سواء قِيل بالاسْتحـالَـةِ (أيْ تَحـوُّل الخبزِ والخمرِ إلى جَسدِ المَسيحِ ودَمِه) أوْ بالاتّحادِ (أيْ اتّحادِ المسيحِ بالخبزِ والخمر دُونَ تَغَيُّرِ جَوْهَرِهِما) فيَكُونُ المُتَناوِلُ للعَشاءِ الربَّانيّ آكِلاً لِجَسدِ المسيحِ حقّاً وشارباً لدَمِه حقّاً، لأنه على كِلْتا النَظرِيّتَيْن موجودٌ في العَشاءِ الرَّبانيّ بحَقّ، وتُحَذِّرُ جميعُ طوائفِ المسيحيين مِن تَناوُلِ العَشَاءِ الرَّبانيّ باسْتِخْفَافٍ وسُخْرِيةٍ، وتُطالِبُ بعَدمِ الإصْغاءِ للأفكارِ القائلة بأنّه لا مُبرِّرَ للعَشَاءِ الرَّبانيّ، وتَسْتَدِلُّ بقَوْلِ بولس في رسالته الأُولى إلى أهل كُورِنْثُوس

---

(١)انظر كتـاب: عقائد أساسية مدخل في علم اللاهوت ص ١٥٣ـ ١٥٨، وقاموس الكتاب المقدس ص ٣٩٦ و٥٠٩، والفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٣٥٥ـ٣٦٥.

١١ / ٢٩ «لأَنَّ الذي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ بدُونِ اسْتِحْقَاقٍ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ دَيْنُونَةً لِنَفْسهِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ جَسَدَ الرَّبِّ».

ونصها في طبعة اللاتين كما يلي: «فَمَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ وَهُوَ لاَ يَرَى فِيهِ جَسَدَ الرَّبِّ أَكَلَ وَشَرِبَ الحُكْمَ عَلَى نَفْسِهِ».

وقد عُلِّقَ على هذه الفقرة في نَفْسِ الطبعة[١] بما يلي: «الجسد: في الأَصْل اليوناني، زِدْنا كلمةَ: الربِّ، للإيضاح».

---

(١) انظر: هامش ص ٦٧١.

أَثَرُ الأَسْرارِ الوثنيةِ في طَقْسَيْ التّعميدِ والعَشاءِ الرَّبانيّ

وممّا يُثِيرُ الانتباهَ في الطُّقوسِ الوثنيّةِ هو أَنّ الوَحْدةَ بيْن المُؤْمِن وإلهِهِ المُنْقِذِ تَتمُّ من خِلالِ طَقْسَيْن هُما: التّعميد بالدّمِ، ومأْدُبة القُرْبان، فقد كان في مُعْظَمِ الدياناتِ الآسيويةِ ما يُسَمَّى بـ (التوروبول) أيْ التّضْحِيَة بالثَّوْرِ، ثمّ يُؤْخَذُ دَمُ هذا الثَّوْرِ ويُغْمَسُ به جَسَدُ المُرِيدِ للتّعميدِ، وكانَ هَذا الطَّقْسُ مَشْهُوراً في فريجيا للإلهيْنِ: سيبيل ورَفِيقِها أتيس، وفيه تَمْنَحُ الآلهةُ روحَها للمؤمِن بها، ومِثْل ذلك كان يَجْرِي عند اليونان في عبادتهم للإله ديونيزيوس[١].

وفي طُقوسِ سيبيل وأتيس كان يُفْرَضُ على الأَتْباعِ المُشَارَكَةُ في مَأْدُبَةِ الإله فَيَتَنَاوَلُون فيها الخبزَ والسمكَ والخمرَ، وترمزُ هذه المَأْدُبَة إلى إطعامِهم الإلهَ نَفْسَهُ وتَشَرُّبِهمْ بجَوْهَرِهِ المُنجي[٢].

وكثيرٌ من هؤلاء الآلهـةِ المُنْقِـذِينَ الشُّفَعَاءِ مِثْل ميترا الفارسيّ وبَعْل السُّوريّ وسيبيل الفريجيّ، كانوا يُجَدِّدُونَ الاتّحادَ المُترَتّبَ على الشعائِر والطقوسِ المذكورةِ بواسطةِ مآدب خاصة، يَتناولُ فيها المؤمنون الطعامَ جَماعيًّا على مائِدةِ الآلهةِ، وقد قال كومـون في ذلك: «كانوا يُطْعَمُونَ لَحْمَ دابّةٍ يَعتبرونها إلهيّة، ثمّ يَظنّونَ أنّهم بذلكَ تَوحَّدُوا مع الإلهِ نفسِه وشارَكُوه في جَوْهَرِهِ وصِفاته»[٣].

أمّا جوستين أَشدُّ المُدافِعين عن المسيحيةِ في القرنِ الميلاديّ الثاني، فنَقَلَ إلينا أَسْرَارَ الإلهِ ميترا في طَقْسِ القُرْبانِ، وتَتَضَمَّنُ تَقْديمَ كَأْسِ الشَّرابِ مع قِطْعَةِ خُبزٍ للمؤمنِ فيتناولها مع النُّطْقِ ببعضِ العِباراتِ[٤].

(١) شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٥.

(٢) (٣) (٤) المرجع السابق ص ٧٧.

قال شارل جنيبير بعدَ ذِكْر شَعَائِر التّعميدِ والقُرْبانِ في الدياناتِ الوثنيّة: «هلْ نحْنُ بحاجةٍ إلى إيضاحِ أوْجهِ الشَّبَهِ السّاطِعَةِ بيْنَ هَذهِ الطُّقُوسِ والشَّعَائِرِ المخْتَلِفة، وبيْنَ طُقوسِ وشَعَائِرِ التّعميدِ والقُرْبانِ عند المسيحيين؟ إنّ كِبَارَ رجالِ الكنيسةِ ـ من القِـدّيس بولس إلى القِـدّيس أوغسطين، أيْ من القرنِ الأولِ إلى القرنِ الخامس الميلادي ـ لمْ يَتجـاهلوا هذا التَّشابهَ، وهناكَ من الشّواهِد عددٌ وفيرٌ يَدلُّ على شِدَّةِ اهتمـامِهم به، إلاّ أنّهم فسَّـروه حَسَبَ أهْوائِهم، فقالوا: إنّ الشّيْطانَ أرادَ أنْ يَتشبَّهَ بالمسيحِ، وإنّ شَعَـائِـرَ وُطقوسَ الكنيسةِ كانتْ مثلاً أرادَ المُشْركون أنْ يَحْتذوْهُ في أسْرارِهم، وتلكَ نَظَرِيّةٌ لا يُمْكِنُ الدِّفاعُ عَنْها في عَصْرِنا الحَاضِرِ. . . إلاّ أنّ الأساطِيرَ الجَوْهَرِيَّةَ والمَراسِمَ الدينيةَ الأساسيةَ والرموزَ والشّعائِرَ الفَعّالَةَ، كانتْ سابِقةً في تِلْكَ الـديانـاتِ على مَوْلِـدِ المسيحيةِ، وكَـانَتْ تَجِدُ العديدَ من التطبيقاتِ في العباداتِ المُنْتشرةِ بالعالَمِ اليونانيّ إبّانَ العَهْدِ الذي عاشَ فيه القِدّيسُ بولس، ولْنُذَكّر القارىءَ بأنّ الأمرَ لا يتعلّقُ بطُقوسٍ وشَعائرٍ مُعَيَّنة فَحَسْبُ، إنه يَذهبُ إلى مدًى أبْعَد من ذلك: يذهبُ إلى نوعٍ من التصويرِ للمَصِيرِ الإنسانيّ ولِخَلاصِ البَشَرِ، ثمّ يرمزُ إلى الإيمانِ والاطْمِئْنانِ المرتبطَيْن بـ (السيّدِ الإلهيّ) الذي يَشْفَعُ للإنسانِ عند الإلهِ الأعْظم، بَعْدَ أنْ ارْتَضى هذا (السيّدُ الإلهيُّ) لنفسهِ أنْ يعيشَ وأنْ يَتعَذّبَ كالإنسانِ، حتّى يُصْبحَ بَنُو البَشَرِ قريبينَ إليْهِ لدَرَجةٍ تَسْمَحُ لَهُمْ بالاتّحادِ مَعَهُ، فيَكُون في ذَلِكَ طَريقُ نَجاتِهم، حيْثُ يَرْتَبِطُ مَصِيرُهم ومُسْتَقْبَلُهم بمَصِيره ومُسْتَقْبَلِ انتصاره، وتلكَ هي بالذّاتِ عقيدةُ القِدّيسِ بولس في رسـالـةِ ودَوْرِ السيّدِ المسيحِ، ولمْ تَكُنْ بالعقيدةِ الغَـريبَةِ على النّـاس. . . . ولكنْ هَلْ أُتيحتْ الـظّرُوفُ المُـواتِيَةُ لبولس كَيْ يَتعَرّفَ على الأفْكارِ الجَوْهَرِيّةِ والطُّقُوسِ الأسَاسِيَّةِ لهذهِ الأسْرارِ في العِباداتِ السائدةِ ثُمّ يَتأثّر بها؟ ذلكَ هو السُّؤالُ الذي يَتبَادَرُ إلى ذِهْنِنَا الآن»[1].

---

(١) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٧ـ ٧٨.

وقَبْل أنْ أختم هذا الفصل من عقائد بولس أقول: تحصَّل لديّنا من النقول السابقة (في عقيدتيْ: طقْس التعميد وطقْس العشاء الرباني وأسرارهما) وشروحهما عدّة ادّعاءات:

١ - أنّ بولس هو الذي أعطى هذيْن الطقسيْن معاني فلسفية وثنية كانت سائدة في عصره، وليس في الأناجيل ما يدلّ على تلك المعاني وأسرارها.

٢ - أنّ التعميد علامة على الانتساب الرسمي للكنيسة المسيحية، فلا يُعَدّ مسيحياً مَنْ رفض التعميد.

٣ - أنّه بالتعميد يَرْتدي المُعتمِدون المسيحَ كما يَرْتدون اللباس، ويتّحِدون به وبالروح القدس، ويصيرون أبناءَ الله وَجسداً واحداً، لأنّ في العماد موْتاً ودفْناً وقيامة للروح والجسد معاً، كموت المسيح ودفنه وقيامته تماماً، ولذلك يكون العماد شركة بمجد المسيح أيضاً.

٤ - أنّ الله يُصَرِّح للمُعْتمِد بغفران الخطايا، فيولَد ولادةً ثانيةً جديدةً روحيةً، وكأنه بالمعمودية انتقل من العدم إلى الوجود الفائق الطبيعة، فيصير ابنا لله خالعاً ثوب المآثم والخطايا، ولابساً حُلَّةَ البِرّ والقَداسَة، واللهُ يُعطِي الروحَ القدس للمعتمدين عربوناً على الفداء والمغفرة، وعلى الميراث السماوي الأبدي.

٥ - أنّ بولس هو الذي سمّى طقْسَ العشاء بعشاء الرَّبِّ، ومائدة الرَّبِّ، وكأس الرَّبِّ، وشركة جسد المسيح، وشركة دم المسيح، لأنّ الشركة في الخبز والخمر تشير إلى جسد الرَّبِّ المقدم فدية عن شعبه، فهو اشتراك حقيقي في جسد المسيح ودمه.

٦ - أنَّ حُضُـورَ المسيحِ بجَسَدهِ ودَمِهِ في العَشاءِ الرَّبانيّ حُضُورٌ حَقيقِيٌّ فِعْلِيٌّ لا حُضُـورٌ صُوريٌّ وَهْمِيٌّ خَيالِيٌّ، وسَوَاء قِيلَ باسْتِحالَةِ الخبزِ والخمرِ إلى جَسدِ المسيحِ ودَمهِ أمْ قِيلَ باتّحادِ جَسدِه ودَمِهِ بالخبزِ والخمرِ، يَكُونُ المُشَارِكونَ في العَشـاءِ الربَّانيّ آكِلينَ لجَسدِ المَسيحِ وشَارِبينَ لِدَمهِ حَقيقةً، ويَنْتُجُ عن ذلك اتّحـادُهم بالمسيحِ اتّحادًا حَقِيقيًّا كاتّحادِ الآكلِ بالمأكُولِ تَماماً، ويَصِيرُونَ جَسَداً واحِداً.

٧ - أنَّ مَخْـرَجَ الكَنيسـةِ وأَسْرارها من جَنْبِ المسيحِ، لأنّه عندما طُعِنَ وهو على الصّليب جَرَى منه دَمٌ ومَاءٌ، فالمَاءُ رَمْزٌ لِمَاءِ العمادِ الذي هو بَابُ الأَسْرارِ، والدَّمُ رَمْزٌ للأوخَارِسْتيا أيْ العَشاءِ الرَّبانيّ الذي هو كَمَالُ الأَسْرارِ، وبمَا أنّ جَمِيعَ أَسْرارِ الكَنِيسةِ تَدْخلُ تحْتَ هذيْن السِّرَّيْن (سِرّ العمادِ والعَشاءِ)، إذَنْ فالكنيسةُ وجَمِيعُ أَسْرارِها مَخْرَجُها من جَنْبِ المسيحِ بابِ الأَسْرارِ وكَمالها.

٨ - لا يَجوزُ أَكْلُ العَشاءِ الرَّبانيّ وشُرْبُ كأْسِهِ بسُخْرِيةٍ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِكَ حَكَمَ عَلى نَفْسهِ بالدَّيْنُونَةِ، وَخَسِرَ الخَلاصَ والغُفْرانَ المُسْتَفَادَ مِن المَسيحِ.

النتيجةُ لهذه الادّعـاءات:

يُؤمِنُ النَّصارى بعقيدَتَيْ العمادِ والعَشاءِ الرَّبانيّ وطَقْسَيْهمَا وأَسْرَارِهما، وأَنّهُما فَرْضَانِ لا يَجُوزُ الإخلالُ بهما، وأَنَّهُمَا يُعْطِيَانِ فَاعِلَهُما المَغْفِرَةَ والخَلاصَ والاتّحادَ بالمسيحِ والبُنُوّةَ للهِ، ومَنْ أَخَلَّ بهِما أوْ فَعَلَهُما باسْتِخْفَافٍ وسُخْرِيةٍ، خَسِرَ كُلَّ ذلك، ولا يُعَدّ مِن مُنْتَسِبي الكنيسةِ رَسْمِيًّا ما لَمْ يأْتِ بهما على الوَجْهِ المفْرُوضِ، ولَيْسَ عِنْدَهُمْ دَليلٌ على تلكَ المَعانِي والأَسْرارِ سِوَى ما كَتَبَهُ بولسُ في رسائِله.

خاتمـــةُ الفصل الثـــاني

وأخيرًا وفي خِتام هَذا الفصلِ أقول: يَحِقُّ لأتْباعِ بولس أنْ يُعَظِّمُوهُ ويُقَدِّسُوهُ، إذْ إنَّه لأمانَته وعَدَم خِيانَته اسْتَخْرَجَ عَقائِدَ دِينِه الجديدِ من خَزينَةِ الأسْرارِ التي كانَ مُوكَّـلاً وَمُؤْتَمناً علَيْها، فهو يقولُ في رسالتِه الأولى إلى أهل كُورِنْثُوس ٤/١-٢ «١- هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإنسانُ كَخُدَّامِ المَسِيحِ وَوُكَلاَءِ سَرائِرِ الله (٢) ثمّ يُسْأَلُ فِي الوُكَلاَءِ لِكَيْ يُوجَدَ الإنسانُ أَمِيناً».

ونصهما في طبعة اللاتين كما يلي: «١- فَلْيَعُدَّنا النّاسُ خَدَمًا للمسيحِ ووُكلاءَ أَسْرارِ الله (٢) وَجُلُّ مَا يُطْلَبُ مِنَ الوُكَلاَءِ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنْهم أَميناً».

قال يوسف العلم في شرْحِهما[1]: «إذا أَرَدْتُم أَنْ تَعْتَبِرُونَا فاعْتَبِرُونَا اعْتِبَارَ خُدَّامِ المسيحِ وخَـازِني أسْرارِه المؤْتَمَنِينَ على كُنُوزِ تَعاليمِهِ وشَريعَتِه، فإنَّ الكَنِيسةَ بَيْتُ اللهِ، ومثل الرسلِ والأساقِفَةِ قَهَارِمَة[2] مُؤْتَمَنُونَ على كُنُوزِ الأَسْرارِ والتَّعاليمِ الإلهيَّةِ، لِيُوَزِّعُوهَا عَلى أَوْلاَدِها بحَسب احتياجِهم؛ لأَنّ الأَمانَةَ شَرَفُ الوَكِيلِ فَيَجِبُ عَلى مِثْلِنا مِن الوُكَلاَءِ والقَهَارِمةِ أَنْ يُبَاشِرُوا أَعْمالَ اللهِ بدونِ خِيانَةٍ».

وقَـدْ وَرَدَ في قامـوسِ الكِتـابِ المُقَدَّسِ في شَرْحِ كَلِمَةِ (سِرّ) ما يلي[3]: «وَرَدَتْ كَلِمـةُ سِرّ في العَهْدِ الجَديدِ بمعْنَى حَقِيقَة رُوحِيَّة عَمِيقَة لا يَقْدِرُ إنسانٌ أَنْ يُدْرِكَهَا بعَقْلِهِ الطبيعيّ ولا بفِكْرِهِ الجَسَدِي، كَمَا أَنَّهُ لا يَقْدِرُ أَنْ يَفْهَمَهَا فَهْماً صَحِيحاً فِي هَذَا العَالَمِ لأَنَّها تَفُوقُ الإِدْرَاكَ الطبيعيّ. ومنَ الأَسْرارِ المَذْكُورةِ في الإنجيلِ سِرّ اقْتِبَـالِ الأُمَمِ إلى الإيمـانِ بالمسيحِ (رومية ١١/٢٥)، وسِـرّ قِيامَـةِ الأَمْـواتِ (١

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٥٣.

(٢) مفردها قهرمان، وتنطق مقلوبة: قرهمان، وهو السيد (لسان العرب ١٢/٤٧٧).

(٣) انظر: ص ٤٦٤.

كورنثـوس ١٥/٥١)، وسِـرّ مِيلادِ المسيح من عَذْرَاءَ واتّحـاد لاهُـوتِـهِ بناسُوتِه (١ تيموثاوس ٣/١٦)، وسِرّ اتّحادِ المسيح بالكَنِيسةِ (أفسس ٥/٣٢). على أنَّ الرسولَ بولس يَتحدَّثُ عن الإنجيلِ ويقول: إنّه سِرٌّ (أفسس ٦/١٩) وهي تَحْمِلُ معنىً غير ما تَقدّم، إذْ تَعْنِي الشَّيْءَ المَكْتُومَ فِي الصّدْرِ إلى أنْ يَجيءَ وقْتُ الإفْصَاحِ عَنْهُ، فَيُصْبح العِلْمُ بِهِ في حَيِّزِ الإمْكَانِ، والرسولُ يَعْنِي أنّ المَجْهُولَ يَصِيرُ مَعْلُوماً بإذاعَتِه».

فانْـظُرْ: إنّ كُتّـابَ القَامُوسِ لَمْ يَشْرَحوا كَلِمَةَ (سِرّ) ويَسْتَشْهِدُوا لَها مِن كُتُبِ العَهْدَيْنِ إلاّ بما فِي رسائل بولس فقط(١)، ولَئِنْ كَانَ أَتْبَاعُه يُقَدِّمُونَ لَهُ الشُّكرَ الجزيلَ على أَمَـانَتِه وعَدَمِ خِيانَتِه في إطْلاَعِهِم على تلك الكُنوزِ والأَسْرارِ المُسْتَخْرَجَة من خِزَانَتِه، فإنّنا نحْنُ أَيْضاً نُقَدِّمُ الشُّكْرَ لِبَرْنَابَا، وكانَ أقْرَبَ المُقَرَّبينَ لِبولس، ورَفِيقَه في أَسْفارِه، وأَكْثَرَ مِن غَيْرِه مَعْرِفَةً بحَالِه، فقَدْ عَجَمَ عِيدَانَه، وفَحَصَ ما فِي جُعْبَتِه، فلمْ يُطْلِعْنـا على كَذِبِ تلك الأَمانةِ المَزْعُومَةِ لبولس فَحَسْبُ، بل وأَثْبَتَ عليْه الخِيَانَةَ، ونَسَفَ خِزَانَـةَ أَسْرارِه نَسْفاً بِمَا صَرَّحَ بِهِ في مَطْلَعِ إنْجيله فقَالَ ما يلي: «١ ـ بَرْنَابَا رَسُولُ يَسُوعَ النَّاصِرِيِّ المُسَمَّى المسيحَ يَتَمَنَّى لِجَمِيعِ سُكّانِ الأَرْضِ سَلاَماً وعَزَاءً. (٢) أَيُّها الأَعِزّاءُ إنَّ اللهَ العَظِيمَ العَجِيبَ قَدْ افْتَقَدَنَا فِي هَذِه الأَيّامِ الأَخِيرَة بِنَبِيِّهِ يَسُوعَ المسيحِ بِرَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ لِلتّعْلِيمِ والآياتِ التِي اتّخذَهَا الشَّيْطَانُ ذَرِيعَةً لِتَضْلِيلِ كَثِيرينَ بِدَعْـوَى التّقْوَى (٣) مُبَشِّرينَ بتَعْلِيمِ شَدِيدِ الكُفْر (٤) دَاعِينَ المسيحَ ابنَ اللهِ (٥) وَرَافِضِينَ الخِتَانَ الذي أَمَرَ بِهِ اللهُ دَائِماً (٦) مُجَوِّزِينَ كُلَّ لَحْمٍ نَجِسٍ (٧) الذِينَ ضَلَّ فِي عِدَادِهِمْ أَيْضاً بُولُسُ الذي لا أَتَكَلَّمُ عَنْهُ إلاّ مَعَ الأَسَى (٨) وَهُوَ السَّبَبُ الذي لأَجْلِهِ أَسَطِّرُ ذَلِكَ الحَقَّ الذِي رَأَيْتُهُ وَسمِعْتُهُ أَثْنَاءَ مُعَاشَرَتِي لِيَسُوعَ لِكَيْ تَخْلُصُوا وَلاَ يُضِلُّكُم

(١) وردت كلمة (سر، أسرار) في المواضع التالية من رسائله: في رسالته إلى أهل رومية ١١/٢٥، و١٦/٢٥، وفي رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٢/٧، و١٣/٢، و١٤/٢، و١٥/٥١، وفي رسـالته إلى أهل أفسس ١/٩، و٣/٣ و٩، و٥/١٢ و٣٢، و٦/١٩، وفي رسالته إلى أهل كولـوسي ١/٢٦-٢٧، وفي رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢/٧، وفي رسالته الأولى إلى تيموثاوس ٣/٩ و١٦.

الشَّيْطَانُ فَتَهلكُوا فِي دَيْنُونَةِ اللهِ (٩) وَعَلَيْهِ فَاحْذَرُوا كُلَّ أَحَدٍ يُبَشِّرُكُم بتَعْلِيم جَدِيدٍ مُضَادٍّ لِمَا أَكْتُبُهُ لِتَخْلُصُوا خَلَاصاً أَبَدِيًّا (١٠) وَلِكنَّ اللهَ العَظِيمَ مَعَكُم وليَحْرُسْكُم مِن الشَّيْطَانِ ومِنْ كُلِّ شَرٍّ آمِينَ».

وَذَكَـرَ بَرْنَـابَا في الفَصْلِ الأَوَّلِ مِن إِنْجِيلِه قِصَّةَ وِلَادَةِ المسيح عيسى عليه السلام من أُمِّهِ مَرْيَمَ بغَيْرِ زَوْجٍ، وهي موافِقَةٌ لِمَا في القُرْآنِ الكريم، فقال: «١ـ لَقَدْ بَعَثَ اللهُ فِي هَذِه الأَيَّامِ الأَخِيرةِ بالمَلَاكِ جبْرِيلَ إلى عَذْارَءَ تُدْعَى مَرْيَمَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِن سِبْطِ يَهُوذَا (٢) بَيْنَما كانَتْ هَذِه العَذْرَاءُ العَائِشَةُ بِكُلِّ طُهْرٍ بِدُونِ أَدْنَى ذَنْبِ المُنَزَّهَةُ عَنِ اللَّوْمِ المُثَابِرَةُ على الصَّلاةِ مَعَ الصَّوْمِ يَوْماً مَا وَحْدَهَا وإِذَا بالمَلَاكِ جبْرِيلَ قَدْ دَخَلَ مُخْدَعَها وسَلَّمَ عَلَيْها قَائِلاً: لِيَكُن اللهُ مَعَكِ يَا مَرْيَم (٣) فَارْتَاعَت العَذْرَاءُ مِنْ ظُهُورِ المَلَاكِ (٤) ولَكِنَّ المَلَاكَ سَكَّنَ رَوْعَهَا قَائِلًا: لا تَخَافِي يا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ نِلْتِ نِعْمَةً مِنْ لَدُن اللهِ الذي اخْتَارَكِ لِتَكُونِي أُمَّ نَبِيٍّ يَبْعَثُهُ إلى شَعْبِ إسرْائِيلَ لِيَسْلكُوا فِي شَرَائِعِه بإِخْـلَاصٍ (٥) فأَجَـابَتِ العَـذْرَاءُ وكَيْفَ أَلِـدُ بَنِينَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ رَجُلًا (٦) فَأَجَابَ المَلَاكُ: يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ الذِي صَنَعَ الإِنْسَانَ مِنْ غَيْرِ إِنْسانٍ لَقَادِرٌ أَنْ يَخْلُقَ فِيهِ إِنْساناً مِنْ غَيْرِ إِنْسَانٍ لأَنَّهُ لَا مُحَالَ عِنْدَهُ (٧) فَأَجَابَتْ مَرْيَمُ: إِنِّي لَعَالِمَةٌ أَنَّ اللهَ قَدِيرٌ فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُـهُ (٨) فَقَـالَ المَلَاكُ: كُونِي حَامِلاً بالنَّبِيِّ الذي سَتَدْعِينَهُ يَسُوعَ «عيسى» (٩) فَامْنَعِيهِ الخَمْـرَ وَالمُسْكِـرَ وَكُلَّ لَحْمٍ نَجِسٍ لأَنَّ الطِّفْلَ قُدُّوسُ اللهِ «مُبَارَكٌ» (١٠) فَانْحَنَتْ مَرْيَمُ بِضَعَةٍ قَائِلَةً: هَا أَنَا ذا أَمَةُ اللهِ فَلْيَكُنْ بِحَسَبِ كَلِمَتِكَ (١١) فَانْصَرَفَ المَلَاكُ (١٢) أَمَّا العَذْرَاءُ فَمَجَّدَتِ اللهَ قَائِلَةً: (١٣) اعْرِفِي يَا نَفْسُ عَظَمَةَ اللهِ (١٤) وافْخَـرِي يَارُوحِي باللهِ مُخَلِّصِي (١٥) لأَنَّهُ رَمَقَ ضَعَةَ أَمَتِهِ (١٦) وستَدْعُونِي سَائِرُ الأُمَمِ مُبَـارَكَةً (١٧) لأَنَّ القَدِيرَ صَيَّرَنِي عَظِيمَةً (١٨) فَلْيَتَبارَكِ اسْمُهُ القُدُّوسُ لأَنَّ رَحْمَتَهُ تَمْتَدُّ مِنْ جِيلٍ إلى جِيلٍ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ (١٩) ولَقَدْ جَعَلَ يَدَهُ قَوِيَّةً فَبَدَّدَ المُتَكَبِّرَ المُعْجَبَ بِنَفْسِهِ (٢٠) وَلَقَدْ أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ مِنْ عَنْ كَرَاسِيهِمْ وَرَفَعَ المُتَّضِعِينَ (٢١) أَشْبَعَ الجَـائِعَ بالطَّيِّبَاتِ وَصَرَفَ الغَنِيَّ صِفرَ اليَدَيْنِ (٢٢) لأَنَّهُ يَذْكُرُ الوُعُودَ التِي وَعَدَ بِهَا إبراهِيمَ وَابْنَهُ إِلى الأَبَدِ».

الفصل الثالث

أساسُ الانفصال بيْن المسيحية واليهودية

تمهيـــد

أرسلَ اللهُ المسيحَ عيسى ابنَ مريم رسولاً لبني إسرائيل، فطالبهم بالتمسك بالشـريعـة الموسوية، وعَنّفهم وبخاصّة أحبارهم لتلاعبهم بأحكام التوراة، وأكْلِهم أمـوالَ النـاس بالبـاطل[1]، وبشّرهم برسول يأتي من بعده من العرب اسمه أحمد، فحقـدوا عليه وأنكـروا نبوّته واتّهموا أُمّه بالفاحشة، وحاربوا دعوته وأتْباعه، لأنهم لا يريدون نبيّاً يطالبهم بإقامة التوراة، ويبشرهم بنبي من غير بني إسرائيل، وبخاصّة إن كان هذا النبيُّ من بني إسماعيل ابن الأَمَةِ هاجر، ففي ذلك ذهاب لسلطانهم الدّيني والسياسي، ومن هذا المنطلق أُخفوا البشارات المحمدية في التوراة ورمزوا لها برموز يفهمونها هم، وتخفى على غيرهم.

ولم يؤْثَر عن عيسى عليه السلام كلمة واحدة تشير بالتصريح ولا بالتلميح إلى عالمية دعوته، وكان الرومان الذين عاصرهم عيسى عليه السلام يعرفون جيداً أنّ دينه ودعـوتـه امتـداد للدين الذي عليه اليهود الذين هم إحدى الطوائف التي تعيش في المجتمع الروماني الواسع وتخضع للامبراطور في روما.

وكـان الـرومان ينظرونَ إلى اليهود دائماً أنهم عناصر مناوئة للدولة الرومانية، لأنهم حيثمـا سكنـوا يتعصّبـون لدينهم ويحقدون على غيرهم من الأُمم، ويثيرون الفتن، ويسلكون سبيل الغدر والمكر، فكان الأباطرة الرومان يحمون رعاياهم من كيد اليهود، ويوقعون بهم انتقامات شديدة بين الحين والآخر.

ولمّا عجز اليهود عن إخماد دعوة عيسى في فلسطين شَوّهوا سمعتَه عند حاكمها الـروماني، ودبّروا له مكيدة زعموا فيها مطالبته بالملك والسيادة والخروج عن طاعة الامبراطور، واستطاعوا استصدار الحُكْم على عيسى بالإعدام مصْلوباً[2]، فنجّاه الله

---

(١) انظر: إنجيل متى ٢٣/١-٣٥، وإنجيل مرقس ١٢/٣٨-٤٤.

(٢) انـظر: إنجيل متى ٢٧/١-٤٤، وإنجيل مرقس ١٥/١-٣٢، وإنجيل لوقـا ٢٣/١-٤٣، وإنجيل يوحنا ١٨/٢٨-٤٠ و١٩/١-٣٠.

وألقى شَبَهَهُ على أحد الحواريين فصلبوه، فاعتقد الجميع - من يهود ونصارى - أنّ عيسى قد صُلِب، وصار هذا الأمر لازماً على اليهود، ولَحِقَهم بسبب هذه المكيدة عار شديد، فزاد حقدهم وعنفهم ضد أتْباعه الحواريين والتلاميذ، واضطهدوهم بقساوة بالغة، ففرّ كثير منهم حاملين عقيدة التوحيد والتبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم وسكنوا في الساحل الفلسطيني بعيداً عن مجمع اليهود في القدس، وبعضهم سكن في السواحل السورية، وبعضهم وصل إلى سواحل آسيا الصغرى.

وهنا أفلت زمام الأمر من أيدي اليهود، وأصبح التعذيب والاضطهاد والنفي وسائل غير مجدية في القضاء على أفكار عيسى التي تبنّاها أتْباعه وبشّروا بها في كل مكان حلّوا فيه، وصارت الحاجة ماسّة إلى ظهور متنبىء جديد يَنْسَخ وحْيَ عيسى بوحْيٍ مزعوم يماثله، ويبطل تعاليمه بتعاليم تناقضها وتنسفها نسفاً.

ولكنها مهمة صعبة، ولا بد من توفر خصائص معينة في المتنبىء الجديد، ولن تكون الشخصية الصالحة لهذا العمل الجريء سوى شخصية شاول بولس الذي هو يهوديّ الدين، فرّيسيّ المذهب، رومانيّ الجنسية، طرسوسيّ المولد والنشأة، عالم بلاهوت اليهود، مُطّلع على مميزات المجتمع الرومانيّ وعوائدِه، عارف بعقائد الوثنيين، وخبير بأقوال الفلاسفة اليونانيين، وله تجربة سابقة فاشلة في القضاء على أتْباع المسيح، فلن يكون شخص ما أنجح منه وأقدر في أداء الدور الخطير المنوط بالمتنبىء الذي سيفسد دين المسيح، ولذلك دسّ مجمعُ اليهود في القدس هذه الشخصية الجامعة للصفات اللازمة، ذات النفسية الحاقدة، والمدعو صاحبها (شاول بولس الطرسوسي)، فأعلن أنه اهتدى في طريقه إلى دمشق وصار للمسيح رسولاً، وعلى وحْيِه مؤْتَمناً، وعلى أتْباعِه مشْفِقاً، ولعقائده مفسِّراً، ولأعدائه من اليهود موبخاً، يقول شارل جنيبير: «نستطيع تأكيد حقيقة لا يمكن الجدل فيها، تلك هي أنّ طرسوس

لم تصبح بمحض المصادفة مهداً لـ (الحواري المرسَل إلى المشركين) أيْ للرجل الذي ساهم بأكبر قسط في نشر دين جديد للنجاة باسم المسيح عيسى»[1].

ولا شك في أنّ تَحَوُّل شاول بولس الفرّيسيّ المتعصب لليهودية إلى النصرانية ظاهريّاً كان بخطّة مدبّرة من يهود فلسطين وعلى رأسهم كهنة المجمع (السنهدريم) في أورشليم، من أجْل المناداة بأمور أهمها:

الأول: المناداة بأنّ عيسى المسيح عليه السلام، هو الآتي المبشَّر به في الكتب السابقة، وليس شخصاً آخر بعده، فإنْ هو نجح في بَثِّ هذه الفكرة يكون قد قطع الطريق على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المبشَّر به في التوراة والإنجيل، ومهّد لليهود والنصارى جميعاً لإنكارهم دعوتَه وكفرهم بنبوته.

والثاني: المناداة بعالمية المسيحية الجديدة لتضاهي عالمية الدعوة المحمدية، فإنْ هو نجح في بَثّ فكرة العالمية هذه يكون قد هَيَّأ العالَمَ الوثنيّ لرفْض الدعوة المحمدية، واستنكارها بل ومحاربتها.

والثالث: فصل المسيحية الجديدة عن اليهودية، بإدخال العقائد الوثنية والقضايا الفلسفية في المسيحية، وتخريب عقيدة التوحيد الصحيح التي جاء بها المسيح عليه السلام، فإنْ هو نجح في هذا الأمر يكون قد ضَمِن استقبال الوثنيين للديانة الجديدة ودخولهم فيها.

فإذا نجح بولس في هذه الأمور الثلاثة يكون قد ضَمِن لقومه اليهود استمرار وحدتهم الدينية والسياسية، وضَمِن انفرادهم بعقيدة التوحيد القومي التي صاغها أحبارُ

---

(١) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٢.

التلمود، فزعموا أنّ الله إلههم وحدهم، وأنهم شعبه المختار، وليسوا مطالبين باتّباع المسيح ولا أحد بعده، وضَمِن أيضاً انفصال المسيحية الجديدة عن اليهودية انفصالاً لا لقاء بعده.

وقبل بيان كيف تمّ الانفصال بين المسيحية واليهودية لا بد من بيان اطّلاع شاول بولس التامّ على الديانات الوثنية وأسرارها وعلى الفلسفة اليونانية ومصطلحاتها، فجاء الحديث في هذا الفصل في النقاط التالية:

* هل كان شاولُ بولسُ مُطّلِعاً على العقائد الوثنية وأسرارها؟
  وما أثر ذلك في الدين الجديد الذي نادى به؟
* هل كان شاول بولس مُطّلِعاً على الفلسفة اليونانية ومصطلحاتها؟
  وما أثر ذلك في الدين الجديد الذي نادى به؟
* اختلاف المفاهيم الجوهرية والعقائد الأساسية بين دين عيسى ودين بولس.
* مفهوم جديد لِلْمَسِيّا.
* مفهوم جديد للتوبة.
* إطلاق لقب (الربّ) على عيسى.
* إطلاق لقب (ابن الله) على عيسى.
* عقيدة التثليث وأُلوهية الروح القدس.
* رسالة عيسى خاصّة ببني إسرائيل وعلى شريعة التوراة.
* انتصار بولس على معارضيه.

هل كان شاولُ بولسُ مطّلعاً على العقائد الوثنية وأسرارها؟ وما أثر ذلك في الدين الجديد الذي نادى به؟

في جواب شارل جنيبير على هذا السؤال تحدّث عن الإله بعل طرز وساندان، ومظاهر العبادة الوثنية في طرسوس، ثم قال: «وعلى أيِّ حال، فلو لَمْ يَرَ بولسُ من مظاهر عبادته سوى الطقوس السنوية لتمجيد موته لكان ذلك وحده أمراً بالغ الأهمية»[1].

ورجّح شارل جنيبير أنه كانت في طرسوس عبادات أُخرى ذات أسرار في بداية قيام المسيحية بسبب موقع طرسوس التجاري الهامّ، وكان الناس ينقلون الأفكار والمعتقدات إلى جانب السلع والبضائع، يُضافُ إلى ذلك قرْب طرسوس من فريجيا وصلاتها بالشام وفينيقيا ومصر، كل ذلك يؤيد أنّ أهلها كانوا على علْم بروح الأسرار المنتشرة في هذه البقاع وموضوعاتها الأسطورية الهامّة، ويضاف إلى ذلك أيضاً أنّ النزعة التأليفية التي تخلط أو تمزج وتزاوج بين الآلهة ذوي الصفات والوظائف المتشابهة، ظهرت في طرسوس بوضوح منذ زمن بعيد، وهذا يرجّح أنّ بولس تدرّج في نشأته الأولى بيْن أحضان بيئة وثنية مشبعة تماماً بفكرة (النجاة) القائمة على شفاعة ووساطة إله يموت ثم يُبعث ويشاركه أتْباعه في مصيره[2].

وأكتفي بنقل السطرين التاليين لبيان خلاصة رأي شارل جنيبير في هذا الأمر حيث قال: «وقد كتبنا ما فيه الكفاية ليدرك القارىء أبعاد الصورة التي أصبح عليها عيسى الناصري تحت تأثير أساطير الشفاعة والخلاص الشائعة في بيئة بولس»[3].

---

(١) المسيحية نشأتها وتطورها ص ٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ٨٠.

(٣) المرجع السابق ص ١٠٩.

وقد صرّح علماءُ تاريخ الأديان النصارى بوجود التشابه الكبير بيْن ديانة بولس وبيْن الـديانات الوثنية القديمة، فقالوا: إنّ الديانات السِّرِّيَّة الوثنية التي جاءت من الشرق إلى الغرب كانت السمةُ الأساسيةُ فيها أنها تدور حول إله أو بطل يموت ثم يقوم من الموت، مثل أوزوريس المصري، أو إله ينتصر على الشَرِّ مثل ميترا الفارسي، ثم أتْباع هذه الديانات يَطْلبون الخلاص بالاتحاد مع هذا الإله في موته وحياته بوساطة طقوس وعوائد وأكْلات خاصة، ونظراً للتشابه الكبير بين العقائد والطقوس المسيحية وبيْن تلك العقـائد والطقوس في الديانات الوثنية، حَكَموا بأَنَّ بولس أدْخل في دينه الجديد شيئاً كثيراً من عقائد تلك الديانات، وأنّ المسيحية الحالية خرجت منها[1].

وكثيرون هم العلمـاء المسيحيون الـذين يعتقـدون أنّ بولس أَخذ تفكيره من الهيلينية الوثنية، فقد فسّر (باور) عمل بولس على أنه بطل الأمم؛ وأنّ المصدر الأصيل لفكْرِه يَكْمن في إطار ألديانات السرِّية الوثنية، التي انتشرت وازدهرت نتيجة تلاقي الفكـر اليونـاني والديانات الشرقية، ويظهر ذلك جليًّا في المتوازيات الموجودة بين عنـاصـر لاهوت بولس وبين عقائد هذه الديانات، مثل موت الإله وقيامته، ولقب: الربّ، والخلاص، والأسرار، والمعرفة بالروح، وغيرها. وجزم (باور) أنّ بولس اطّلع على هذه الـديانـات الوثنية عندما كان وَلَداً في طرسوس، وكذلك في أثناء رحلاته التبشيرية بعد ادّعاء الرسالة[2].

وقـد اعترف العالم (ويلز) بأنّ بولس أُوتي قُوَّةً عقلية عظيمة، وأنه كان شديد الاهتمـام بحركات زمانه الدينية، فبالإضافة لعِلْمه الواسع باليهودية، كان على عِلْم واسع أيضاً بالديانات الوثنية، كالميترائية وديانة الاسكندرية، فنقل إلى المسيحية كثيراً من عقائد تلك الديانات ومصطلحاتها في التعبير، وعَلَّمَ الناس أنّ عيسى هو المسيح الموعود، وأنه ابن الله نزل إلى الأرض، ليقدّم نفسه قرْباناً ويُصْلَب تكفيراً عن خطيئة

(١) انظر كتاب: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس للدكتور القس فهيم عزيز ص ١٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠.

البشر، فموته كان تضحية من أجل خلاص البشرية، مثل ممات الضحايا الإلهية في الحضارات القديمة وبخاصة الديانة الميترائية الفارسية، فقد استقى بولس منها عقائده المتعلقة بالقربان والتكفير، وقد وافقه العالم (بري) فاعترف أيضاً بأنّ بولس استعمل مصطلحات الديانة الميترائية ليُرضي مُثقَّفِي اليونان، فكما أُطلق اليونانيون والسوريون على إلههم ديونشيس[1] ألفاظ (سوتر) و (اليوثريوس) و (كريوس)، كذلك أُطلق بولسُ على عيسى المسيح ألفاظ (المنقِذ)، و (المنجِي)، و (الرَّبّ)، وأنه (فداء البشر)، و (بِكْر كل خليقة)، و (به خُلِق الكُلّ)، وأن موته كموت ديونيشيس الفادي للبشر، وكان البابليون يُلبِسُون الضحيَّةَ أثواباً مَلَكِيَّةً لكَيْ يَمْثُلَ ابنُ المَلِك ويُجْلَدَ، ثم يُعْدَم شَنْقاً، ومِثْل هذه الأعمال كانت تَحْدث في رودس في عيد كرونس، وهذه العقائد والأعمال كانت أكثر قبولاً لدى الوثنيين منها لدى اليهود وكانت مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان تؤمن بعقيدة موت الآلهـة للتكفير من زمن بعيد، ولم يكن في وسـع سكان أنطاكية وسكان المدن اليونانية - الذين لم يعرفوا عيسى بجسمه - أنْ يؤمنوا به إلا كما آمنوا بآلهتهم المنقِذين، ولهذا ناداهم بولس بقوله: «هُوَ ذَا سِرٌّ أَقُولُه لَكُمْ»[2]، وأضاف بولس إلى هذا اللاهوت الشعبي السائد في بلاد اليونان والرومان مفاهيمَ صوفية غامضة كانت قد ذاعت بين الناس بعد انتشار سِفر الحِكْمة وفليمون، وذلك سهّل على أتْباع تلك الديانات الدخول في دين بولس، ونقْلَ طقوسِهم الوثنية إلى الدين الجديد، ولهذا كَرّر العالِمُ (بري) مرات عديدة أنّ المسيحية الحالية هي مسيحية بولس[3].

---

(١) وينطق: ديونيس وديونيزيوس.

(٢) فقرة رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥/٥١.

(٣) انظر: قصة الحضارة ١١/٢٦٤-٢٦٥، وكتاب محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٧٣-٧٤، ومقارنة الأديان ٢/١٠٨-١٠٩.

هل كان شاولُ بولسُ مطّلِعاً على الفلسفة اليونانية ومصطلحاتها؟ وما أثر ذلك في الدين الجديد الذي نادى به؟

كانت طرسوس في عهد الامبراطور أغسطس مدينة كبيرة تتحكّم فيها جامعتُها، وكان أساتذتها معظمهم من فلاسفة المدرسة الرواقية، ولم تكن تعاليمهم ومصطلحاتهم غريبة على الناس، ويبدو ذلك واضحاً في رسائل بولس، حتى إنّ بعض المحققين تصوَّروا أنّ بولس كان قد اتصل بالفيلسوف سنيكا[1] وتبادل معه الرسائل الكثيرة، وما ذلك إلا لأنّ بولس عاش سني طفولته وشبابه في وسط أُشْبِعَ بأفكار الرواقيين وبلاغتهم، فاطّلع بطريقة لا شعورية على مفاهيم الأسرار والفلسفة الرواقية، وثبتت في أعماق فكره، وكان لها ثمارها فيما بعد.

فإذا أضفنا إلى جانب اطّلاع بولس على الفلسفة الرواقية ذات الروح الإغريقية، إتقانه للغة اليونانية، ومعرفته الدقيقة بالكتب المقدسة المماثلة لمعرفة كبار أحبار اليهود، عَلِمْنا أنه قد مُنحَ أقوى أداة للفكر والعمل، فاستطاع أنْ يُعبّر عن رأيه بأيسر الوسائل، ويستخدم كلمات شائعة جدّاً في الوسط الذي عاش فيه، مثل: (الله)، (عقل)، (منقِذ)، (منطق)، (روح)، (ضمير)، وبذلك تشهد رسائلُه، كما تشهد بروحه الفريسية أيضاً، فهو يعشق الجدل، ويمتاز بالبصيرة النافذة المدققة، وبالدّهاء الشديد في تقديم البراهين وهدمها[2].

وقد تبنّى العالِم بولتمان ومدرسته الرأي القائل بمعرفة بولس الدقيقة بالغنوصية، وهي حركة فلسفية شدّدت على ثلاثة أمور:

---

(١) هو الفيلسوف لوسيوس أنيوس سنيكا، كان معاصراً لبولس ولد في قرطبة بأسبانيا عام ٥ ق.م، وتعلم الفلسفة الرواقية، وكان لمؤلفاته نكهة لاتينية، وأداته في التعبير هي البلاغة الرومانية، وكان دائماً يبرر الوسيلة بالغاية، توفى سنة ٦٥م (الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ٢٦٧).

(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص ٨١ ـ ٨٣.

الأول : ثنائية الروح والمادة.

والثاني : أنّ الخَلاص من المادة يكون بواسطة عطية إلهية، وهي المعرفة الخاصة عن الله.

والثالث : أنّ الملائكة يقومون بدور الوسيط في عمل الخلاص.

ويعتقد بولتمان وتلاميذه أنّ بولس أخذَ ذلك الفكر الغنوصي عن يهود اليونان، وظهر أثر ذلك في فكره عندما حَوَّلَ (الإنسانَ يسوعَ المسيحَ) إلى (الرَّبِّ من السماء)[1].

وقد اعترف المحقق (ويلز) بأنّ اللاهوت الذي أنشأه بولس ليس له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح، وأنّ العوامل التي أَوْحَتْ إليه بالأسس التي أقام عليها ذلك اللاهوت هي: انقباض نفسه واطّلاعه على الأفلاطونية والرواقية ونبذهما للمادة والجسم، واعتبارهما شَرّاً وخبثاً، وأنّ الإنسان لا ينجو من الخطيئة الأصلية والعذاب الأبدي، إلا بموت ابن الله كفارة عن الخطيئة، وتلك الأفكار كانت أكثر قبولاً لدى الوثنيين منها لدى اليهود[2].

وبهذا نرى أنّ تعليم الفلاسفة الهيلينيين والغنوصيين كان له دور كبير في تشكيل بولس لعقائد ديانته الجديدة، ومع أنّ الدكتور القسيس فهيم عزيز متعصب جداً لبولس، ومدافع عن أفكاره دفاعاً شديداً، إلا أنه اعترف بأنه لا يمكن أنْ يُنْكِر أنّ بولس قد استعار بعضاً من الأفكار والمصطلحات الهيلينية، ووضع فيها عمقاً جديداً[3].

---

(١) انظر: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٢١.
(٢) انظر: قصة الحضارة لـ : ول ديورانت ١١/٢٦٣-٢٦٤، ومحمد في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل أحمد ص ٧٣.
(٣) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ٢٢.

وقد أُنشِئت مدرسة الإسكندرية الفلسفية قبل المسيح بقرنين ونصف، وتعتبر هذه المدرسة حافظة للتراث الإغريقي الوثني، واشتهرت بمكانتها العلمية، وكان فلاسفتها يقولون بثالوث العقل والعاقل والمعقول، وكان بولس على علم تامّ بأفكار هذه المدرسة وحُبّ الجماهير لها ولأتْباعها، ونفورهم من التعصب اليهودي، فاستغل علمه بالفلسفة والديانات الوثنية في إخراج لاهوت مزيج منهما، وبذلك اعترف العالم (ليون جوتيه) والمحقق (ويلز)، قال ويلز: «وراح القِدّيس بولس يُقَرِّب إلى عقول تلاميذه الفِكْرةَ الذاهبة إلى أنّ شأنَ عيسى كشأن أوزيريس، كان رَبًّا مات ليُبْعَث حيًّا وليَمْنَحَ الناسَ الخلودَ»(١).

وقد مُلِئت رسائل بولس بالأمور الشخصية والمشاعر النفسية، مما جعل بعض العلماء مثل (دايسمان) يعتقدون أن بولس لم يكن بالفطرة لاهوتيًا، ولكنه كان عبقرية دينية، فكتب رسائله ردًا على مواقف معينة، ومشكلات محددة ركز على علاجها، فهو مؤسِّس صَرْحِ التفسير اللاهوتي المسيحي، والتفكيرِ الطويل والعميق في تاريخ المسيحية، ولذلك تحاول المدْرسة المسيحية العصرية أنْ تفسّر فِكْر بولس في إطار التفكير اليوناني القائم على أساس وجود التناقض بين الروح والجسد في الإنسان نفسِه، وكان بولس قد أخذ هذه الفكرة وأدخلها في المسيحية وبنى عليها فِكْره الأخلاقي، وجزمت المدرسة المذكورة أنّ هناك عنصريْن متناقضيْن في تفكير بولس، فكان ينتقل من فِكْر إلى نقيضه دون أنْ يشعر بذلك(٢).

ولا نستطيع تفسير المنعطف الخطير في تاريخ النصرانية في القرن الأول إلا بهذه الحقيقة: حقيقة معرفة بولس الدقيقة واطّلاعه التامّ على الديانات الوثنية وعلى الفلسفة الإغريقية الرواقية، فقد ظهر أَثَرُ ذلك واضحاً في رسائله، والباحث المهتدي

---

(١) انظر: مقارنة الأديان ٢/١٤٢، نقلاً عن كتاب تاريخ العالم للمحقق ويلز ص ١٧٨-١٨٠.
(٢) الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ١٢- ١٨.

الدكتور إبراهيم خليل أحمد نفى أنْ تكون هذه الفلسفة العميقة في كتابات بولس من وحي الله، وفيما يلي نقل النتيجة العلمية التي توصل إليها بعد أنْ عمل مقارنة بين تعاليم المسيح وتعاليم بولس، فقال: «لعلك أيها القارىء تَلْمس في هذا الأسلوب عمق بولس في المسائل الفلسفية والمباحث العلمية، مما لَمْ يُرْوَ قط عن المسيح، ولعلك تتبين أيضاً الفلسفة التي تتخلل مباحث رسائله، وهي ضرب من فلسفة أرسطاطاليس. . . . والحقيقة التي لا ريب فيها أنّ بولس كان على جانب كبير من معرفة الفلسفة اليونانية»(١).

وتحت عنوان (الاختلاف التاريخي) بَيَّنَ الدكتور القسيس فهيم عزيز أنّ هناك اختلافاً كبيراً بيْن أقوال المسيح عليه السلام، وبيْن كتابات بولس، وأنّ تثقيف كلٍّ منهما ساعد على وجود الاختلاف العامّ بيْن تعاليمهما، ثم قال: «زدْ على ذلك أنّ الرسول وُلِدَ في مدينة كانت مركزاً للحضارة الهيلينية، ولا بدّ أنه كان يعرف الشيء الكثير من هذه الثقافة التي تميّز بها ذلك العصر، بينما لم نقرأ في أيٍّ من الأناجيل عن يسوع أنه كان مهتمّاً بهذا الجانب الحضاري لذلك العصر الهيليني»(٢).

والآن ـ بعد أنْ ثَبَتَ اطّلاع بولس التامّ على الأسرار الوثنية والمصطلحات الفلسفية وإدخاله كثيراً منها في دينه الجديد ـ نأتي إلى بيان الاختلافات الجوهرية بين الديانتين.

---

(١) انظر كتابه: محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ص ١٢٣.

(٢) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ١٢١-١٢٢.

اختلاف المفاهيم الجوهرية والعقائد الأساسية

بين دين عيسى عليه السلام ودين شاول بولس اليهودي

لاحظ المحققون والدارسون لرسائل بولس عدم إشارته لحياة عيسى على الأرض إلا بأقوال متناثرة، مثل قوله: «قال الربّ»، وهذا الغياب لحياة يسوع الأرضية من رسائل بولس جميعها، قضية هامّة جدّاً، شغلت العلماء واستحوذت على تفكيرهم وبخاصة في هذا القرن العشرين، وظهرت آراء في تفسير سبب هذا الغياب، وقد استبعد الدكتور القَسُّ فهيم عزيز التفسيرَ القائل بأنّ التقاليد الخاصة بحياة يسوع الأرضية وأعماله لم تكن قد جُمعت وانتشرت في أيام بولس، كما استبعد جدّاً أنْ يكون بولس قد عرف المسيح معرفة شخصية، إذْ لم ترد في رسائله إشارة واحدة تفيد هذه المعرفة.

والصواب أنّ سبب إغفال بولس في رسائله لحياة يسوع الأرضية وأعماله هو مناقضة تعاليم بولس الجوهرية لأعمال المسيح وتعاليمه الثابتة عنه، فلو ذكر بولس منها شيئاً في رسائله، لكان في ذِكْرها هدم لمقاصده وحجّة عليه عند خصومه، فأعمال المسيح وتعاليمه في حياته الأرضية والتي نقلها أقرب الناس إليه (حواريوه وتلاميذه) كلها تدل على بَشَرِيَّته ونُبُوَّتِهِ والتزامه بالناموس الموسوي، وتبشيره بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومناداته بوحدانية الله التي نطق بها جميعُ الأنبياء قَبْله، والحال أنّ تعاليم بولس تناقض ذلك كله.

وهذا الرأي الذي أُرجّحه ذكره الدكتور القَسّ فهيم عزيز في تفسير سبب ذلك الغياب والإغفال فقال: «وإمّا أنّ الرسولَ لمْ يَرْضَ أنْ يَبْنِيَ رسالتَه على أساسٍ مَنْظُورٍ مَلْمُوسٍ كَحياةِ يسوع الأرضية وأعماله، لئلا تصبحَ ديانتُه ديانةً يَضْعُفُ فيها عَمَلُ الإيمان، وهذا يناقض ما يقوله هو: لأنّنا بالإيمانِ نَسْلُكُ لاَ بالْعِيَانِ»[1].

---

(١) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ١٢٠، والفقرة المشار إليها في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٥/٧.

وهل كانت حياةُ يسوع الأرضية وأعمالُه مناقضةً لِعَمَلِ الإيمان؟

الجواب: نعم، إنها مناقِضة تمام المناقَضة لعَمَلِ الإيمان البولسيّ، ولكنها ليست مناقضة لعمل الإيمان النَّبَوِيّ السابق للمسيح، وإنَّ بولس لا يعنيه أنْ يُطابقَ عملُه عمـلَ أنبياء بني إسـرائيل، فهـو مستقـل عنهم، وزائد عليهم بعالمية رسالته المزعومة، فعمله في الإيمان لم يُسبَق إليه ولايريد أن يبني على أساسٍ لغيره.

وفيما يلي ذكر بعض الاختلافات الجوهرية في العقائد الأساسية بيْن ما علَّمَ به المسيحُ وحواريوه وبيْن ما علَّم به بولس:

مفهوم جديد للمَسِيَّا

تحت عنوان (اختلاف موقفيهما من تاريخ الخلاص) ذكر الدكتور القَسُّ فهيم عزيز أنَّ المسيح بَشَّر بأنَّ ملكوت الله قد أَقْبَلَ وباتّباعه يكون الخلاص، وأَنَّ المفهوم الأساسي للمَسِيّا هو مفهوم المَلِك أو الممسوح من الله، وليس هو ربٌّ ولا ديّان، بينما أعلن بولس أنَّ يسوع الناصري بموته وقيامته وصعوده إلى الآب صار هو نفسه المخلِّص المنتظَر، وذكر أنَّ هذا التفسير الجديد لمفهوم المَسِيّا ورسالته مِن وضْعِ بولس الذي أكّد في رسائله دائماً على أنَّ يسوع الناصري الذي كان يضطهده هو نفسه المَسِيًّا المنتظَر، الذي بمجيئه تمّم المواعيد المُعطاة للأنبياء ولإبراهيم، فهو الفادي المتمِّم لعملِ المَسِيًّا ورسالتِه، وهو الربّ الديّان، الذي قام من بين الأموات. وبهذا نستطيع أنْ نتبيّن مقدار ونوع التغيير الذي أدخله بولس في شخصية المَسِيّا وعملِه، فالحواريون كانوا يَفهمون المَسِيًّا بمفهوم اليهود، أيْ إنّه شخص بَشَرِيّ وكائن مخلوق ليس فيه شيء من الألوهية، ولكنّ بولس هو الذي وضع معنىً جديداً ومجيداً للمَسِيًّا وشخصيته الإلهية، وبهذه الكيفية فَهِمه بولس على الطريق إلى دمشق[1].

وهذه النتيجة التي توصّل إليها الدكتور القَسُّ فهيم عزيز هي نفس النتيجة التي سبقه في الوصول إليها الدكتور شارل جنيبير، وكان أكثر صراحة في الإعلان عنها، فذكر[2] أنَّ عيسى بدعوته إنما كان يُجَدِّد تلك السلسلة من أنبياء بني إسرائيل التي انقطعت بعد العودة مِن المَنْفَى، فقيامُه بالدعوة ليس في الواقع ظاهرة استثنائية أو غريبة من ناحية الشكل، ولم يخرج عن المبادىء الأساسية التي كان يفسرها يوحنّا المَعْمَدان، فكان يبشّر بأنَّ (مملكة الله وشيكة، ترقبوا الانقلاب العظيم الذي سوف يُطَهِّر العالَمَ من الظّلْم والشر، توبوا إنْ أردتم أنْ تحتلوا مكاناً بين صفوف المختارين).

---

(١) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس ص ١٢٢-١٣٧.

(٢) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٧-٤١.

ويتـابع شارل جنيبير حديثه فيستفسر ويجيب: وهل ظنّ عيسى أنه هو نفسه المسيح المنتظَر؟ لقد شكّ الناسُ في ذلك وما زالوا يشكّون مستندين إلى أدلة قوية، والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي أنّ عيسى نفسه لم يَدَّعِ قط أنه هو المسيح المنتظَر، ولو أراد أنْ يتخذ لقباً لاتخذ لقب (ابن داود) المعروف بيْن بني إسرائيل والذي كانوا يعتبرونه لقب المنقِذ المنتظَر، ولكنه لم يفعل، ثم ختم جوابه بقوله: «فهناك إذن في الواقع حُجَج لها قدر كبير من المنطق والقوة، تدفع إلى الاعتقاد بأنّ عيسى قد اعتبر نفسه رسولاً تحثه روح (يَهْوَهْ) على إعلان قرب تحقيق الأمل الأكبر وضرورة التمهيد له، وبأنه قد سلك مسلكاً يتمشى مع هذا الإيمان»[1].

وأكد شارل جنيبير في عدة مواضع من كتابه أنّ تعاليم عيسى اعتمدت على فكرة حلول مملكة الله التي آمن بها هو، وأنه بالمقارنة بين الدين المسيحي في القرون الوسطى وبين الدين الذي جاء به نبي إقليم الجليل[2] ـ ذلك النبي المتواضع الرقيق الخلق، الذي بشّر إخوانه بالنبأ الطيب نبأ حلول مملكة الله وحثهم على الاستعداد لها[3] ـ لا نجد رابطة تُذْكَر بين هذا وذاك، والحق أنّ كل ذلك لا يمكن اعتباره إلا تحريفاً لفكرته، وأنْ جماعة أتباع عيسى في القدس لا يفترقون عن اليهود الآخرين إلا في عقيدة إيمانهم بعيسى الناصري، الذي أنكره معظم اليهود، وكان أقصى أمل أتباعه أنْ يُرحِّبوا بالمؤمنين الجدد من اليهود، ولكنْ في ديانة بولس لم يلبث أن تحوّل عيسى من نبيّ ورسول بشريّ لليهود فقط، ولا علاقة لليونان به، إلى عيسى المسيح السيد المنتظر، وابن الله المنقِذ وخليفته على حدّ تعبير بولس[4].

---

(١) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٢.

(٢) يقصد به عيسى عليه السلام لأنه من إقليم الجليل بشمال فلسطين.

(٣) وهنا أذكر القارىء بقوله تعالى عن عيسى عليه السلام في سورة الصف آية ٦ (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد).

(٤) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٨ و٥٢ و٨٨ و١٩٠.

وتجدر الإشارة إلى أنّ بولس قد أكثر في رسائله الاقتباس من أسفار موسى الخمسة وسفر المزامير وسفر إشعياء، وذلك لأنها هي الأسفار التي كَثُرت فيها البشارات المحمدية، فكثر اقتباسه منها لِيَلْوِي أعناق النصوص مُوهِماً دلالتها على المسيح لا على محمد صلى الله عليهما وسلم، ولكنّ عمله ذلك لا يصمد أمام الأدلة الصريحة، فإنّ الأَصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متّى والأَصحاح الحادي والعشرين من إنجيل لوقا ينفيان بلسان المسيح عيسى نفسِه أنْ يكون هو المَسِيَّا المنتظَر آخر الزمان، بل ويحذّر من تصديق القائلين بذلك ويصفهم بالضلال، وأنهم أنبياء كَذَبة، وأقتطف بعض فقرات إنجيل متّى «٤- فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: انْظُرُوا لا يُضِلَّكُم أَحَدٌ (٥) فإنَّ كَثِيرينَ سَيَأْتُونَ باسْمِي قَائِلِينَ أَنَا هُوَ المَسِيحُ وَيُضِلُّونَ كَثِيرينَ (٩) حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إلى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي (١١) وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ (١٣) وَلَكِنِ الذِي يَصْبِرُ إلى المُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ (١٤) وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ في كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي المُنْتَهَى (٢٣) حِينَئِذٍ إنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ هُوَذَا المَسِيحُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَلاَ تُصَدِّقُوا (٢٤) لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آياتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً (٢٥) هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ».

وأكتفي من إنجيل لوقا بالفقرة التالية ٢١/٨ «فَقَالَ: انْظُرُوا لَا تَضِلُّوا. فَإنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ إنّي أَنَا هُوَ وَالزَّمانُ قَدْ قَرُبَ. فَلاَ تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ».

مفهوم جديد للتوبـة

يَذْكُـر الـدكتور القَسّ فهيم عزيز تحت عنوان (اختلاف موقفيْهما من تاريخ الخلاص) بأنّ يسوع دعا الخُطاةَ إلى التوبة وضرورة اقتران القول بالعمل للمغفرة، فكانت دعوته شبيهة بدعوة الأنبياء القدامى، بينما أعلن بولس أنّ التبرير والغفران وقعا بمـوت المسيح وقيامته، فلا قيمة للعمل؛ لأنّ المغفرة تحصل بالإيمان بأنّ موت المسيح كان موتاً كَفّاريا، وأنّ الله نفسه تدخّل لفِداء البَشرِ في حياة يسوع كلها، فصالح العالَمَ لنفْسِه عن طريق موت ابنه، وهذا هو السِّرّ الذي اختصّ به بولس، ثم شاء أنْ يعلنه للناس، وهو أنّ الله الكُلّي المحبَّة جاء في المسيح ليصالح العالَم، فالإنسان الخاطىء يحتاج إلى الفِداء، وهذا هو موضوع العمل العظيم لله، ولكنْ لكل من يؤمن، فكان على بولس أنْ يبشّر وينادي بهذا السرّ، وأنْ يسعى كسفير ليقنع الناس ويدعوهم أنْ يتصالحوا مع الله[1].

وبهذا وضع بولسُ جواباً غامضاً للسؤال عن رضا المسيح (ابن الله) بالموت مصلوباً، وعلّل ذلك باستحواذ الشيطان على جميع بني آدم بسبب سَرَيان خطيئة أبيهم آدم إليهم، فالموت الكفّاري وحده على الصليب هو الذي حطّم الأغلال، وفتح أبواب السماء لدخول ملكوت الله، وبهذه النزعة الفلسفية الوثنية لمفهوم التوبة استطاع بولس أنْ يُظْهِرَ المسيحَ المرسَل إلى خِراف بني إسرائيل الضالّة، أنه ابن الله الفـادي والمخلّص المنتـظَر، وأنّ التـوبة والغفران والتكفير يحصل بالإيمان بهذه العقيدة دون غيرها، وهي التي سمّاها المهتدي الدكتور إبراهيم خليل أحمد (نظرية بولس في التكفير) وتحدث عنها حديثاً مسهباً استند فيه إلى أقوال السير آرثر فندلاي في كتابيْه (صخرة الحق) و (الكون المنشور)، وإلى أقوال العلامة روى ديكسون

---

(١) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ١٢٥-١٢٦ وص ٣٢٣.

سميث في كتابه (ضوء جديد على البعث)، وبيّن في حديثه أنّ بولس أخذ نظريته في التكفير عن الـديانـات الـوثنية، وذكر ستة عشر إلهاً مخلِّصاً عُرفوا قَبْل مجيء المسيح، وماتوا لأجْل خطايا العالم، ثم إنّ هذه النظرية البولسية في التكفير صارت أسـاساً لدين جديد منفصل عن اليهودية، يسمح بأنْ تتسرّب إليه جميع الأساطير الشرقية القائمة على فِكْرة إله يموت ويبعث لينجو أتْباعه ويخلدوا، فتحوّل عيسى بفضل هذه النظرية من رسول ونبيّ إنساني لبني قومه اليهود إلى المخلِّص الإلهي للعالَم كلِّه، إذْ إنه مات موتاً تكفيريّاً كممات الضحايا الإلهية في الديانات الوثنية[1].

(١) انظر كتابه: محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن ص ٧٢ـ٨٤.
وانظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص ٥٢.

إطـلاق لقب (الرَّبّ) على عيسى

تحت عنـوان (الـرَّبّ) يَذْكُـر الدكتور القَسّ فهيم عزيز أنّ عدداً من علماء النصارى يؤكدون أنه لم تظهر أبداً أية علامة تدل على أنّ الكنيسة الأولى في فلسطين عرفت إطلاق لفظ (الرَّبّ) على عيسى، ولا تمسكت به منذ البداية، وأنّ هذا اللقب (الرَّبّ) مِن أهمّ الألقاب التي نَسَبَهَا بولس لشخص المسيح عيسى، فقد أورد بولس هذا الاسم مُطْلَقاً على المسيح إطلاقاً مُفْرَداً أو مركَّباً كقوله (الربّ يسوع المسيح) حوالي مائتي مرة، والجدير بالذكر أنّ كُتَّاب الترجمة السبعينية للعهد القديم كتبوا اسم الـربّ للدلالة على اسم الجلالة عند اليهود (يَهْوَهْ) أي على الله، فمن أين استقى بولس هذا اللقب؟ ويَستبعد بولتمان أنْ يكون مصدر هذا اللقب من الترجمة السبعينية التي لم تُطْلِق اسمَ الرَّبّ إلّا على الإله الحقيقي، ورجّح أنّ هذا الإطلاق جاء من الفلسفة والحضارة الهيلينية الوثنية، ويؤكد الدكتور القَسّ فهيم عزيز على أنّ تلاميذ المسيح في حياته كانوا يُطْلِقون عليه لفظ (الرَّبّ) بمعنى المُعَلِّم الأعظم، ولكن معنى هذه الكلمة (الرَّبّ) قد تغير بعد قيامته من بيْن الأموات، فبالمعنى الأول (المعلِّم) أُطلقت عليه في حياته الأرضية، وبالمعنى الثاني (الإله) أُطلقت عليه بعد قيامته، ولذلك أصبح يوم الرَّبّ الإله في العهد القديم هو يوم الرّبّ يسوع المسيح في العهد الجديد[1]، وركّز بولس على وجود التشابه الكامل في العمل والوظيفة بيْن الرّبّ الآب والرّبّ يسوع المسيح، وليس في ذلك فحسب، بل والتشابه أيضاً في الـطبيعـة، إذْ إنّ وجـود التشـابـه الكـامل بينهما في العمل والوظيفة يوجب تشابه طبيعتيْهما، ولا يمكن الفصل بين الطبيعة والوظيفة، وعلّق الدكتور القَسّ فهيم عزيز مؤكداً الاستنتاج السابق بقوله: «إذَنْ فلقب الرَّبّ عندما ينسب ليسوع المسيح يعني أنه يقوم بعمل الله على الأرض، ويشاركه أيضاً في مَجْد طبيعته»[2].

---

(١) إشارة إلى فقرة رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٥/٥، وفقرة رسالته إلى أهل تسالونيكي ٥/٢.

(٢) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ١٣٢-١٣٧، والنص ص ١٣٨.

ومن هنا صار الاعتراف بالربّ يسوع المسيح من أهم عناصر الدين الجديد - فمَن يؤمِن بالرّبّ يسوع المسيح بفمه وقلبه وأنّ الله أقامه من الأموات فقد خَلَص[1] - وصار سلطان المسيح كَرَبٍّ هو موضوع الكرازة والتبشير في ملحقات العهد الجديد، أيْ رسائل بولس على الخصوص[2]، فهو يعترف بيسوع رَبًّا لأنّه قَبلَه كَرَبٍّ له شخصياً وله السّلطة المطلَقة والنهائية على حياته، ثم حاول أنْ يجعله رَبًّا لجميع المؤمنين الجدد[3]، فاستعمل كلمة (ربّنا) بصيغة الجمْع مقرونة بيسوع أو بالمسيح، أيْ (ربّنا يسوع) أو (ربّنا يسوع المسيح) ٢٨ مرة[4].

وهو كما ترى - وباعتراف الدكتور القَسّ فهيم عزيز - إطلاق لَمْ يقلْه المسيحُ عن نفسه ولا أُطلقه عليه حواريّوه، بل هو من ابتداع بولس واستعماله، يقول شارل جنيبير: «ولو جاء النبأُ إلى الاثنيْ عشر بأنّ عيسى قد تمثّل فيه اللهُ لَمَا فهِموه بادىء ذي بدء، ثم لَتصايحوا بالفضيحة والرذيلة الممقوتة»[5].

(١) إشارة لما في رسالة بولس إلى أهل رومية ١٠/٨-١٠.
(٢) إشارة لما في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٤/٥.
(٣) إشارة لما في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ٨/٥-٦، ورسالته إلى أهل كولوسي ٢/٦.
(٤) انظر: الفكر اللاهوتي في كتابات بولس ص ١٣٩.
(٥) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٤.

إطلاق لقب (ابن الله) على عيسى

وهذا اللقب أيضاً من الألقاب التي لمْ يقلْها المسيحُ عن نفسه ولا أطلقها عليه حواريّوه وتلاميذُه، وقد صرّح الدكتور القَسّ فهيم عزيز بأن كُتّاب الأناجيل لم يستخدموا لقب (ابن الله) كثيراً، وأنّ باقي الكتب لا يوجد فيها هذا اللقب، بينما أطلق الرسولُ بولسُ لقبَ (ابن الله) على عيسى مرّات كثيرة، وأُطلق عليه لقبَ (الرّبّ) ثمانية أضعاف لقب (الابن)، ووافق في تعليل ذلك على ما قاله (فنست تايلور) بأنّ لقب (ابن الله) موضوع الإيمان، بيْنما لقب (الرَّبّ) موضوع العبادة، وحَكَم تايلور وغيره من العلماء بأنّ الكنيسة الأولى لم تستخدم في عقيدتها لقب (ابن الله) على عيسى؛ لأنّ عنصر التبنّي دخل إليها بعد قيامته، وأنّ المسيحَ لم يظنّ في نفسه أنّه (ابن الله)، وإنّما رفعه اللهُ إلى مرتبة البُنُوّة بعد القيامة، واستندت الكنيسة في ذلك إلى قول بولس نفسه في رسالته إلى أهل رومية ١/٣ـ٤، حيث يقول بأنّ عيسى هو ابن داود من جهة الجسد، وأنه تعيّن ابن الله بالقوة من جهة روح القداسة والقيامة من الأموات، وهو كما ترى اعتراف صريح من تايلور وزملائه بأنّ عقيدة بنوّة المسيح لله إنّما أُدخلت إلى الكنيسة بعد رفْع المسيح، ولم يكن لها ذكر في حياته ولا عند تلاميذه، وأنّ بولس هو الذي جعل هذه العقيدة مركز الإيمان وموضوعه ومحوره، فهو عنده الابن الأزلي لله، وشريكه وعامل معه في كل أعماله أزلاً وأبداً، وهو الابن البِكْر لا زَمَناً كما يُتوهَم، بل هو البِكْر سموّاً وعَظَمةً ومرْكزاً، وخلَص الدكتور القَسّ فهيم عزيز إلى النتيجة التالية بخصوص عقيدة بنوّة المسيح لله فقال: «فالأرجح والأكثر قبولاً لدى الغالبية هو أنها من صياغة الرسول نفسه، لأنّ الموقف كان يستدعي هذا الكلام، ومع ذلك فالأمر الهامّ هنا هو أنّ الرسول إذْ يضع هذه العقيدة السامية في هذه العبارات البالغة الجلال، سواء أكانت من قلمه هو أو أنه تسلّمها من الكنيسة الأولى، فإنه يعبّر بذلك عن عقيدته في وجود المسيح السابق، ونوعية هذا الوجود السامي، إنها تعبير عن إيمانه»[1].

---

(١) انظر كتابه: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ١٤١ـ ١٤٦، والنص ص ١٤٧.

ويقول الدكتور شارل جنيبير: «ولَمْ يَقُلْ عن نفسه إنه (ابن الله)، وذلك تعبير لَمْ يكنْ في الـواقع ليمثّل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش وضرْب من ضروب السّفه في الدين، كذلك لا يسمح لنا أيّ نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الـذين تأثّـروا بالثقـافـة اليونـانية، إنهـا اللغـة التي استخدمها القدِّيس بولس كما استخدمها مؤلِّف الإنجيل الرابع، وقد وجدا فيها معاني عميقة وعلى قدر كافٍ من الوضوح بالنسبة إليهما»[1].

وقد اعترف الأب بولس إلياس بمثْل ما اعترف به الدكتور شارل جنيبير فقال: «لقد ترك لنا بولسُ الرسولُ عن المسيح رسْماً واضح القسمات وإن اختلف ظاهراً عن رسْمِ مسيح الأناجيل، فمسيح بولس هو مسيح الإيمان أكثر منه مسيح التاريخ، ولا عجب، فبـولس الفيلسـوف الـلاهـوتي لَمْ يَرَ المسيحَ في الجسد ولا رافقه كباقي الرسل، فمسيحه هو ابن الله، له طبيعتان إلهية وإنسانية، تجسّد واتخذ صورة عبْدٍ وتحدّر من ذرية إبراهيم حسب الجسد، ومات مصلوباً وقُبِر وقام من بيْن الأموات»[2].

(١) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٣٩.
(٢) مقارنة الأديان ٢/ ٩٩ نقلاً عن كتاب: يسوع المسيح ص ١٧-١٨.

عقيدة التثليث وألوهية الروح القدس

وهذه العقيدة كسابقاتها لمْ يقلْها المسيحُ ولا عرفها الحواريّون، وكانوا يعتقدون أنّ الله واحد، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل، وأنّ الروح القدس (جبريل) مَلَكٌ مقرب، وسفيره إلى أنبيائه وحامل الوحْي إليهم، ولكنّ هذا المفهوم الجوهري والعقيدة الأساسية مختلفة تماماً في رسائل بولس، وتحت عنوان (شخصية الروح القدس) ذكر الدكتور القَسّ فهيم عزيز أنّه وإنْ لَمْ يُعْطِ بولسُ عقيدةً وافية بالنسبة للروح القدس، لكنّ الملاحظ أنّه يلعب دَوْراً كبيراً وهاماً في رأيه، وَيُكَوِّنُ جزءاً كبيراً من تعاليمه، فهو يستعمل كلمة الروح القدس ليصف بها تياراً قويّاً غير طبيعي يؤثّر في الناس أو بالأصح يصف به (الغزو الإلهي للحياة البشرية)، وهو - أي الروح القدس - في نظر بولس جوهر منفصل، وروح الله السامي الذي يعطي قوة للحياة، ومع استقلاله وتميزه وسموه عن روح الإنسان، فإنّه يَسْكُن مع الإنسان ويعمل فيه، وأما الله الآب فيعمل في الشخصين الثاني والثالث، أيْ في المسيح والروح القدس معاً، ورغم عمله فيهما فكل واحد منهما له عمل في الحياة البشرية، وله تميّزه عن الآب، وقد لاحظ المحققون أنّ بولس يستعمل نفس اللغة عندما يتكلم عن عمل الابن وعمل الروح القدس، فكلاهما يَسْكُنان في المؤمن، والكلّ يتّحد في شركة عميقة خلقها الروح القدس في المؤمنين تسمى (شركة الروح القدس)، ولأجْل هذه العلاقة الوثيقة بيْن الابن والروح القدس ظنّ البعض أنهما اسمان لمسمى واحد، وأنّ بولس يطلقهما على شخص واحد، وذلك للتطابق الكبير بين عمل الابن وعمل الروح القدس، ولكن مجموع النصوص يؤيد وضوح فكرة تمايز الثلاثة عند بولس، فهو في كتاباته يظهر ثلاث شخصيات متمايزة، والتشابه الكبير في العمل أحياناً لا ينفي التمايز، وليس هناك أيّ دليل يدلّ على أنّ بولس يعتقد أنّ الربَّ يسوعَ هو نفسه الروح القدس، وفي كلامه عن علاقة المسيح بالله وإنْ لَمْ يتكلم عن المساواة في الجوهر والطبيعة، ولم يتكلم عن عقيدة التثليث بمفهومها الكنسي، لكنه تكلم عن علاقة مساواة في العمل والقوة وتسيير الأمور، فاستُدِلَّ بتلك المساواة على المساواة في الطبيعة والجَوْهر، ويتضح من كلام

بولس أيضاً أنّ الآب والابنَ متميزان ولايخلط بينهما بتاتاً، ولا يقول بولس بأنّ الإله الابن بدَّل طبيعته الإلهية فصار عبداً، لكنه يقول بأنه أخذ صورة عبْدٍ وفَعَل كل ما يفعله العبد، وذلك لا يخِلُّ بمفهوم ألوهية الابن المساوي للآب في الطبيعة الإلهية، التي أخذ عليها صورة العبد، فصحَّ أن يقال: إن المسيح هو الله في تواضعه آخذاً صورة العبد، فالعالم قد رأى الله في هذا الابن، وبخاصة في عمل الفداء العظيم، ففي هذا العمل يُرىٰ الله نفسه مواجهاً الإنسان وجهاً لوجه في يسوع المسيح[1].

وبهذا نرى أنّ بولس وإنْ لم يصرّح بعقيدة التثليث لكنه دَوَّنَ أصولها في رسائله بحيث سهّل على أتباعه استنباطها من كتاباته، لكنّ العجب أنّ دوْر الإله الابن فاق دوْر الإله الآب والإله الروح القدس، فبينما يتركز دوْر الإله الآب في إرسال المسيح للفداء والمصالحة مع الناس، ويتركز دوْر الروح القدس في إعطاء المواهب للمؤمنين، نجد أنّ الإله الابن خُصَّ بالدينونة والغضب والرحمة والخَلْق واستحقاق العبادة والدعاء، والذي يقرأ رسائل بولس يلاحظ أنّ عمل الله مغفل في هذا الكون وكأنّه تنازل عن جميع سلطاته لصالح الإله الثاني المسيح الابن، وقد خصص الدكتور القَسّ فهيم عزيز الفصل الرابع[2] من كتابه للحديث عن (عمل المسيح والروح القدس) وأسهب في الحديث مبيّناً أهمية موت المسيح، وأنه كان فداءً وكفارةً وبدلاً، ومصالحةً بين الله والناس، وتحريراً للإنسان من قوات الشر ومن الناموس الموسوي ومن الخطيئة والذنب، وأنّ التبرير يكون بالإيمان بما سبق، وذلك بَرَكة من بركات العهد الجديد، ثم بيّن سُكْنى المسيح والروح القدس في المؤمن، واختصاص الروح القدس بإعطاء المواهب.

---

(١) انظر كتاب: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ١٥٤-١٦٢.

(٢) انظر: الفصل الرابع (عمل المسيح والروح القدس) في كتابه الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس ص ١٦٣-٢٦٠.

رسالة عيسى خاصة ببني إسرائيل وعلى شريعة التوراة

لمْ يَثبتْ عن عيسى عليه السلام أنه أتى بدين جديد يَنْسَخ شريعة التوراة، ولا أنـه ادّعى عالمية رسـالتـه للأمم، ولمْ يَثبتْ عن حواريّيه أنهم فهمـوا دعـوته بذلك المفهوم، بل ثبت عنه عكس ذلك تماماً، ففي إنجيل متّى ١٧/٥ « لَا تَظُنُّوا أنّي جئْتُ لأنْقُضَ النّاموسَ أَوِ الأنْبِيَاءَ. ما جِئْت لأنْقُضَ بلْ لأكَمِّلَ».

وفيه ١٠/٥ ـ ٧ «٥ ـ هَؤُلَاءِ الاثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: إلى طَرِيقِ أُمَمٍ لا تَمْضُوا وإلى مَدِينةٍ للسّامِرِيّينَ لَا تَدْخُلُوا (٦) بَلِ اذْهَبُوا بالْحريّ إلى خِرَافِ بَيْتِ إسْـرَائِيلَ الضَّـالَّةِ (٧) وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ اكْرِزُوا قَائِلينَ: إنَّه قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السّماوَاتِ».

وفيه ١٥/ ٢٤ «فَأَجَابَ وَقَالَ: لَمْ أُرْسَلْ إلاّ إلى خِرَافِ بَيْتِ إسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ».

فهذه النصوص صريحة في أنّ عيسى ملتزم بشريعة الناموس الموسوي، وأنّ رسالته خاصّة ببني إسرائيل، ولمْ يَثبتْ عن حواريّيه غير ذلك، لكنّ بولس غيَّر هذا المفهـوم الصـريح وزعم أنّ عيسى أرسله برسـالـة عالمية، وأنه نسخ جميع أحكام التوراة، وقد أدرك المحققون هذا الاختلاف الجوهريّ وصرّحوا به، فقد ذكر شارل جنيبير أنّ عيسى لم يؤسس ديناً جديداً، ولا أتى بأيّ عبادة جديدة، ولم يزعم أنه أتى لتغيير معتقدات ولا شرائع ولا شعائر الديانة اليهودية، وإنما بَشَّر اليهودَ بحلول مملكة الله التي آمن بها هو، ولمْ يُرِدْ تأسيس كنيسة لفتح الأرض جميعاً، وهو أمر لا يقرّه واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخي، ثم قال: «ولن نتعدى الحق إنْ أضفنا أنَّ كُلَّ ذلك لا يمكن اعتباره إلا تحريفاً لفكْرته، وأنه لمْ يكنْ لِيرضى عنه قطّ لو نَمى إلى علْمِه منه شيء»[1].

---

(١) انظر كتابه: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٤٨-٤٩.

وهـذا تصـريح يفهم منه أنّ المسيحَ وجميعَ الحواريين والتلاميذ الجدد كانوا يعملون بشريعة التوراة، فيُحِلّون حلالها ويُحرّمون حرامها، ويُؤدّون فرائضها، وبما أنّ التـزامهم بالشـريعـة الناموسية تفنيد لمزاعم بولس، والناموس كله مخالف لتعاليمه وعقـائـده، لذلـك أعلن بولس أنّ النـاموس منسوخ، لأنه يقدر على كشف الخطيَّة وتحـريمهـا، ولكنْ لا يقـدر على تخليص الناس منها، فهو ناقص وقاصر، وقوانينه وشـرائعـه لا تنبع من نفس الإنسان، بل هي أوامر وتهديدات خارجيّه لا تعطي قوة للإنسانِ لعملها، فهو سبب للموت لا للحياة، وركن من الأركان الضعيفة في العالم. «هذا الناموسُ الذي شَهِدَ لِبِرِّ اللهِ قدْ طَرَأَ عليه وعلى الْهَدَفِ الأساسيِّ لَهُ تَغْييرٌ مُرَوِّعٌ، وَأَضْحَى يُوصَف بأَوْصَافٍ تَتَنَاقَضُ كَثِيراً مَعَ الأَوْصَافِ الأُولَى»[1].

وفي تعليق شارل جنيبير على نَسْخِ بولس لمسألة الختان وسائر أحكام التوراة العملية يقول: «لا غرابةَ أنْ نرى الحواريينَ الاثنيْ عشر - وهُم الذين أُشْرِبوا بتعاليم عيسى وظلّوا على يهوديّتهم العميقة - يستنكفون كثيراً مِنْ مِثْل هذه النتائج التي توصّل إليها بولس، ويُبْدُون أمامَها تردّداً قويّاً. . . ولَمّا أصبح مبدأ دخولِ المشركين في الدين الجديد مقبولاً وجد أنه من الصالح تيسير تطبيقه، وكان بولس على علْمٍ بأنّ عملية الخِتان لا يرضى عنها أهلُ اليونان، وبأنّ أَغلب أحكام الشريعة اليهودية للحياة العملية لا تتفق مع عاداتهم وأساليب تفكيرهم، فلمْ يَلبثْ أنْ آمن بأنّ تعاليمَ هذه الشريعة قد نَسَخَتْها تعاليمُ المسيح، بل بأنّ هذا المسيح أتى خِصّيصاً ليبدّل عهداً قديماً بعهد جديد، وأذعن الاثنا عشر لبولس مرة أخرى[2]، فتقبّلوا فِكْرة إعفاء الأتْباع الجدد في ديار الوثنية من أحكام شريعة اليهود، وكان المعنى الضمني لهذا الإجراء: التفرقة بين المسيحية واليهودية ودفْع الأولى إلى أنْ تصبح ديناً متميزاً، وصارت هذه النتيجة أمراً

---

(١) انظر: الفكر اللاهوتي في رسائل الرسول بولس للدكتور القس فهيم عزيز ص ١٠٦.

(٢) لا دليل على إذعان الحواريين لبولس، بل الأدلة صريحة في رفضهم له ولدينه الجديد كاملاً، وهو حسب قولـه (كـما مرّ في الفصل الأول) لم يلتق إلا باثنين أو ثلاثة منهم، وإذا كان التلاميذ يعارضونه بشدة حتى كثرت شكواه منهم، فلا شك أن معارضة الحواريين له أشد.

محتمـاً بفضـل نظريات بولس في المسيحية، تلك النـظريات المتأثـرة بالفكـر الهيلينستي، والتي غيرت تغييراً عميقـاً من تصـوير الحـواريين الاثني عشـر لعيسى ولحياته وموته»[1].

وقد عزا شارل جنيبير مغايرة مفاهيم بولس عن عيسى لمفاهيم الحواريين، لأنّ بولس لم يتلقَّ مفاهيمَه منهم، فمفهوم (ابن الانسان) الذي يؤْمن به الحواريّون غير موجـود لدى بولس، والمسيح في نظره هو (ابن الله)، وموْت عيسى ليس بالتضحية التكفيرية عند الحواريين، وهو في نظر بولس مات من أجل خطايا البشر، ونقل بولس صورة الإيمان ببشرية عيسى وتعاليمه إلى صورة التعبّد له وكأنّ (يَهْوَهْ) قد تنازل عن سلطاته لصالح عيسى، وهي كلها مفاهيم غريبة، ولا ذِكْرَ لها عند مجتمع الحواريين، كما كانت مفاهيمهم عن عيسى غريبة أو مجهولة أو غير ذات شأن لدى (الحواري المرسَل إلى المشركين)[2].

وبعـد بيان هذا التفـاوت الكبير بين مفـاهيم بولس عن عيسى وبين مفـاهيم الحواريين عنه، أقول: إنّ بولس كان معذوراً في عدم إشارته لحياة عيسى الأرضية الملموسة المتناسقة مع مفاهيم الحواريين عنه، لأنّ في الإشارة إليها نسفاً لعقائد بولس جميعها، وبالتالي ينهدم الأساس غير الملموس الذي بنى عليه دينه الجديد، وتضيع جهوده سدى، ولذلك كان إغفاله لتلك الحياة الواقعية أمراً مقصوداً له.

ثم إنّ بولس لم يكنْ يعنيه إرضـاء الحـواريين والتـلاميذ، ولا مطابقة تعليمه لتعليمهم، إنّ الشيء الوحيد الذي كان يهمّه في هذا الأمر هو إرضاء الوثنيين ونيل مودتهم وكسْبهم إلى جانبـه ، ولذلك أظهر مفاهيمه عن عيسى بصورة مطابقة تماماً لمفـاهيم الوثنية الرومانية والفلسفة اليونانية في موضوع الألوهية، واستعار منها فكرة

---

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٠٤.
(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها ص ٩١-٩٢.

اتصــال الإلــه بالأرض عن طريق ابنه، واقتبس منها الطقوس الوثنية، فَضَمِن بذلك شيئين وهما: عدم نفور الوثنيين من ديانته، وعدم ذوبانها في اليهودية، فألغى جميع شرائع التوراة وطقوسها المتعارضة مع شرائع وطقوس الوثنيين، فلما رأى الوثنيين لا يختتنون ألغى الختان الذي أمر الله به وشدّد في طلبه[1]، والمسيح نفسه مختون[2].

ولمّـا رأى بولس أنّ الـوثنيين يأكلون الخنـزير نَسَـخَ حُرْمتَه وسائر المحرمات المنصوص عليها في التوراة لكي لا يضع عليهم أثقالاً تمنعهم من اتّباعه، ولمْ يُبْقِ إلا حرمة الزنا والدم والمخنوق وذبيحة الصنم.

ولمّا رأى بولس أنّ الروم يصلّون للشرق ولا يغتسلون من نجاسة أو جنابة، أباح لهم ذلك في شريعته.

ولمّا رأى أنّ نساءهم يكْرهن اليهود لإباحة شريعتهم للطلاق وتعدد الزوجات حرم الطلاق والتعدد، وصبّ جام غضبه على التوراة وشرائعها.

كل هذه الأعمـال جَعلت خصومه يتّهمونه بمحاولة إرضاء الوثنيين[3]، وفِعْلاً كانت تلك المحـاولـة ناجحـة، فسـاعدت على انتشار دينه في غرب الامبراطورية الرومانية (أي في أوربا) قَبْل البلاد الشرقية التابعة لها (وهي آسيا الصغرى وفلسطين وسائر بلاد الشام).

وبعد وفاة بولس بدأت أفكاره تنتصر، وأخذ أتباعُه يَستبْعِدون الوثائق التي لم تكن موافقة للخطّ البولسي.

---

(١) انظر: سفر التكوين ١٧/٩-١٤.
(٢) انظر: إنجيل لوقا ٢/٢١.
(٣) انظر: رسالته إلى أهل غلاطية ١/١٠، وتفسيرها في تيسير الوسائل ليوسف العلم ص ٣٤٠، وفي طبعة اللاتين ص ٧٢٦.

وهكـذا أصبحت المسيحية بفضـل جهود بولس ديناً متميزاً ومستقلاً، ويدرك أتباعُه تماماً انفصاله عن اليهودية، وبمناداة بولس بعالمية هذا الدين إلى جميع بني الإنسان دون تفْرِقة بين الأجناس ابتعد به كليّاً عن الأفكار التي جاء بها عيسى عليه السلام، ثم طغى سلطان الكنائس الكبرى التي احتشد فيها الوثنيون أتباع بولس على الجماعات الصغيرة التي أسسها الحواريون وأتباعُهم في مصر وفلسطين وسائر بلاد الشام، وكانت مدينة أنطاكية السورية أسبق من غيرها في إطلاق لقب مسيحيين على أتباع الدين الجديد، وساعدت بيئتها على نموّ مفاهيم ألوهية المسيح قَبْل غيرها. ومما ساعـد على التـطور السـريع نحـو تأليهـه رغبة الأتباع الجدد في التخلّص من كلّ خصائص عيسى كنبيّ بشريّ، ليرقوا به إلى مفهوم أعمّ وأوسع وأرفع، وبما أنّ بولس ادّعى عالمية هذا الدين الجديد لذلك أراده أنْ يكون مَرِناً ليستوعب جميعَ النزعات الدينية والشعائر والطقوس الوثنية المنتشرة في أنحاء العالم اليونانيّ والرومانيّ، فأصبح ديناً (تأليفياً) تجتمع فيه سائر العقائد والشعائر الجوهرية النابعة من العواطف الدينية الـوثنية، وبخاصة طقوس العبادات والأسرار اليونانية والشرقية، حتى صارت الديانةُ الحقّةُ لعيسى عليه السلام لا تُلْمَح في هذا التركيب التأليفيّ البشع إلا كعنصر قد تغيّر تغيّراً هائلاً من بين عناصر كثيرة ومعقّدة، ثم عن طريق ظاهرة التشرّب هذه في الدين الجديد استطاعت المسيحية أنْ تَكْسب عطْف العالَم الوثنيّ عندما ظَهَر لهم أنّ ما في هذا الدين من أفكار ومعتقدات ونظريات وطقوس وأسرار وعبادات إنما هي مستعارة من البيئـة الميحـطة: من الوثنية الأوليمبية والأورفية والمذاهب الفلسفية وغيرها من الديانات المختلفة، «ولعلّه من العسير أحياناً أنْ نرجع بالتأكيد في كل لون من ألوان الطقوس المسيحية إلى الأصل الوثني الذي نبع منه، إلا أنه لا مجال للشك في أنّ الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فُرِضت على المسيحية شيئاً فشيئاً حتى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها»[1].

---

(١) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص ١٢٦، وانظر كذلك الصفحات ١١٥-١١٦ و١٢٤-١٢٥.

وتجدر الإشارة هنا إلى أثر الامبراطور قسطنطين عندما أعلن إيمانه بالمسيح، وحاول التقريب بينه وبين آلهة الوثنيين، فأصدر مرسوم ميلانو عام ٣١٣م، ذلك المرسوم الذي أفسح مكاناً لإله المسيحيين (الابن) بيْن سائر الآلهة الوثنية المعترف بهم في الدولة الرومانية، وأراد أَنْ يجعل جميع الأديان متساوية في الدولة على أساس حرية الضمير[(١)].

وبهذا نرى أنّ الحياة الوثنية اليونانية والرومانية كلّها قد لَبست ثوبَ المسيحية، وأَنّ انتصار المسيحية على الوثنية إنما هو انتصار ظاهري، لأنّ العالَم اليونانيّ والروماني طَوَّعَ المسيحيةَ لتطلّعاته وتقاليده في جميع المجالات الفكرية والعقائدية والمادية، وأصبحت عناصر بناء الدين الجديد مأخوذة من العالَم الهيلينستي، إذْ تآلفت فيه التأثيرات اليونانية مع التأثيرات الشرقية في آسيا الصغرى وسوريا وما بين النهرين وإيران ومصر، ولذلك من الطبيعي أنْ تكون بلاد الغرب هي الأرض المُمَهَّدة للفتح لهذا الدين الجديد، بسبب ما كان ينتشر فيها من عبادات وثنية تدين بآلهة الخلاص[(٢)].

وفيما يلي ما قاله شارل جنيبير في خلاصة كتابه: «لكل هذا نستطيع القول - دون أن نُتَّهَمَ بالبحث عن المتناقضات أو السيْر وراء كل غريب من الآراء - بأنّ الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور القديمة قطّ، كما لمْ يَصِلوا إلى إدراكها في العصور اللاحقة، وأنّ الديانة التي أنشؤوها على أساس منها باجتهادهم الخاص، كانت ديانة مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية، ديانة مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكري والروحي، متمشية مع عواطفهم ونزعاتهم، وإنْ صُبَّتْ في قوالب تعبيريّة لا توافقها تمام الموافقة.

والخلاصة: فإنّ الغربيين لمْ يكونوا قطّ مسيحيين في يوم من الأيام»[(٣)].

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٧٢-١٧٣.
(٢) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها لشارل جنيبير ص ١٩٢-١٩٥، وانظر ص ٢٠٤-٢٠٥.
(٣) انظر: كتابه ص ٢٠٩، وهي آخر صفحاته.

انتصار بولس على معارضيه

إنّ القارئ لرسائل بولس يلمح من خلالها شدة المعارضة التى لقيها بولس على يد خصومه في جميع المناطق التي كان يتجوّل فيها لبثّ دعوته الجديدة. وكان بولس يُكْثِر الشكوى من معارضيه ويُصِرّ على براءته من الكذب والغشّ في الدعوة، وفيما يلي الإشارة لبعض المواضع في بيان هذا الأمر:

فهـو يقول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ٢/١٧ «لأَنَّنَا لَسْنَا كَالْكَثِيرِينَ غَاشِّينَ كَلِمَةَ اللهِ لَكِنْ كَمَا مِنْ إِخْلاَصٍ بلْ كَمَا مِنَ اللهِ نَتَكَلَّمُ أَمَامَ اللهِ فِي الْمَسِيحِ».

ونصها في طبعة اللاتين كما يلي: «لَسْنَا كَالْكَثْرَةِ التِي تُتَاجِرُ بِكَلاَمِ اللهِ، بَلْ نَتَكَلَّمُ فِي الْمَسِيحِ كَلاَمَ رِجَالٍ صَادِقِينَ. كَلاَمَ رُسُلِ اللهِ فِي حَضْرَةِ اللهِ».

وذكر يوسف العلم أنّ بعض الكورنثيين انحرفوا عن تعاليم بولس بسبب قدْح خصومه فيه.[1]

ويقول بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس ١١/١٢ و١٣ و٢٢ و٢٣ و٣١: «١٢ - ولَكِنْ مَا أَفْعَلُهُ سَأَفْعَلُهُ لأَقْطَعَ فُرْصَةَ الذِين يُرِيدُونَ فُرْصَةً كَيْ يُوجَدُوا كَمَا نَحْنُ أَيْضاً فِي مَا يَفْتَخِرُونَ بِهِ (١٣) لأَنَّ مِثْلَ هَؤُلاَءِ هُمْ رُسُلٌ كَذَبَةٌ فَعَلَةٌ مَاكِرونَ مُغَيِّرُونَ شِكْلَهُمْ إِلى شِبْهِ رُسُلِ الْمَسِيحِ. (٢٢) أَهُمْ عِبْرَانِيُّونَ فَأَنَا أيضاً. أَهُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ فَأنَا أيضاً. أَهُمْ نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ فَأَنَا أَيْضاً. (٢٣) أَهُمْ خُدَّامُ الْمَسِيحِ. أَقُولُ كَمُخْتَلِّ الْعَقْلِ. فَأَنَا أَفْضَلُ. فِي الأَتْعَابِ أَكْثَرُ. فِي الضَّرَبَاتِ أَوْفَرُ. فِي السُّجُونِ أَكْثَرُ. في الْمِيتَاتِ مِرَاراً كَثِيرةً. (٣١) اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلى الأَبَدِ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَكْذِبُ».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٢٩٩.

ويقـول بولس في رسـالتـه الثانية إلى أهل كورنثوس ١٢/ ١١-١٢ «١١ - قَدْ صِرْتُ غَبِيّاً وَأنَا أفْتَخِرُ. أنْتُمْ ألْزَمْتُمُونِي لأنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أنْ أُمْدَحَ مِنْكُمْ إذْ لَمْ أنْقُصْ شَيْئاً عَنْ فَائِقِي الرُّسُلِ وإنْ كُنْتُ لَسْتُ شَيْئاً (١٢) إنَّ عَلامَاتِ الرَّسُولِ صُنِعَتْ بَيْنَكُمْ فِي كُلِّ صَبْرٍ بآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّاتٍ».

قال يوسف العلم في شرحه للفقرات السابقة: «بعدما انتهى من امتداح نفسه كما رأيت اعتذر عن ذلك وأوجب اللّومَ عليهم لأنهم هم أحْوجوه إلى ذلك بانقيادهم إلى استمـاع الـرسـل الكَـذَبة الذين كانوا يَقْدحون به، فَلِخَوفه عليهم أنْ يضلّوهم لانسلاخهم عنه - كما قال في بدء الأصحاح السابق - رأى أنْ يبين فضائلَه ومحامِدَهُ والأوْحية التي حصلت له كمـا رأيت طمعاً بأنْ يمسّكهم بنفسه ويزهّدهم في الرسل الكَـذَبـة . . . . إنّ الـواجب عليكم أنْ تمـدحوني ضدّ الذين هجوني وقَدَحوا بي، ومديحكم لي صادق لا ريب فيه لأنكم تعرفوني حسناً لأني أبوكم ورسولكم». [1]

ويظهر أنّ المعارضين لبولس كانوا يطالبون بالتمسك بإنجيل المسيح الصحيح الذي هو مخالف في أصله وتعاليمه لرسائل بولس، لذلك ركّز بولس على ذمّ التعاليم المعارضة لتعاليمه، فهو يقول في رسالته إلى أهل غلاطية ١/ ٦ و٧ و٨ و٩ و١١ و١٢ «٦ - إنِّي أتَعَجَّبُ أنكُم تَنْتَقِلُونَ هَكَـذَا سَرِيعاً عَنِ الذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ المَسِيحِ إلَى إنْجِيلٍ آخر (٧) لَيْسَ هُوَ آخَرَ غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزْعِجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أنْ يُحَوّلُوا إنْجِيلَ المَسِيحِ (٨) وَلَكِنْ إنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بغير مَا بَشَّرْنَاكُمْ فَلْيَكُنْ أنَاثِيما (٩) كَمَا سَبَقْنَا فَقُلْنَا أقُولُ الآنَ أيْضاً إنْ كَانَ أحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بغَيْرِ مَا قَبلْتُمْ فَلْيَكُنْ أنَاثِيمَا[2] (١١) وَأعَرِّفُكُمْ أيُّهَا الإخْوَةُ الإنجيلَ الذِي بَشَّرْتُ بِهِ إنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إنْسَانٍ (١٢) لأنِّي لَمْ أقْبَلْهُ مِنْ عِندِ إنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ بَلْ بإعْلاَنِ يَسُوعَ المَسِيحِ».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٢٨.

(٢) كلمة أناثيما: كلمة يونانية معناها: محروم أو ملعون (قاموس الكتاب المقدس ص ١٢٠). وقد وردت هذه الكلمة في طبعة سنة ١٨٢٣م (محروماً)، وفي طبعة سنة ١٨٢٥م وطبعة اللاتين (ملعوناً)، وفي طبعة سنة ١٨٨٢م (مُبْسَلاً).

ونلاحظ من هذه الفقرات أنّ كثيرين كانوا يعلّمون بوجوب الالتزام بالختان وسائر فرائض التوارة، وكلّها معاكسة لتعاليم بولس، وذكر يوسف العلم[1] بأنّ الهراطقة أنفسهم احتجوا بقول بولس في الفقرات السابقة على رفضهم شرائع الكنيسة ونقضهم رسوم المجامع وتحريمهم قبولها؛ لاعتقادهم أنها مخالفة لتعاليم المسيح وتلاميذه، ودافع يوسف العلم عن تعاليم بولس وقال: إنّها ليست مناقضة لتعاليم المسيح، وإنّما هي مفسِّرة وكاشفة عن المعاني الغامضة المتضمّنة في أقوال المسيح، ومثْل أقوال بولس وتعاليمه أيضاً تعاليم الكنائس وتحديدات المجامع، وذكر في شرحه للفقرتين ١١ و١٢ أنّ الرسلَ الكَذَبة كانوا يقولون: إِنّ بولس ليس رسولاً حقيقيّاً فكذّبهم بولس وردَّ عليهم بأنّ الإنجيل الذي تعلّمه لم يأخذه من إنسان، وإنما تلقّاه من يسوع المسيح، وكشفه الله له بالوحي، وهي كما ترى حجّة واهية لا تصلح للردّ على المكذبين لرسالته ووحْيه، ولذلك هاجمهم بولس هجوماً شديداً وسمّاهم رسلاً كَذَبة، وهاجمهم المفسّرون تَبعاً له، ولكنْ ما هو ميزان الصدق والكذب؟ ومَن الذي سمّاهم كذبة غير بولس وأتباعه؟ وما ذلك إلا لأنهم مبشّرون بتعاليم المسيح الصحيحة المخالفة لتعاليم بولس، فسمّاهم كذَبة، وَوَصَفَهم بأقبح الصفات في مواضع يصعب حصرها، وَنَسَبَهم إلى الحسدِ والغَيْرَةِ والرياءِ وعدمِ الإخلاصِ والتظاهرِ بمحبّةِ الناسِ كَذِباً، حتّى إنّ بَرْنابا لَمْ ينْجُ مِن طعْنِه، فهو يقول في رسالته إلى أهل غلاطية ٢/١٣ و٤/١٧ «١٣ـ حتّى إنّ بَرْنابا انقاد أيضاً إلى ريائِهِمْ (١٧) إِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ لَكُمْ عَطْفاً لا خَيْرَ فِيهِ وَبُغْيَتُهُمْ أَنْ يَفْصِلُوكُمْ عَنّي لِتَعْطِفُوا عَلَيْهِمْ»[2].

وهاجم بولسُ معارضيه في رسالته إلى أهل فيلبّي ٣/٢ و١٨ «٢ـ انْظُرُوا الكِلاَبَ انْظُرُوا فَعَلَةَ الشَّرِّ انْظُرُوا القَطْعَ (١٨) لأَنَّ كَثِيرِينَ يَسِيرونَ مِمَّنْ كُنْتُ أَذْكُرُهُمْ لَكُمْ مِرَاراً والآنَ أَذْكُرُهُمْ أَيْضاً بَاكِياً وَهُمْ أَعْدَاءُ صَلِيبِ المَسِيحِ».

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٣٤٠.
(٢) نص فقرتي رسالة غلاطية السابقتين من طبعة اللاتين. وهما بألفاظ متقاربة في باقي الطبعات.

وقد بَيّن يوسف العلم في الشرح[1] أنّ المقصود بالكلاب هم: الهراطقة الذين كانـوا يَسْتهوون المؤمنين إلى حفظ رسوم التوارة كالختان وغيره، وأنّ المراد بالفَعلة الشّريرين هم: الرسل الكذابون الذين كانوا يَجْمعون بين التوراة والإنجيل، وأنّ المراد بالقَـطْع: الختان الذي ما عاد ينفع شيئاً. وعَلّق على الفقرة ١٨ بأنّ إقامة الطقوس القديمة التوراتية تلغي صليب المسيح وتجعل موته باطلاً لا نفع فيه.

قال كلمت: «ومن تزكية الرسول سلوكه ومسعاه يَظْهر أنّ الرسل الكذبة كانوا يغتابونه ويذمّونه لا في تعليمه فقط بل في سيرته أيضاً»[2].

وَذَكرتْ الكاتبة اليزا أفرت في مواضع من كتابها، أنّ المسيحيين الأوائل كانوا متمسّكين بناموس موسى وأنّ بولس كان يسلك بحُرِّيّة مع الإخوة الدُّخَلاء، فلمْ يستطع القادمون من أورشليم احتمال ذلك الجمهور الجديد من الدُّخَلاء دون شرْط الطاعة للشـرائـع النـامـوسية ـ ولم يكنْ فاعل أصليّ في ذلك التغيير إلا شاول الطرسوسي الفرّيسيّ، الذي قاومهم بكل جهده، رغم أنّ كثيرين منهم من الفرّيسيّين ومن أتباع مدرسة غمالائيل أيضاً مِمّن آمنوا بالمسيح وظلّوا مُحامين عن الناموس ـ فقاوموا بولس ونَسَبوا إليه غايات نفسانية، وأنّه متقلّب في تعليمه وأعماله، ونجحوا في مقاومته في بعض المدن، ففي كورنثوس وغلاطية تركه بعض أتباعه وقالوا عنه: إنّه ليس رسولاً لأنه لم يتبع المسيحَ وهو على الأرض، وأنّ تعليمه لا يُقْبَل ما لم يطابق تعليمَ الحواريين ورجعوا إلى حفظ الناموس[3].

وفي رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٦/٣ـ٥ يقول له: «٣ ـ إنْ كَانَ أَحَدٌ يُعَلِّمُ تَعْلِيماً آخَرَ وَلاَ يُوَافِقُ كَلِمَاتِ رَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ الصَّحِيحَةَ وَالتَّعْلِيمَ الذِي هوَ حَسَبَ

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٣٦ـ٤٤١.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٤٧٦.

(٣) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ١٠٦ـ١٠٧ وص ٢٣٢ـ٢٣٧.

التَّقْوىَ (٤) فَقَدْ تَصَلَّفَ وَهُوَ لا يفهم شَيْئاً بَلْ هُوَ مُتَعَلِّلٌ بِمُبَاحَثَاتٍ وَمُمَاحَكَاتِ الكَلَامِ الَّتِي مِنْهَا يَحْصُلُ الْحَسَدُ والْخِصَامُ والافْتِرَاءُ والظُّنُونُ الرَّدِيَّةُ (٥) وَمُنَازَعَاتُ أُنَاسٍ فَاسِدِي الذِّهْنِ وَعَادِمِي الحَقِّ يَظُنُّونَ أنَّ التَّقْوَى تِجَارَةٌ. تَجَنَّبْ مِثْلَ هؤُلَاءِ».

فانظر إلى تحذير بولس لِتِيمُوثَاوُس مِن الذين يعلّمون بتعاليم مغايرة لتعاليمه، وكيف نَسَبَ معارضيه إلى الصَّلَفِ وعدمِ الفهْمِ والحسدِ والخصامِ والافتراءِ وسوءِ الظنِّ وفَسادِ الذِّهنِ وانعدامِ الحقِّ والتكسّبِ بالتقْوى وحبِّ الجَدَل، ويُفْهَم من رسائله أيضاً أنّ هؤلاء المعارضين كان لهم تأثير قويّ على الناس بحيث ارتدّ بعض أتْباعه وتركوا تعاليمه، وكان في رسائله يُكْثِر الشكوى من ذلك الارتداد.

فهو يقول في رسالته الثانية إلى تيموثاس ١/ ١٥ «أَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا أنَّ جَمِيعَ الذينَ فِي أَسِيَّا[1] ارْتَدُّوا عَنِّي الذِينَ مِنْهُمْ فِيجَلُّسُ وَهَرْمُوجَانِسُ».

وفي الفقرات ١٦ ـ ١٨ من الأصحاح الثاني شَبَّه سَرَيان تعاليم معارضيه بسَرَيان الأكلة التي تدِبّ من عضو إلى عضو حتى تفسد الجسمَ كلَّه وَيَتَهَرَّى، فقال: «١٦ ـ وَأَمَّا الأَقْوالُ البَاطِلَةُ الدَّنِسَةُ فَاجْتَنِبْها لأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إلى أَكْثَرِ فُجُورٍ (١٧) وَكَلِمَتُهُمْ تَرْعَى كَآكِلَةٍ. الذين مِنْهُمْ هِيمِينَايُسُ وَفِيلِيتُسُ (١٨) اللَّذَانِ زَاغَا عَنِ الْحَقِّ».

قال القديس ايرونيموس: «وهكذا كان أَمْرُ آريوس[2] في الأول فإنه بَرَزَ شرارة

(١) أسيا: هي آسيا الصغرى أو بلاد الأناضول، وهي في غرب تركيا الآن.

(٢) آريوس: هو قسيس الاسكندرية، ولد سنة ٢٨٠م وتوفى سنة ٣٣٦م، وكان يعتقد بوحدانية الله، وأن الله كان موجوداً وحده قبل وجود الابن والروح القدس، ثم خلقهما من العدم، فلا يقارن به أحدهما بوجه من الوجوه. وساد هذا المذهب حتى خيف منه على العقائد البولسية، فعقدت عدة مجامع ضد آريوس، وهي مجمع الاسكندرية سنة ٣٢٠ أو ٣٢١م، ومجمع الاسكندرية سنة ٣٢٤م، وأشهرها مجمع نيقية سنة ٣٢٥م، وهو المجمع المسكوني الأول، وفيه وضع قانون الإيمان ضد تعاليم آريوس، ويسمى قانون الإيمان النيقاوي أو الاثناسيوسي، وقرر المجمع حرمان آريوس، واعتباره مهرطقاً.
(انظر: دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ١/ ٢٢٢، وتاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة للعلامة موسهيم ص ٨٠٠).

ولكنْ لمّا لمْ تُطْفَأْ حالاً امتدت إلى العالم كله»[1].

ويقول بولس أيضاً في رسالته الثانية إلى تيموثاس ٤/١٤ -١٦ «١٤ - إسْكَنْدَرُ النَّحاسُ أَظهر لِي شُرُوراً كَثِيرَةً. لِيُجَازِهِ الرَّبُّ حَسَبَ أعْمَالِهِ (١٥) فَاحْتَفِظْ مِنْهُ أنْتَ أيْضاً لأنَّهُ قَاوَمَ أقْوَالَنَا جِدّاً (١٦) فِي احْتِجَاجِي الأوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أحَدٌ مَعِي بَلِ الجَمِيعُ تركوني».

وكان إسكندر النَّحاسُ يعمل حدّاداً في مدينة أفسس، وكان مدافعاً عن بولس، وهو الذي سكّن الهيجان الذي ثار ضد بولس في أفسس حسب ما في الأصحاح ١٩ من سفر الأعمال، لكنّه لمّا رأى ضلال تعاليم بولس ابتعد عنه وقاومه وعنفه، ولحِقَ بولسَ منه أذىً كثيرٌ.

وفي رسالة بولس إلى تيطس ١/١٠ - ١١ يقول له: «١٠ - فإنَّهُ يُوجَدُ كَثِيرُونَ مُتَمَرِّدِينَ يَتَكَلَّمُونَ بالْبَاطِلِ ويَخْدَعُونَ العُقُولَ وَلاَ سِيَّمَا الذِينَ مِنَ الخِتَانِ (١١) الذِين يَجِبُ سَدُّ أفْوَاهِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَقْلِبُونَ بُيُوتاً بِجُمْلَتِهَا مُعَلِّمِينَ مَا لاَ يَجِبُ مِنْ أجْلِ الرِّبْحِ القَبِيحِ».

وقد علّل يوسف العلم في شرحه[2] سبب قول بولس لذلك بظهور فئة تُعلِّم ضدّ تعاليمه: «الذين لفرط تمسّكهم بالطقوس القديمة يحاولون أنْ يَجْمعوا بيْن اليهودية والنصرانية وبيْن الناموس والإنجيل إذْ يُعَلِّمون أنَّ حِفْظَ الناموس مستلزم لتحصيل البرّ فيوجبون الخِتانَ على الشعوب المرتدّين».

وتقول الكاتبة أليزا افرت في هذا الأمر[3]: «لأنَّه مع أنَّالإخوةالمسيحيين كانوا

---

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٦٦.

(٢) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٩٠.

(٣) انظر كتابها: أجوبة المسؤول عن سيرة بولس الرسول ص ٢٧٧.

أحِبّاءه وُجِد بينهم أناسٌ غيورون للناموس ولم يستحسنوا طريقة تبشير بولس الأمَمَ من جهة حفظ ناموس موسى. وتلك المسألة القديمة الصعبة لم تزل تُتعبهم من بعض الأوجه. وبالحقّ أنّ نفْس الأشخاص الذين أرسلوهم مبشّرين هُم الذين وجدهم بولس يُحْدِثُون قَلَقاً في كنائس غلاطية وكورنثوس».

وأكتفي بما سبق من نُقول لبيان كثْرة المعارضين لبولس في دعوته وتعليمه، ولكن كيف استطاع أنْ يتغلب على تيار المعارضة؟ وما هي الخطة التي سلكها في تحقيق مراده؟

١ ـ فمن أجْل أنّ يتفادى بولس غَضَبَ الحُكّام الوثنيين وسخطهم حَثّ على طاعتهم طاعة مطْلَقة عمياء، ذكر ذلك في رسالته إلى أهل رومية ١٣/ ١ ـ ٧ وأقتطف بعض فقراتها:

«١ ـ لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلَاطِينِ الفَائِقَةِ. لأنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إلَّا مِنَ الله والسَّلَاطِينُ الكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ الله (٢) حتَّى إنَّ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ الله وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لأنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً (٧)فَأَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمْ. الجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الجِزْيَةُ. الجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الجِبَايَةُ. والْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. والإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ».

ذَكر يوسف العلم في شرحه[1] أنَّ اليهود كانوا يفتخرون بأنهم أحرار وأنهم شعب الله المختار، ويَكْرهون الوثنيين، ولا يُطِيعون الملوكَ الأجانب، ويَرفضون أداءَ الجزْية لهم، فَدَفَعَ بولسُ غرورهم وردّهم عمّا ذهبوا إليه، وبيّن أنّ ديانته موافقة لكلّ سُلْطة وولاية، وَأَمَرَ أتْباعه بالطاعة لكل ذي سلطة وولاية أيًّا كان.

٢ ـ حاول بولس أنْ يُوهِمَ أنّ تعاليمه بوحْي من الله وليست من ابتداعه، ولا بَنَى

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٠٦.

على أساس لغيره، فهو يقول في رسالته لأهل رومية ١٥/ ٢٠ «وَلَكِنْ كُنْتُ مُحْتَرِصاً أنْ أُبَشِّرَ هكَذَا. لَيْسَ حَيْثُ سُمِّيَ المَسِيحُ لِئَلَّا أَبْنِيَ عَلَى أَسَاسٍ لآخَرَ».

ونصها في طبعة اللاتين: «وَحَرِصْتُ ألَّا أَبَشِّرَ إلَّا حَيْثُ لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ المسِيحِ لِئَلَّا أَبْنِيَ عَلَى أَسَاسِ غَيْرِي».

ويقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ٣/ ١٠ - ١١ «١٠ - حَسَبَ نِعْمَةِ الله المُعْطَاةِ لِي كَبَنَّاءٍ حَكِيمٍ قَدْ وَضَعْتُ أَسَاساً وَآخَرُ يَبْنِي عَلَيْهِ. وَلَكِنْ فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ (١١) فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الذِي وُضِعَ الذِي هُوَ يَسُوعُ المَسِيحُ».

قال القديس أنسلموس وغريغوريوس في هذه الفقرة: «إنّ أساسَ الكنيسةِ وأساسَ كُلِّ مؤمن فيها إنّما هو يسوع المسيح، أي الإيمان بالمسيحِ المخلِّص، وعلى هذا المعنى يكون المسيحُ وحده أساسَ الكنيسة، فهو الأساس القائم بنفسه المُسنِد كلّ البِناء»(١).

فانظر كيف ركّز بولس على قضية الأساس الذي بَنى عليه وهو المسيح، وكأنّه يريد بذلك أنْ ينفي وجود شخص نبيّ بعد المسيح من جانب، ومن جانب آخر يريد أنْ ينفي كلَّ تعليم غير تعليمه هو نفسه، ويبيّن أنّ كلَّ أعماله وأقواله وتنقلاته بوحي من الله، فلا مجال لأحدٍ من مخالفيه أنْ يَعترض عليه.

فهو يقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٦/ ٧ «لأنّي لَسْتُ أُرِيدُ الآنَ أنْ أَرَاكُمْ فِي العُبُورِ لأنّي أَرْجُو أنْ أَمْكُثَ عِنْدَكُمْ زَمَاناً إنْ أَذِنَ الرَّبُّ».

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ١٤٨.

ويقول في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي ٢/ ٣ ـ ٥ «٣ـ لأنَّ وَعْظَنَا لَيْسَ عَنْ ضَلاَلٍ وَلاَ عَنْ دَنَسٍ وَلاَ بِمَكْرٍ (٤) بَلْ كَمَا اسْتُحْسِنَّا مِنَ الله أنْ نُؤْتَمَنَ عَلَى الإِنْجِيلِ هَكَذَا نَتَكَلَّمُ لاَ كَأَنَّنَا نُرْضِي النَّاسَ بَلِ الله الذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا (٥) فإِنَّنَا لَمْ نَكُنْ قطُّ فِي كَلاَمِ تَمَلُّقٍ كَمَا تَعْلَمُونَ وَلاَ فِي عِلَّةِ طَمَعٍ . الله شَاهِدٌ».

وفي رسـالتـه الأولى إلى تيمـوثاوس ١/ ١ ـ ١٢ يركّز بولس على أنّه رسولٌ، ويُحذِّره من التعاليم المخالفة لتعليمه ويتهجّم على الناموس ويفتخر بأنه مؤتَمن على الإنجيل، وأقتطف بعض فقراته:

«١ ـ بُولُسُ رَسُولُ يَسُوعَ المَسِيحِ بِحَسَبِ أمْرِ الله مُخَلِّصِنَا وَرَبِّنَا يَسُوعَ المَسِيحِ رَجَائِنَا (٣) كَمَا طَلَبْتُ إِلَيْكَ أنْ تَمْكُثَ فِي أفَسُسَ إِذْ كُنْتُ أنَا ذَاهِباً إلى مَكِدُونِيَّةَ لِكَيْ تُوصِيَ قَوْماً أنْ لاَ يُعَلِّمُوا تَعْلِيماً آخَرَ (٤) وَلاَ يُصْغُوا إِلَى خُرَافَاتٍ وَأَنْسَابٍ لاَ حَدَّ لَهَا تُسَبِّبُ مُبَاحَثَاتٍ دُونَ بُنْيَانِ الله الذِي فِي الإِيمَانِ (٧) يُرِيدُونَ أنْ يَكُونُوا مُعَلِّمِي النَّامُوسِ وَهُمْ لاَ يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ وَلاَ مَا يُقَرِّرُونَهُ (١٠) . . . . . وَإِنْ كَانَ شَيْءٌ آخَرُ يُقَاوِمُ التَّعْلِيمَ الصَّحِيحَ (١١) حَسَبَ إِنْجِيلِ مَجْدِ الله المُبَارَكِ الذِي أُؤْتُمِنْتُ أنَا عَلَيْهِ (١٢) وَأنَا أشْكُرُ المَسِيحَ يَسُوعَ رَبَّنَا الذِي قَوَّانِي إِنَّهُ حَسَبَنِي أمِيناً إِذْ جَعَلَنِي لِلْخِدْمَةِ».

ويقـول في رسـالتـه إلى تيطس ١/ ٣ «وَإِنَّمَا أظْهَرَ كَلِمَتَهُ فِي أوْقَاتِهَا الخَاصَّةِ بِالْكِرَازَةِ التِي أُؤْتُمِنْتُ أنَا عَلَيْهَا بِحَسَبِ أمْرِ مُخَلِّصِنَا الله».

فانظر كيف ركز بولس على أنّ رسالته شرعية عن أمْرِ الله وابنِه يسوع المسيح، ثم طلب من تيموثاوس أنْ يردع قوماً يُعلِّمون بتعليم مغاير لتعليمه أو يباحثون أتباعه في عِلْم الناموس وأحكامه؛ فإنّ المسيح هو الذي أقام بولسَ رسولاً بعد أنْ كان خاطئاً وأخبره بالوحي إليه أنّ قوماً سيرْتدُّون. وهذا من لطيف خداعِهِ وتحيّله حتى يُظْهِرَ لأتْباعه أنّ تعـاليمـه أُلقيت إليه وحْياً، وأنـه أخبـرهم من قبل بوجود المرتدّين الذين يقولون بالكـذب والرياء، فهو يقول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ٤/ ١ ـ ٢ «١ ـ وَلَكِنَّ الرُّوحِ يَقُولُ صَرِيحاً إنَّهُ فِي الأزْمِنَةِ الأخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ تَابِعِينَ أرْوَاحاً مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ (٢) فِي رِيَاءِ أقْوالٍ كَاذِبَةٍ مَوْسُومَةً ضَمَائِرُهُمْ».

ولهذا لابدّ أنْ يُظْهِرَ بولسُ ثقتَه بتعاليمه واعتزازه بها، ويكون جريئاً في إعلانها، ويؤكّد على أتْباعه ضرورةَ نشرِها وعدم الخوف والرِّيبَةِ من ضدّها، ففي رسالته الثانية إلى تيموثاوس ٢/٢ و١٤/٣ و١٦ «٢ - وَمَا سَمِعْتَهُ مِنّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ أَوْدِعْهُ أُنَاساً أُمَنَاءَ يَكُونُونَ أَكْفَاءَ أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضاً (١٤) وأمَّا أَنْتَ فاثْبُتْ عَلَى مَا تَعَلَّمْتَ وأيْقَنْتَ عَارِفاً مِمَّنْ تَعَلَّمْتَ (١٦) كُلُّ الكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ والتَّوْبِيخِ لِلتَّقْوِيمِ والتَّأْدِيبِ الذِي فِي البِرِّ».

وأكتفي بنقل تعليق يوسف العلم على الفقرة الأخيرة، إذْ يقول في شرحه[1]: «من هنا يظهر أن الكِتاب المقدّس كُتِب بتلقين الروح القدس وإرشاده».

٣ - سلك بولس أُسلوب الكذب والنفاق والاحتيال لاجتذاب الأتْباع، ولم يتورع عن إيذاء خصومه، وهو يعترف بأنه كان يتلوّن طمعاً في كسب الأتباع، فهو يقول في رسالته إلى أهل روما ٧/٣ «فإنَّهُ إنْ كَانَ صِدْقُ اللهِ قَدِ ازْدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ فَلِمَاذَا أُدَانُ أنا بَعْدُ كَخَاطِئٍ؟».

ونصها في طبعة سنة ١٨٢٥م كما يلي: «٧ - فإنِ ازْدادَ صِدْقُ اللهِ بِكَذِبِي لِجَلاَلِهِ لِمَاذَا أُدَانُ أنَا كَمَا يُدَانُ المُذْنِبُ (٨) وَلِمَ لاَ نَفْعَلُ السَّيِّئَاتِ حتَّى تَأْتِيَ الحَسَنَاتُ».

وفي طبعة اللاتين كما يلي: «٧ - وَلَكِنْ إذَا كَانَ كَذِبِي يَزِيدُ ظُهُورَ صِدْقِ اللهِ مِنْ أجْلِ مَجْدِهِ فَلِمَاذَا يُحْكَمُ عَلَيَّ كَمَا يُحْكَمُ عَلَى الخَاطِئِ (٨) وَلِمَاذَا لاَ نَفْعَلُ الشَّرَّ لِكَيْ يأْتِيَ مِنْهُ الخَيْرُ؟».

ويقول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٩/٩ - ٢٢ و٣٣/١٠ «١٩ - فإنِّي إذْ كُنْتُ حُرّاً مِنَ الجَمِيعِ اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأرْبَحَ الأكْثَرِينَ (٢٠) فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأرْبَحَ اليَهُودَ. ولِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأرْبَحَ الذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ (٢١) وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأنِّي بِلاَ نَامُوسٍ. مَعَ أنِّي لَسْتُ بلا

(١) انظر: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل ص ٥٧٥-٥٧٦.

نَامُوسٍ لِلّهِ بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ . لأَرْبَحَ الذينَ بِلاَ نَامُوسٍ (٢٢) صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ . صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلَّ شَيْءٍ لأُخَلِّصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْماً (٣٣) كَمَا أَنَا أَيْضاً أُرْضِي الجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ طَالِبٍ مَا يُوافِق نَفْسِي بَلِ الكَثِيرِينَ لِكَيْ يَخْلُصُوا» .

وقد اعترف بولس بما لَحِقَ أتْباعَه من الأذى غير أنّه شبههم في ذلك بالمؤمنين بالمسيح الـذين احتملوا الأذى من يهود فلسطين، فقال في رسالته الأولى إلى أهل تسالـونيكي ٢/١٤ «فـإنَّكُمْ أيُّهَا الإخْوَةُ صِرْتُمْ مُتَمَثِّلِينَ بِكَنَائِسِ الله التِي هِيَ فِي اليَهُودِيَّةِ[1] فِي المَسِيحِ يَسُوعَ لأنَّكُمْ تَألَّمْتُمْ أنْتُمْ أيْضاً مِنْ أهْلِ عَشِيرَتِكُمْ تِلْكَ الآلاَمَ عَيْنَهَا كَمَا هُمْ أيْضاً مِنَ اليَهُودِ» .

وقد دامت المعركة بيْن الموحّدين أتباع المسيح عليه السلام وبيْن أتباع بولس طيلة أكثر من قرن من الزمان، ولمْ يَرْضَ الموحدون التنازل عن عقيدتهم في التوحيد ولا عن شريعة التوراة، وهذا التمسّك وعدم التنازل ميّزهم عن اليهود، وبخاصة عندما رأى الناسُ أنهم مع التزامهم بشريعة موسى لا يُوجَد عندهم تعصب وحقد كتعصّب اليهود وحقدهم، ويضاف إلى ذلك أنهم أقَلّ تمسّكاً بالدنيا وماديّاتها من اليهود، ولم يَخْفَ خَطَرُهم على أحبار اليهود المنكرين لعيسى ورسالته، فاضطهدوهم، وشوّهوا سمْعتهم، وهم في نظرهم أتبـاع متنبىءٍ كذّاب وسـاحـر وابن زانية (وحـاشاهما). واضـطهدهم الوثنيون لأنهم متمسّكون بشريعة التوراة، فظنّوا أنّهم على دين اليهود العنصريّ، وكان الوثنيون يحتقرون اليهود أساساً. واضطهدهم أتباع بولس لمخالفتهم تعاليمه وتكذيبهم لرسالته. ولا شكّ أنه في مثل هذه الظروف سيكون النجاح والفوز كلّه حليف أتباع بولس المتحلّلين من شريعة التوراة ومحرّماتها، ولا ضرر منهم على اليهود، لأنّ اليهود قوم عنصريون متعصّبون حاقدون على غيرهم، ويكفيهم مكْسباً أنهم حاربوا دعوةَ عيسى ودِينَه الصحيح بمثل هؤلاء الوثنيين والأتْباع الجدد لبولس،

---

(١) اليهودية: اسم القسم الجنوبي من فلسطين وتقع فيه أورشليم، وقد يطلق على فلسطين كلها. (انظر قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٥).

ويكفي بولس مكسباً أيضاً أنّه استطاع إقناع أتباعه بأنّه نَسَخَ شريعةَ التوراة وحلّلهم من جميع محرّماتها، وأنّه جلب الاضطهاد اليهوديّ والوثنيّ على أولئك الموحّدين، فضعف جانبهم وقويت شوكة أتباعه الذين لم يكتفوا بالقضاء على الموحدين بأعيانهم، بل قضوا على كتاباتهم أيضاً، وحرّموا قراءتها، وسيطرت على الساحة الفكرية والعقائدية كتاباتُ بولس وأتباعه، أوْ ما استطاعوا تحريفه من الكتابات الأخرى عند الترجمة إلى لغات الأمم الوثنية.

وأختم هذا الفصل بتلخيص ما كتبه الدكتور موريس بوكاي في كتابه (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) تحت عنوان اليهودية المسيحية وبولس)[1]، ويقصد باليهودية المسيحية ما كان عليه المسيحُ وحواريّوه وأتباعُهم، فَذَكَرَ المؤلِّفُ أنه بيْن اللحظة التي غادر فيها المسيحُ هذه الأرض وحتى منتصف القرن الثاني - أي طيلة أكثر من قرن - كانت هناك معركة بين اتجاهين: بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البولسية، وبين المسيحية اليهودية، ولم يحلَّ الاتجاهُ الأول محلَّ الاتجاه الثاني، ولم تنتصر البولسية على اليهودية المسيحية إلا بشكل تدرّجي، ثم ذَكَرَ المؤلِّفُ تلخيصاً للمقال الذي نشره الكاردينال دانيلو في ديسمبر عام ١٩٦٧م بمجلة (دراسات) وعنوانه (رؤية جديدة للأصول المسيحية والمسيحية اليهودية)، وأنا بدَوْري أُلخِّصُ هذا المقال، مع المحافظة التامة على نص عبارته الأصلية بألفاظها، فيذكر الدكتور موريس بوكاي في تلخيصه له ما يلي:

«كَوَّنَتْ «مجموعةُ الحواريينَ الصغيرةُ بعد المسيح طائفةً يهودِيَّةً تمارس ديانةَ المعْبَدِ وتحفظ تعاليمها. ومع ذلك فعندما تَنْضمّ إليها طائفةُ الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم - إنْ جَازَ القول - نظاماً خاصّاً: إذْ يُحلّهم مجمعُ القدس المَسْكوني (٤٩م) من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية، وَرَفَضَ كثيرٌ من اليهود المسيحيين هذا التنازل. وانفصلت هذه المجموعة تماماً عن بولس. بل أكثر من ذلك فقد اصطدم

---

(١) انظر: ص ٧٠-٧٤ من كتابه.

بولس واليهودُ المسيحيون بسبب الذين أتوا إلى المسيحية (أحداث أنطاكية عام ٤٩م)، فالطهارةُ ومراعاةُ الراحةِ يوم السبت وديانةُ المعْبدِ كانت أموراً باليةً في نظر بولس، حتى بالنسبة لليهود أنفسهم. فيجب على المسيحية أنْ تتحرر من انتمائها السياسي والديني إلى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود.

أمّا اليهود المسيحيون الذين ظلوا (يهوداً مخلصين) فإنهم يعتبرون بولس كخائن: وتصِفه وثائقُ يهودية مسيحية (بالعدو) وتتهمه (بتواطؤ تكتيكي) ولكنّ اليهوديةَ المسيحيةَ كانت تُمثل حتى عام ٧٠م غالبية الكنيسة وكان بولس منعزلاً في ذلك الوقت.

لم تكن اليهوديةُ المسيحيةُ سائدةً فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة. فقد تطورت البعثةُ اليهوديةُ المسيحيةُ ـ فيما يبدو ـ في كل مكان قَبل البعثة البولسية. وذلك هو ما يوضح الإشارة الدئمة في رسائل بولس إلى صراع ما. إنهم نفس الأعداء الذين قابلهم حيثما ذهب، بغلاطية وكورنثوس وكولوسي وروما وأنطاكية.

كان الساحلُ السوري الفلسطيني، من غزة إلى أنطاكية يهودياً مسيحياً ـ كما تشهد بذلك أعمال الرسل والكتابات الكليمنتية[1]-وفي آسيا الصغرى فوجود اليهود المسيحيين تشهد به رسائل بولس إلى الغلاطيين والكولوسيين، أمّا كتابات بانياس فهي تعطي معلوماتٍ عن اليهودية المسيحية بفريجيا، وفيما يخص اليونان فتذكر رسالةُ بولس الأولى إلى أهل كورنثوس اليهودَ المسيحيين وبابوللوس على وجه خاص، وتعدّ روما مركزاً هاماً حسب رسالة كليمنت وراعي هرمياس، ويرى سويتون Sue'tone وتاسيت Tacite أن المسيحيين يُشكّلون طائفة يهودية.

إنّ معرفة هذه الوقائع أَمْرٌ رئيسي حتى نفهم في أيّ جوّ من الصراع بين الجماعات حُرِّرت الأناجيل، إن خروج النصوص التي نملكها اليوم إلى النور قد بدأ

---

(١) نسبة إلى كليمنت الإسكندري.

في عام ٧٠م، بعد تعديلات في المصادر، وهي الفترة التي كانت الجماعتان المتنافستان في أوج صراعهما وكانت السيادة في ذلك الوضع لليهود المسيحيين، ولكنّ الموقف انقلب تماماً بسبب حرب السبعين وسقوط القدس، ويشرح الكاردينال دانيلو أسباب الانهيار كما يلي: (لمّا كان اليهود منبوذين في الامبراطورية فقد نحا المسيحيون إلى الانفصال عنهم، عندئذ ساد المسيحيون الهللينستكيون: لقد حاز بولس على النصر بعد وفاته. بهذا انفصلت المسيحية اجتماعيّاً وسياسيّاً عن اليهودية لتُكوِّن ما يُعرف بالشعب الثالث، برغم ذلك وحتى آخر التمرد اليهودي عام ١٤٠م كانت اليهودية المسيحية سائدة ثقافيّاً).

ومن عام ٧٠م وحتى فترة تُحدَّد بما قبل عام ١١٠م نتجت أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا. ولا تُشَكِّل هذه الأناجيل أُولى الوثائق الثابتة في المسيحية: فرسائل بولس سابقة عليها. وفي رأي ا. كولمان O. Culmann أنّ بولس قد كتب عام ٥٠م رسالته إلى أهل تسالونيكي. ولكنْ لا شكّ أنه كان قد مات منذ عدة سنوات عندما انتهى إنجيل مرقس.[1]

وإذا كان بولسُ أكثر وجوهِ المسيحية موضعاً للنقاش؛ وإذا كان قد اعتُبِر خائناً لفكْر المسيح، كما وصفتْه بذلك أُسرةُ المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول جاك Jacques، فذلك لأنه قد كَوَّن المسيحيةَ على حساب هؤلاء الذين جَمَعهم المسيحُ من حوله لنشر تعاليمه. ولمّا لم يكن قد عَرف المسيحَ في حياته فقد برّر شرعية رسالته بأنْ أكّد أنّ المسيح بعد قيامتِه قد ظهر له على طريق دمشق. ومن المسموح به أنْ نتساءل ما كان يمْكن للمسيحية أنْ تكون عليه دون بولس، ونستطيع في هذا المقام أنْ نُقِيم افتراضاتٍ كثيرة. ولكنْ فيما يخصّ الأناجيل، فليست هناك مجازفة كبيرة في أنه لولا جوّ الصراع بين الطوائف التي وُلِدَتْ بسبب انشقاق بولس، لَمَا حصَلْنا على

---

(١) أي مات بولس قبل كتابة إنجيل مرقس، وهو بالإجماع مكتوب قبل إنجيل متى ويوحنا.

الكتـابـات التي في حوزتنـا اليوم، إنّ هذه الكتابات (الخصاميّة) كما يصفها الأب كانينجسر، قد ظهرت في فترة صراع حادٍّ بين الطائفتين، وانبعثت مِن حَشْدِ كتابات عن المسيح ، ففي هذا العصر شَكّلت المسيحيةُ البولسية بعد نصْرِها النهائي مجموعةَ نصوصِها الرسمية أيْ (القانون) Canon الذي يسْتبعِد كلَّ الوثائق الأخرى التي لم تكن توافق الخط الذي اختارته الكنيسة ويعُدّها معاكسة للأورثوذكسية» .

الخـــاتمـة

وفيها: أ ـ خلاصة البحث. ب ـ نتائج البحث.

أ ـ خلاصة البحث:

١ ـ أنّ شاول بولس طرسـوسيّ المولد والنشأة، يهوديّ الدين، فرّيسيّ المذهب، رومانيّ الجنسية، أتقن اللغتين العبرانية واليونانية، وتربّى على حفظ الطقوس اليهودية وتقاليدها بكل تدقيق، وتعلّم فنون الحِجَاج والجدال، وامتاز بالبصيرة النافذة، وبالدهاء الشديد في اقتباس الأقوال من الكتب المقدسة، والمحاماة عنها بصرامة شديدة.

٢ ـ أنّ الحياة الدينية في بلاد الرومان واليونان في زمن شاول بولس كانت وثنية تدين بتعدد الآلهة، و أنّ تلك الآلهة امتزجت وتداخلت، ونشأ بينها تشابه كبير في العقـائـد والأسـاطير والـطقـوس المقـدَّمة لها، وعُرِف ذلك في تاريخ الأديان بـ (التأليف الديني الشرقي). مثل التشابه في الخطوات التي يسيرها الإله الوثني في مخيلة عابديه للقيام بدَوْره كمنقِذ إلهي، وهي: عذابه ثم موته، ثم تغلّبه على العذاب وعلى الموت، وبْعثُه من جديد؛ لينجو أتباعُه ويخلدوا بمشاركته لهم في ظروفهم الإنسانية.

٣ ـ أنّ شاول بولس لم يَرَ المسيح عليه السلام، وكان كافراً به، ومنْكِراً لرسالته وممتلئاً حقـداً وغيظاً عليه وعلى أتباعه، ويَعُدّهم طائفة جديدة يفسدون معنى الكتب المقدسة، ويبشرون بتعاليم تشكّل خطراً دينياً وسياسياً على اليهود، وكان حنقه يزداد كلما ازداد عددهم وقويت شوكتهم، فأوجب استحقاقهم للإبادة، فَلاَحَقَهم وعـذّبهم تعـذيبـاً شديداً، ولشـدة بطْشه بهم عُدَّ رئيس المضطهدين لهم في

فلسطين، ثم حَمَلَ رسائل من رئيس كهنة أورشليم وذهب إلى دمشق ليوثق أتباع المسيح عليه السلام، ويسوقهم إلى أورشليم للسجن والتعذيب.

٤ - أنّ شاول بولس تحول ظاهرياً إلى صفّ أتباع المسيح عليه السلام، فادّعى أنه تنصّر في طريقه إلى دمشق، فزعم أنه أبرق حوله نور عظيم أسقطه على الأرض، فكلّمه شخص من وسط النور قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهدني؟ ثمّ لمّا استفسر عن شخصية القائل أخبره بأنه يسوع وأنه اختاره رسولاً للأمم، ولمّا كان بصره قد ذهب من شدة النور اقتاده رفقاؤه إلى دمشق، وفيها أبصر على يد حنانيا، وللوقت جعل يَكْرِز في المجامع بأنّ المسيح هو ابن الله، وغيّر اسمه العبراني (شاول) وتسمى باسم جديد يوناني (بولس)، ولم يستعمل في جميع رسائله بعد ذلك إلا اسمه الجديد اليوناني.

٥ - أنّ علماء النصارى المحققين شاكّون في قصة رؤيا بولس، ولهم عدة نظريات في بيان سبب تنصّر بولس المفاجىء، كنظرية الصراع النفسي، ونظرية التقليد النبوي، ونظرية التعصب الفرّيسيّ، ويمكن الجمع بين هذه النظريات الثلاث، وهي لا تنفي بل تؤيد أنّ ذلك التحوّل المفاجىء كان خطة مُحْكَمة من قبْل، ليستطيع ترويج أفكاره وعقائده، ومحاربة عقائد خصومه بحرّية تامة، وجَراءة كبيرة.

٦ - أنّ قصة رؤيا شاول بولس على طريق دمشق لم تَسْلم من النقد، وفيها اختلاف، وعليها اعتراضات، منها: عدم تحديد بولس لمكان الرؤيا، وعدم استشهاده مرافقيه الذين شاهدوا الحادثة ضدّ خصومه المكذبين له، ولم يَذْكر اسم أحد منهم، ثم إنّ سفر أعمال الرسل ورسائل بولس نفسه ساكتة عن مصير هؤلاء

المرافقين بعد وصولهم إلى دمشق، فهل أثبتوا الرؤيا وصدّقوها وآمنوا برسالته أمْ نفوا الرؤيا وكذّبوها وكفروا برسالته؟ وكيف يُعْقَل إجماعهم على السكوت عمّا شاهدوه من عجائب وقعت لشخص مشهور جدّاً بخصومته الشديدة لأتباع المسيح، ثم فجأة يتحول إلى صفّهم ويدّعي الرسالة إليهم؟ وبخاصة أنه تعرّض في دمشق لمحاولة قتله؟!.

٧ ـ أنّ بولس بدأ ينادي ببنوّة المسيح لله بعد هذه الرؤيا المزعومة مباشرة، ولمّا خاف على نفسه أنْ يُقتل في دمشق هرب إلى العربية ومكث فيها ثلاث سنين يدْرس ويتأمل، فوضع قواعد وأسس دينه الجديد، وأحْكم خطته لإفساد دين المسيّح عليه السلام، ثم عاد من العربية إلى أورشليم لعرْض أسس دينه وعقائده على الحواريين والتلاميذ، لكنّه لم يلْقَ في مجتمعهم سوى نظرات الحذر والتشكك، وحتى يقطع الطريق على سائليه عن هذا التعليم الجديد زعم أنه تلقّاه من المسيح مباشرة بلا وساطة، فهو وحي ولم يتعلّمه مِن إنسان قط، وبهذا رفع نفسه إلى مرتبة تفوق مرتبة الحواريين الذين صَحِبوا المسيحَ طيلة حياته، وَصَرَفَ الأنظار عن الفجوة الواسعة بينه وبين المسيح الذي لم يره ولم يسمع منه في حياته قط، وتعرّض أيضاً لمحاولة قتل في أورشليم، ففرّ منها إلى مسقط رأسه طرسوس، وزعم أنّ خروجه كان بأمر الربِّ ليرسله رسولاً إلى الأمم البعيدة.

٨ ـ أنّ الحواريين في فلسطين لمّا سمعوا بإصرار بولس على نشر عقائد دينه الجديد المخالفة لِمَا جاء به عيسى عليه السلام، أرسلوا بَرْنابا القبرصيّ ليتحقق لهم الخبر في أمره، ولكنّ سفر أعمال الرسل أظهر موافقة بَرْنابا لبولس في الدعوة الجديدة، ومتابعته له فيها، والواقع أنّ بَرْنابا كان يترأس تيار المعارضة لبولس، بدليل افتراقهما وشكْوى بولس منه في رسائله، وتحذير برْنابا من بولس الضالّ، ومن أجْل بيان ضلاله سطّر إنجيلهُ لبيان الحق الذي رآه وسمعه من يسوع أثناء

معاشرته. ولذلك كان أول إطلاق لكلمة مسيحيين على أتباع كنيسة أنطاكية التي كانت مركز النشاط البولسيّ، وربما أَطلق هذا الاسم عليهم بولسُ نفسُه ليميزهم عن معارضيه، وربما أطلقه عليهم الوثنيون.

٩ ـ أنّ الحواريين وتلاميذ المسيح عليه السلام المنتشرين في أنحاء سورية وفلسطين كانوا يعلّمون بوجوب طاعة الناموس الموسوي والالتزام بجميع أحكامه، كمسألة الختان واللحوم والغسل وغيرها، وبما أنّ ذلك ينقض تعليم بولس من أساسه قرر الذهاب إلى أورشليم لفصْل مسألة الختان مع الحواريين، ولكنْ سياق ماحصل في المجمع الأورشليمي يجلب الشكّ في حصوله أساساً، فلم يذكر لنا من حُضّاره سوى بطرس ويعقوب وبولس وبَرْنابا، ولم يذكر من مجريات الحديث سوى كلام قصير لبطرس ويعقوب، وكان دور بولس وبَرنابا فيه مُغفَلاً، وهو أمر غير معقول، ثم إنّ بولس شهد في رسائله بتمسك بطرس بالناموس بعد هذا المجمع، وذَمَّه على ذلك ذمّاً كثيراً، وكان بَرْنابا قد خاصمه وفارقه بعد وصولهما إلى أنطاكية مباشرة، وافترقا إلى غير لقاء، ويُفْهم من الأصحاح الثاني من رسالة بولس إلى أهل غلاطية أنّ تمسك بَرْنابا بالختان هو سبب افتراقهما.

١٠ ـ أنّ شاول بولس كان نشيطاً في الدعوة إلى الدين الجديد، ولا يُحِبّ أنْ يعلّم في مكان فيه معلّمون آخرون، ورحل في ذلك ثلاث رحلات دعوية إلى بلاد آسيا الصغرى واليونان، فكان يخطب في مدنها العظيمة ومجامع اليهود الكبيرة، ولقي في ذلك خصومة شديدة، وثارت ضده اضطهادات عظيمة، وكان يركّز في خطبه على بيان أنّ نبي الخلاص الموعود في الكتب السابقة بظهوره آخر الزمان هو عيسى المسيح ابن مريم المسمّى يسوع الناصري، والذي هو الربّ المنجي، وهو نفسه ابن الله الوحيد الذي صُلب ومات ودُفن في القبر وقام من الأموات، فهو المُخلِّص والمَسِيّا المنتظَر من نسل داود، وعليه وحده تنطبق

بشارات الكتب السابقة بالْمَسِيّا الذي ينتظره العالَم كلُّه، وأنّ مَنْ آمن بذلك خلص ونجا ونال غفران الخطايا، ولا تكون النجاة بطاعة الناموس الموسوي.

١١ - أنّ شاول بولس كانت تظهر منه أعمال أثناء رحلاته تدلّ على تمسّكه بالطقوس اليهودية، وتعصّبه لدينه، وكان يُقدِّم نذوراً وذبائح على سُنّة اليهود، وفي آخر حياته دخل أورشليم سِرّاً وعمل فيها أعمال العيد اليهودي، وخرج منها دون أنْ يلتقي بأحد من الحواريين.

١٢ - أنّ شاول بولس حُوكم في روما على أنه من أتباع المسيح عيسى عليه السلام، واختُلِف في ذهابه لإسبانيا بعد محاكمته، ولكنّ الإجماع حاصل على أنه أُعْدِم في روما في عهد الإمبراطور الوثني نيرون سنة ٦٧ أو ٦٨ م، وبعضهم يقول سنة ٦٩م.

انتهت خلاصة الفصل الأول، وفيما يلي خلاصة الفصل الثاني:

١٣ - ادّعى بولس أنه رسول مستقل عن جميع الحواريين وتلاميذ المسيح، وأنّ رسالته عالمية إلى جميع الأمم بلا استثناء، وأنّه عُرِج به إلى السماء الثالثة، وهو لا يَعرِف هل كان عروجه بالروح، أمْ بالروح والجسد؟ وأنه سمع كلمات لا يُنْطَق بها، وأنه لم ينقُص شيئاً عن فائقي الرسل، فهو من كبارهم، وأنه بُلِّغ بالرسالة من المسيح مباشرة بدون وساطة وقتما كان في طريقه إلى دمشق، وأنّ رسالته وعالميتها سِرّ مكتوم منذ الدهور كان خفيّاً على الناس، ولم يتوضح حتى للأنبياء، وهو الذي كشف هذا السِرَّ المكتوم، وأنه هو المؤتمن على إنجيل الله، فأظهره في الأوقات الخاصة، وأنه صادِق في ادعاء الرسالة وعالميتها، وأنه لا يكذب في ذلك.

١٤ ـ أنّ المسيح عيسى هو بِكْر أولاد الله حقاً، وليس معنى ذلك أنه مخلوق مثلهم، بل هو مولود في حضن الآب ولادة طبيعية منذ الأزل، قبل كل الخلائق، فهو البِكْر مَوْلداً، وليس له إخوة يشاركونه في هذه الولادة الطبيعية، فجميع إخوته مخلوقون، أمّا هو فخالق، وهو أيضاً ابن الله بالطبيعة، وأنه أُعِدَّ قَبْل الجميع لهذه البُنوّة، لأنه حلَّ فيه مِلءُ اللاهوت لا حلولاً وقتياً، بل دائماً مخلداً، فالمسيح يُدْعى صورة الله وصورة جوهره لا بحسب ما يُدْعى الإنسان صورة الله بمعنى أنّ الله صوّره وخلقه، بل بحسب كونه مولوداً من الآب ومشخّصاً له بالحقيقة، ولأنّ المسيح إلـه مساوٍ لأبيه في جوهره وطبعه وذاته، وقد صدر منه ضرورة منذ الأزل كصدور الشعاع عن الشمس، فهو صورة أزليته وممثل له، لا تمثيلاً عرضياً خياليّاً، بل ذاتياً حقيقيّاً تامّاً، وأنّ مَنْ يبشّر بالمسيح ابناً لله فهو صادِق، ومن يبشر به غير ذلك فهو كاذب.

١٥ ـ أنّ بولس قرن اسم المسيح عيسى بلفظ الربوبية في ثمانية وتسعين موضعاً من رسائله، أغلبها في الافتتاحيات والخواتيم، ولم يقصد بولس بلفظ الربّ المطلق على عيسى معنى المعلِّم أو السيد أو المربّي، بل قصد به الربّ الخالق الكامل الربوبية على الخلق أجمعين، وبهذا المعنى فسّره كُتّاب النصارى وعلماؤهم ومفسّروهم، وأنّ هذا المسيح الربّ هو إله له ما لله من الطبيعة الإلهية، لكنه تواضع فتجسّد في صورة عبْدٍ ذليل، مع أنه الإله العظيم والمولى العزيز، فإنّ لاهوت الله كله حلَّ في المسيح، حلولاً دائماً مخلّداً، فاتحد فيه كمال اللاهوت مع الطبيعة البشرية اتحاداً حقيقيّاً ذاتيّاً أقنوميّاً جوهريّاً، لا اتحاداً خياليّاً وهميّاً عَرَضيّاً، ولا من قبيل اتحاد النعمة كاتحاد الله بالملائكة والقِدّيسين ، بلْ اتحدت الطبيعتان البشرية والإلهية كاتحاد النفس بالجسد، فصار من الاتحاد أقنوم واحد هو إله إنسان وإنسان إله، وبما أنّ المسيح ربّ وإله كامل الألوهية، فسيدين الأحياء والأموات يوم القيامة، وهو زائد عن الله أبيه

باختصاصه بكونه ديان العالم، فالدينونة من عمل الإله الابن لا من عمل الإله الآب.

١٦ - أنّ بولس لم يصرّحْ بعقيدة التثليث، ولكنها تفهم ضمناً من رسائله المصرِّحة بالتثنية (الإله الآب، والإله الابن) إذْ إنه أعطى الروحَ القدس دَوْراً إلهياً مَهَّد للتثليث، وهو - أي الروح القدس - منبثق من الآب والابن معاً، فهو إله مثلهما، ويعادلهما في الجوهر، ويقوم بأعمال إلهية في هذا الكون، ويستحقّ أنْ يُعبَد.

١٧ - أنّ بولس ادّعى أنّ جميع بني آدم حتى الأطفال مخطؤون فقد لحقتهم خطيئة أبيهم آدم الذي أدخل الخطيئةَ إلى العالَم وأفسد الجميع بخطيئة واحدة، لأنه أصلهم وأبوهم، وهذه هي الخطيئة الأصلية، والمسيح الذي هو ابن الله وإله مثله، هو الذي صُلب على الخشبة ومات خاطئاً ملعوناً ودُفن في القبر من أجل أنْ يكفِّر خطايا جميع الناس الأصلية والفعلية، فالمسيح ما تعلّق على الصليب وقَبِل اللعنةَ لنفسه إلا لينجى كلَّ الناس من لعنة الخطيئة ويغفر ذنوبهم، وقد كانت آلامه وافية وكافية لذلك، لا بل زائدة بكثير، فصلْبُ المسيح وموتُه كان من أجْل المصالحة بين الله وبين الناس، والله هو الذي أَرسل يسترضي الناس ويدعـوهم للمصالحة، والمسيح بصليبه أزال العداوةَ التي كانت بينهم وبين الله، وجعل بولسُ نفسَه مشاركاً للمسيح في هذه المصالحة، فهو سفير المسيح في خِدْمة المصالحة، وهذا المسيح الإله بعدما صُلب ودُفن في القبر نَزل إلى جهنم لينجي أرواح الأشرار والهالكين، ثمّ قام من القبر وصعد وجلس عن يمين أبيه، وأنّ الغفران والبِرَّ لا يحصل بإقامة الناموس وأحكام الشريعة، لأنه إنْ كان الغفران والبِرُّ بأحكام الشريعة الناموسية، فيكون موت المسيح على الصليب عبثاً ولا فائدة منه، ولكن غفران الخطايا يكون بالإيمان بالمسيح على حسب المضامين السابقة، لأنّ عقيدة الصَّلْب والفِداء وتوابعها تسلّمها بولسُ من الربّ بطريق الوحي فسلّمها لأتباعه كما هي.

١٨ ـ أنّ بولس ادّعى أنّ المـواعيد المبـاركـة التي وَعَدها الله لإبراهيم في نسْله، تحققت عن طريق إسحاق لا عن طريق إسماعيل، فقد كان لإبراهيم ابنان: الكبير وهو إسماعيل ابن الجارية المحتقرة هاجر، وهو المولود لإبراهيم حسب الجسد والطبيعة، والصغير وهو إسحق ابن الحُرّة سارة، وهو المولود لإبراهيم حسب الموعد، وكان ابنُ الجارية يَضطهِد ابنَ الحرة، فأَمر الله إبراهيم بطرد ابن الجارية حتى لا يرث مع ابن الحرة، فالوارث لمواعيد إبراهيم هو إسحاق، ولا يكفي أنْ يكون الإنسان من ذرية إبراهيم حسب الجسد لينال ما وَعد الله به، فإسمـاعيل ابن الجسد لم يرث إبراهيم ولا نالته بَرَكة المواعيد، فمواعيد الله لإبراهيم أُنجرت وتَمَّتْ بالمسيح عيسى الذي هو من نسل إسحاق بن إبراهيم لا بشخص آخر غيره، وبالإيمان بالمسيح فقط يُنال البرّ والبَرَكة التي عاهد الله عليهـا إبـراهيم لجميع الأمم، ولـذلك فالنصارى هم أبناء الحُرّة، وهم ذرية إبراهيم الروحانية، وهم وارثو المواعيد، وغيرهم من الذين لا يؤمنون بالمسيح المخلِّص أو يَضطهدون المسيحيين، لا ينالون شيئاً من بَرَكة المواعيد ولو كانوا من ذرية إبراهيم الجسدية، وإسماعيل يمثل الذين يَضطهدون المسيحيين، وبما أنّ بولس رسول فائق القدر، لذلك وجب على الجميع أنْ يَقْبلوا تبشيره بالمخلِّص يسـوع المسيح، ويَرفضوا كلَّ مَن يبشِّر بمخلِّصٍ آخر غيره، لأنّ العهد إذا تمكّن لا يستطيع إنسان أنْ يُبْطِله، وكلّ مَن آمن بما سبق فهو من نسل إبراهيم الروحاني، وحسب المواعيد وارث له.

وبهذه العقيدة مَهَّد بولسُ لأتباعه بلْ أَوْجب عليهم الكُفْرَ بمحمد صلى الله عليه وسلم، بالرغم مِنْ أنه مِنْ نسل إبراهيم، وبه تحققت مواعيد الله حقّاً وصِدْقاً، وبه تباركتْ جميعُ الأُمم، وبه بشَّرت الكتبُ السماوية السابقة وسائرُ الأنبياء قَبْله ومنهم عيسى نفسه عليه السلام.

١٩ ـ أنّ المسيحيين جميعاً أبناء الله بالتبنّي، ووارثون مع المسيح، لأنّ الله أعطاهم

روحَـه في المعمودية وتبنّاهم كما أعطى الناسوتَ كلمتَه فصار ابن الله حقّاً، فيدعون الله أباهم كما يدعوه المسيح، والله لا يعطي روحَه إلا لمن يريد أنْ يتبنّاه، والمسيحيون هم وَرَثة الله، لأنّ الوراثة إنما هي للأولاد، والتبنّي مرتِّبٌ للوراثة، فصاروا مشاركين للمسيح في وراثة الله وأَخَصّ سهام هذا الميراث هو امتـلاكُ الله نفسِه، وَعَلاَمة صدْقِ الله ووفائه بالعهود أنه اتخذ المسيحيين له أبناء، فهم أبناؤه وهو أبوهم، وذلك أنه منذ الأزل حَسُن لمشيئته أنْ يتخذهم أولاداً له وورثـه لملكـوته، لا عن استحقاق فيهم، ولكنْ لفرط رحمته وجوده ومحبته لهم، والله حَلَّ في المسيحيين كلهم فهم هيكل الله أيْ مسْكنه، وروح الله حالٌّ فيهم، ولا فرق في هذا الحلول بين المسيح والمسيحيين، فكما حَلَّ الله في المسيح حَلَّ فيهم أيضاً دون تخصيص وتمييز، وهذا ما يُعَبِّرون عنه بـ (وحـدانية العيلة والولادة والنصيب)، وبما أنّ المسيحيين اتحدوا بالمسيح، فأعضاوه أعضاؤهم، وحَلَّ فيهم الروحُ القدس أيضاً، فصاوا هم والربّ روحاً واحداً ملتصقين به التصاق الرأس بالجسد، فالله الرأس وهم الجسد، وكلهم قِدّيسـون قَبْل خَلْق العالَم وسيدينون العالم والملائكة أيضاً، وسيجلسون مع المسيح لهـذه الدينونة فيوافقون على حُكْمه ويُصادِقون عليه كأرباب شورى المِلك، فإذا اقتـرب يوم الـديْنـونـة يقـوم موتى المسيحيين ثم يصعـد جميع المسيحيين ـ مَنْ قام مِنَ الموت ومَنْ كان منهم حيّاً لم يمت ـ لملاقاة الربّ المسيح الديّان في الهواء، فيجلسون على السُّحُب عن يمين المسيح للدينونة، مرتَّبين حسب مراتب شرفهم وفضلهم، وبعد انقضاء الدينونة يصعد الجميع إلى السماء، ويبقون مع المسيح دائماً في مجْده بلا انفصال.

٢٠ ـ ادّعى بولس أنّ البرّ عند الله لا يكون بالعمل بأَحكام شريعة التوراة والالتزام بناموس موسى، فالبرّ كلّه حصل بموت المسيح، فَدَمُ المسيح استغفر، لا عَنِ الخـطايا السابقة فقط، بل عن جميع الخطايا من ماضية وآتية، فالمسيح هو ذبيحة استغفارية، ولا تُنال منافع هذه الذبيحة إلا بالإيمان، وأمّا الأَعمال فليس

فيها سبيل إلى إصابة البرّ، ولو كان فيها برٌّ فالمسيح إذاً مات بلا سبب، فموت المسيح الاستغفاريّ دالٌّ على أن الله بارٌّ في ذاته، فإنه لشدة مقْتِه للخطية دَفع ابنَـه الوحيدَ إلى الموت ورضِيَ بتعذيبه، قضاءً لحقّ العدل، وليترك للخطاة خطاياهم بإيمانهم بالمسيح، وإبراهيم نفسه ما حصل له البِرّ بأعمال الناموس ولكنْ بالإيمان بالمسيح، ولو كان حصل له البرُّ بالأعمال لبطَل إيمانه، ومثْله إسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء، فجميعهم تبرّروا بالإيمان بالمسيح لا بأعمال النـاموس، لأنّ الناموس عناصر ضعيفة حقيرة، لا تؤتي الإيمان، ولا تجلب النعمة، وهو موضوع للأثَمة والمتمردين والفجّار والخُطاة والدنسِين، ولم يوضع للأبـرار، والمسيح سمَّـر النـامـوسَ والشـريعةَ الموسوية على صليبه ومحاها وألغـاهـا، والمسيحيون مصيبـون في تركهم الشـريعة، ومتبرِّرون بالإيمان، وناجون بالمسيح من لعنة الناموس، فالرجوع إلى شريعة الناموس إثْم ومخالَفة؛ لأنّ معناه أنّ المسيح لا منفعة من موته، وهو إنما مات ليحقق البِرَّ والخَلاص لكل الناس، فالقول بأنّ البِرَّ يحصل من الناموس كفْر وضلال مبين، وجحود لنعمة الله وكفْر بها، والمتمسك بأعمال الناموس ورسومه معرَّض للّعنة والعقوبة والهلاك، لأنّ الناموس نفسه يقوِّي الخطيئة، وسبب للغضب والنقمة، ومهيّج للشهوة النائمة ومحرِّك إليها، وما تسعّرتْ نارُها إلا بسبب الناموس الذي ما جاء إلا لتكثُر الخطيئة، فهو عِلّة لزيادتها، ومرغِّبٌ لعملها، فهو إذن ليس مقصّراً في إنقاذ الناس فحسب، بل مميت لهم.

٢١ ـ أنّ الخِتـان الـذي هو بجـراحة الجسد وقطْع اللحم علامة لليهود على حفْظ النـامـوس الموسوي وليس هو خِتاناً صحيحاً ولا مرضياً لله، بـل هـو كـفرٌ وانسلاخ من الدين والإيمان، ولا يمكن الجمع بين هذا الخِتان وبين الإيمان بأنّ الخـلاص يأتي من المسيح، فلا بد من اختيار أحـد الأمـرين، والخِتان الصحيح ما كان بقطْع القلب عن الإثم والشهوات.

٢٢ ـ أنّ جميع المطعومات المحرَّمة في التوارة مباحة وحلال أكلها، بما فيها ذبائح الأوثان والكفار، لأنها بحسب كونها مخلوقة من الله فهي طاهرة لا دَنِسة، بشرط أنْ يتناولها الإنسان مع الشكر، فليس شيء من المآكل بمحرَّم، ولا شيء نجس غير جائز، فيحلّ للمسيحيين أنْ يأكلوا ما أرادوا، وكل شيء طاهر للطاهرين، وأمّا للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً.

٢٣ ـ أنّ بولس هو الذي أعطى طَقْسَيْ التعميد والعَشاء الربّاني معاني فلسفية كانت سائدة في عصره، وليس في الأناجيل ما يدلّ على تلك المعاني وأسرارها، والتعميد عَلاَمة على الانتساب الرسمي للكنيسة المسيحية، فلا يعد مسيحيّاً من رفض التعميد، فبه يرتدي المُعْتَمِدون المسيحَ كما يرْتدون اللباس، ويتّحدون به وبالروح القدس، ويصيرون أبناء الله وجسداً واحداً، لأنّ في العماد موتاً ودفناً وقيامةً للروح والجسد معاً، كموت المسيح ودفنه وقيامته تماماً، ولذلك تكون المعمودية شركة بمجد المسيح أيضاً، والله يصرّح للمعتمد بغفران الخطايا، فيولَد ولادة ثانية جديدة روحية، وكأنه بالمعمودية انتقل من العدم إلى الوجود الفائق الطبيعة، فيصير ابناً لله خالعاً ثوب المآثم والخطايا، ولابساً حلّة البرّ والقَدَاسة، والله يُعطي الروحَ القدس للمعتمِدين عُرْبوناً على الفِداء والمغفرة، وعلى الميراث السماوي الأبدي.

٢٤ ـ أنّ بولس هو الذي سمّى طقس العَشاء بعَشاء الربّ ومائدة الربّ وكأس الربّ وشركة جسد المسيح وشركة دم المسيح، لأنّ الشركة في الخبز والخمر تشير إلى جسد الربّ المقدَّم فدْية عن شعبه، فهو اشتراك حقيقي في جسد المسيح ودمه، وحضور المسيح بجسده ودمه في العَشاء الربّاني حضور حقيقيّ فعْليّ لا حضور صوريّ وهمي خياليّ، وسواء قيل باستحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه أمْ قيل باتحاد جسده ودمه بالخبز والخمر يكون المشاركون في العشاء الربّاني آكلين لجسد المسيح وشاربين لدمه حقيقة، وينتج عن ذلك

اتحـادهم بالمسيح اتحـاداً حقيقيّاً كاتحـاد الآكل بالمأكول تماماً، ويصيرون جسداً واحداً، ولا يجوز أكْلُ العَشاءِ الربّاني وشرْب كأسِه بسخرية، ومَنْ فَعَل ذلـك حَكَمَ على نفسـه بالـدينـونـة، وخسر الخلاص والغفران المستفاد من المسيح، فإنّ مخرج الكنيسة وأسرارها من جنْب المسيح، لأنه عندما طُعِن وهو على الصليب جرى منه دم وماء، فالماء رمز لماء العماد الذي هو باب الأسرار، والـدم رمـز للأوخارستيا أي العَشاء الربّاني الذي هو كمال الأسرار، وبما أنّ جميع أسرار الكنيسة تدخل تحت هذين السِّرَّيْن (سِرّ العماد والعَشاء)، إذن فالكنيسة وجميع أسرارها مَخْرجها من جنب المسيح باب الأسرار وكمالها.

انتهت خلاصة الفصل الثاني وفيما يلي خلاصة الفصل الثالث:

٢٥ ـ أرسل الله تعالى نبيه المسيح عيسى ابن مريم رسولاً إلى بني إسرائيل، فطالبهم بالتمسك بالشريعة الموسوية، وبشّرهم برسول يأتي من بعده من العرب اسمه أحمـد، ولم يُؤثَـرْ عنـه كلمة واحدة تشير بالتصريح ولا بالتلميح إلى عالمية دعـوتـه، وبعد ما رفعه الله إليه زاد حقدُ اليهود وعنْفُهم ضدّ أتباعه الحواريين والتـلاميذ، واضطهدوهم بقسوة بالغة، ففرّ كثير منهم حاملين عقيدة التوحيد والتبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم وسكنوا في سواحل فلسطين وسوريا وآسيا الصغـرى، ثمّ لـمّـا رأى اليهـود ومجمعهم (السنهـدريم) في القدس صعوبة القضاء على أتباع عيسى عليه السلام المبشّرين بما بشّر به، دَسُّوا شاولَ بولسَ الطرسوسيَّ كمتنبىءٍ جديد لينسخ وحْيَ الله إلى عيسى وتعاليمَه بوحي مزعوم وتعـاليم تناقضها، فقد تجمعت في بولس الصفات الخُلُقية والدينية والعِلْمية اللازمة لمثل هذا الدور الخطير الذي سيؤول إلى تخريب دين المسيح عيسى عليه السلام، وفصل الدين الجديد عن اليهودية.

٢٦ ـ أنّ شاول بولس الطرسوسيّ كان على علْم واسع بالديانات الوثنية وأسرارها،

ونظراً للتشابه الكبير بين العقائد والطقوس المسيحية وبين تلك العقائد والطقوس في الديانات الوثنية صرّح بعض علماء تاريخ الأديان النصارى بأنّ المسيحية الحالية خرجت منها، وحَكَموا بأنّ بولس أَدْخل في دينه الجديد شيئاً كثيراً من عقائد تلك الديانات، ويظهر ذلك جليّاً في المتوازيات الموجودة بينها وبين عناصر لاهوت بولس، مثْل موت الإله وقيامته، ولقب الربّ، والخلاص، والأَسرار الأخرى التي كانت السِّمَةُ الأَساسيةُ فيها أنها تدور حول إله يموت ثم يقوم من الموت مثل أوزوريس المصري، أوْ إله ينتصر على الشر مثْل ميترا الفارسيّ، لينال أتباعُه الخلاص والنجاة بالاتحاد معه في موته وقيامته، وذلك ما سهّل على أتْباع تلك الديانات الوثنية الدخول فى دين بولس، ونقْل طقوسهم الوثنية إلى الدين الجديد، وقد صرّح العالم (بري) مرات عديدة: بأنّ المسيحية الحالية هي مسيحية بولس.

٢٧ - أنّ شاول بولس الطرسوسيّ كان على علْم واسع بالفلسفة اليونانية ومصطلحاتها في التعبير، فقد عاش في وسط مُشْبَع بأفكار الفلاسفة الرواقيين وبلاغتهم، وكان متقناً للغة اليونانية فعبَّر عن رأيه بأيسر الوسائل، واستخدم كلمات شائعة في وسطه مثل: (الله)، (عقْل)، (منقِذ)، (منطِق)، (روح)، (ضمير)، كما تشهد بذلك رسائله، فهو يعشق الجدل، ويمتاز بالبصيرة النافذة وبالدهاء الشديد في تقديم البراهين وهدمها، وجَزَم المحققون من علماء النصارى بأنّ الاختلاف الكبير بين تعاليم بولس الفلسفية المعقدة وبين تعاليم المسيح السهلة الواضحة ناشىء عن تثقيف كلٍّ منهما، فبينما وُلد المسيحُ وعاش وتثقف في فلسطين وتعلّم التوارةَ والإنجيلَ والوحيَ السماويّ المنزل على الأَنبياء قَبْله، فإنّ بولس وُلد وعاش وتثقف في طرسوس مركز الحضارة الهيلينية والفلسفة اليونانية، فاستعار منهما الأفكار والمصطلحات ووضع فيها عمقاً جديداً، واستَغلّ علْمَه بالفلسفة والديانات الوثنية في إخراج لاهوت مزيج منهما، وليس له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض.

٢٨ ـ أنّ شاول بولس الطرسوسيّ أغفل ذِكْر دعوةِ عيسى وحياتهِ الأرضية في جميع رسائله، وهذا الإغفال شَغَل العلماء فحاولوا تفسير سببه، والرأي الراجح في سبب ذلك هو الرأي الذي يقوم على قول بولس نفسه بأنه يريد أنْ يَسْلك بالإيمان لا بالعيان، فلمْ يَرْضَ أنْ يَبنيَ رسالته على أساس منظور ملموس لحياة عيسى الأرضية، لأنّ في ذِكْرها هدْماً لمقاصده، وحُجّةً عليه عند خصومه، فحياة عيسى الأرضية التي نقلها حواريّوه وتلاميذه كلها دالّة على بشريته ونُبوّته لبني إسرائيل ومناداته بوحدانية الله والالتزام بناموس موسى، وتبشيره بمحمد صلى الله تعالى وسلّم عليهم أجمعين، والحال أنّ تعاليم بولس تناقض ذلك كله، ومن هنا حصلت الاختلافات الجوهرية في العقائد الأساسية بين ما علّم به بولسُ وبين ما علّم به المسيحُ وحواريّوه، وقد اعترف علماء النصارى المحققون بهذه الاختلافات الأساسية الجوهرية.

٢٩ ـ فمِن الاختلافات الجوهرية التي ذكرها المحققون بين تعليم بولس وتعليم المسيح عيسى عليه السلام، الاختلاف في مفهوم المَسِيًّا، فالمفهوم الأساسي لِلْمسيًّا عند اليهود هو المَلِك أو الممسوح من الله، وليس هو رَبّ ولا ديّان، وقد بَشّر عيسى عليه السلام بالْمَسِيًّا المنتظَر وبأنّ ملكوت الله قد أقبل، وباتّباعه يكون الخلاص، وفَهِم الحواريون من عيسى أنّ المَسِيًّا الذي يبشّرهم به كائن مخلوق، وشخص بشريّ وليس فيه شيء من الألوهية، وأنّ عيسى نفسه حلقة في سلسلة أنبياء بني إسرائيل، وليس هو النبيّ المنتظَر، بينما أعلن بولسُ أنّ يسوع الناصريّ بموته على الصليب وقيامته وصعوده إلى الآب صار هو نفسه المخلِّص المنتظَر، وركّز على هذا التعليم في مواضع كثيرة من رسائله، وهذا التفسير الجديد لمفهوم المَسِيًّا انفرد به بولس ولم يُسْبَقْ إليه، فعيسى الذى كان بولسُ يَضطهده هو المَسِيًّا المنتظَر، والذي بمجيئه تمّمَ المواعيدَ المعُطاةَ لإبراهيم وللأنبياء، وهو نفسه الربّ الديّان، وابن الله الفادي الذي قام من بين الأموات، وبهذه الكيفية فَهِمَه بولس على الطريق إلى دمشق، وهي أمور

ومفاهيم لم يقلْها المسيحُ عن نفسه، ولا ذَكَرها حواريّوه وأقربُ الناس إليه، بل إنّ الأناجيل تؤكّد أنّ المسيحَ عيسى عليه السلام نفى عن نفسه بصريح العبارة أنْ يكون هو المَسِيًا المخلِّص والنبيّ المنتظَر، وأخبر عن ضلال القائلين بذلك، وحذّر مِن تصديقهم.

٣٠ - ومن الاختلافات الجوهرية التي ذَكرها المحققون بين تعليم بولس وتعليم المسيح عيسى عليه السلام، الاختلاف في مفهوم التوبة. فقد كانت دعوة عيسى عليه السلام مشابهة لدعوة جميع الأنبياء السابقين له، فأَعلن ضرورة اقتران القول والإيمان بالعمل، ودعا الخطاةَ إلى التوبة ورجاءِ المغفرةِ من الله تعالى وحدهُ، بينما أعلن بولسُ أنّ التبرير والغفران قد وقَعا بموت المسيح وقيامته، ولا قيمة للعمل، لأنّ الله الكُلِّيَّ المَحَبَّة تدخّل لفداء البشَرِ في حياة يسوع كلها، فصالحَ العالَمَ لنفسه عن طريق موت ابنه، وفِداءُ الإنسان ومصالحتُه هو موضوع العمل العظيم لله، وهذا الفِداء لكل مَنْ يؤمن، فالإيمان بموت المسيح الكفّاريّ كافٍ للمغفرة، وهذا هو السِرّ الذي اختصّ به بولس ثم شاء أنْ يعلنه للناس، وأنْ يسعى كسفيرٍ ليقْنع الناسَ ويدعوهم أنْ يتصالحوا مع الله، وما رضيَ المسيحُ ابنُ الله بالموت مصلوباً إلا لتكفير الخطيئة التي سَرَتْ إلى جميع بني آدم ولزمتهم، وعمّتهم بسبب أكْل أبيهم وأصْلِهم آدم من الشجرة، فموت المسيح الكفّاريّ على الصليب هو وحده الذي حطّم الأغلال وفتح أبواب السماء للتوبة، وقد أطلق بعضُ العلماء على هذه المفاهيم اسم (نظرية بولس في التكفير)، وجزموا بأنّ بولس أخذ هذه النظرية عن الديانات الوثنية، فقد عُرِف قبْل المسيح ستة عشر إلهاً وثنياً مخلِّصاً ماتوا من أجْل خطايا العالَم، فتحوّل عيسى بفضل نظرية بولس من رسولٍ ونبيٍّ بشَريٍّ لليهود إلى المخلِّص الإلهيّ السابع عشر للعالم كله، لأنه في نظريته مات موتاً تكفيرياً كممات الضحايا الإلهية في الديانات الوثنية.

٣١ - ومن الاختلافات الجوهرية التي ذَكرها المحققون بين تعليم بولس وتعليم المسيح عيسى عليه السلام إطلاق لقب (الربّ) على عيسى عليه السلام، فقد أكّد المحققون من علماء النصارى أنه لم تَظهر أبداً أية علامة تدلّ على أنّ عيسى عليه السلام أطلق على نفسه لقب (الربّ)، ولا أَطلقتْه عليه الكنيسةُ الأُولى في فلسطين ولا تمسّكتْ به، بل ثبت أنّ الحواريين والتلاميذ كانوا ينادونه باسم النبيّ، ولكنّ بولس جعل لقب (الربّ) مِن أهمّ الأَلقاب التي نسبها لشخص عيسى عليه السلام، فأَطلقه عليه إطلاقاً مفْرداً أو مركّباً حوالي مائتي مرة، وكُتُبُ اليهود جميعها لم تُطْلِق اسمَ (الربّ) إلا على اسم الجلالة (يَهْوَهْ) الذي هو الله تعالى، وحتى لو أَطلق الحواريون اسمَ (الربّ) على عيسى في حياته الأَرضية، فإنما يقصدون به المعلِّم والمربِّي، ولكن بولس أطلقه عليه بعد رَفْعِه وقَصد به الإله الكامل الربوبية على الخلْق أجمعين، وركّز على وجود التشابه الكامل في العمل والوظيفة والطبيعة بين الربّ الأول (الآب) وبين الربّ الثاني (الابن يسوع المسيح)، ولا يمكن الفصْل بين طبيعتيْهما ووظيفتيْهما، لأنّ يسوع المسيح هو الذي قام بعمل الله على الأرض، والاعتراف به أنه (الربّ) مِن أهمّ عناصر الدين الجديد.

٣٢ - ومن الاختلافات الجوهريّة التي ذكرها المحققون بين تعليم بولس وتعليمّ المسيح عيسى عليه السلام، إطلاق لقب (ابن الله) على عيسى عليه السلام، فقد صرّح المحققون بأنّ عيسى عليه السلام لم يطْلِق هذا اللقب (ابن الله) على نفسه، ولا أطلقه عليه حواريوه وتلاميذه، وأنّ الكنيسة الأُولى لم تستخدم في عقيدتها هذا اللقب، وإنّما دخل إليها بعد رفْع المسيح، وجزم المحققون بأنّ بُنوّة المسيح عيسى لله هي من صياغة بولس، وهو الذي أَطلق عليه لقب (ابن الله) مرات كثيرة، فعيسى عنده الابن الأزلي لله وشريكه، وعامل معه في كل أعماله أزلاً وأبداً، وهو الابن البِكْر لله لا زَمَناً كما يُتوهّم، بل هو البِكْر سموّاً وعَظَمة ومركزاً،وهذه الأَفكار قد استخدمها بولس لأنه وَجَد فيها معاني عميقة،

وعلى قدر كافٍ من الوضوح بالنسبة إليه، ولذلك يختلف عيسى الأناجيل أو عيسى التاريخ عن عيسى في رسائل بولس، لأنه فيها هو ابن الله المتجسد.

٣٣ ـ ومن الاختلافات الجوهرية التي ذَكرها المحققون بين تعليم بولس وتعليم المسيح عيسى عليه السلام، الاختلاف في ذات الله ووحدانيته، فقد ثبت أنّ المسيح عيسى عليه السلام علّم حوارييه وتلاميذه بأنّ الله واحد، وأنه ـ أيْ عيسى نفسه ـ عبدُ الله ورسولُه، وأنّ الروح القدس (جبريل) مَلَكٌ مقرَّب وعابدٌ لله، لكنّ بولس غيّر هذا المفهوم الجوهري في رسائله، فَجَعَلَ عيسى بمنزلة الله، وهو ابنه المساوي له في العمل والطبيعة والقوة وتسيير الأمور، وذلك يعني التصريح بالتثنية، ورغم أنّ بولس لم يعْطِ عقيدةً وافية بالنسبة للروح القدس، لكن الملاحظ أنه أعطاه دَوْراً كبيراً وهامّاً في رسائله، فهو يستعمل كلمة (الروح القدس) ليَصِفَ بها تياراً قويّاً يؤثّر في الناس، أو ليصِفَ بها الغزْوَ الإلهيَّ للحياة البشرية، فالروح القدس يسْكن في الإنسان ويَعْمل فيه، وأمّا الله الآب فيَعْمل في الشخصين الثاني (المسيح) والثالث (الروح القدس)، ورغم عَمَلِه فيهما فكل واحد منهما له عمل في الحياة البشرية، وله تميّزه عن الآب، وقد استعمل بولس نفس اللغة عندما تكلّم عن عمل الابن وعمل الروح القدس، ولأجْل ذلك التطابق الكبير بينهما في العمل ظنّ البعضُ أنهما اسمان لمسمّىً واحد، وأنّ بولس يطْلِقهما على شخص واحد، ولكنّ مجموع النصوص يؤكّد وضوحَ فكرة تمايز الثلاثة عند بولس، فهو في كتاباته يُظْهِر ثلاثَ شخصيّات متمايزة، ولا يوجَد دليل على أنّ بولس يعتقد أنّ الربَّ يسوعَ هو نفسه الروح القدس، ولم يصرِّح بولس بألوهية الروح القدس، ولم يتكلّم عن عقيدة التثليث بمفهومها الكَنَسِيّ، لكنّه دَوَّنَ أصولَها في رسائله بحيث سهل على أتباعه استنباطها من كتاباته، إذْ إنه أعطى الروحَ القدس عَمَلاً إلهيّاً في الكون والحياة، وجَعَلَ عمل الإله الابن يفوق عمل الإله الآب، فبينما يتركّز عمل الروح القدس في إعطاء المواهب للمؤمنين، ويتركّز عمل الإله الآب في إرسال ابنِه المسيحِ للفداءِ

والمصالَحةِ مع الناسِ ، نجد أنه خَصَّ الإلهَ الابنَ بالدينونة والغضب والرحمة والخلْق واستحقاق العبادة والدعاء، فعمل الله في هذا الكون مُغْفَل، وانفرد بجميع سلطاته ابنُه المسيحُ الإلهُ الثاني.

٣٤ - ومن الاختلافات الجوهرية التي ذَكرها المحققون بين ما علّم به بولس وما علّم به المسيحُ عيسى عليه السلام، الاختلاف في مفهوم الرسالة بين العموم والخصوص، فلم يثبت عن عيسى عليه السلام أنه أتى بدين جديد ينسخ شريعةَ التوراة، ولا ادّعى عالمية رسالته للأمم، ولا أتى بأية عبادة جديدة، ولا غيّر عقائد أو شعائر أو شرائع الديانة اليهودية، بل ثبت عنه عكس ذلك تماماً، فقد ورد في مواضع من الأناجيل تصريحه بأنه ملتزم بنفسه بشريعة التوراة، وداعٍ غيْرَه للعمل بها، وأنّ رسالته خاصة بخراف بني إسرائيل الضالّة، وبتلك المفاهيم فَهِم الحواريون والتلاميذُ دعوتَه، ولكن بولس غيّر تلك المفاهيم الصريحة، وزعم أنّ عيسى أرسله برسالة عالمية نَسَخ فيها جميعَ شرائع التوراة وعباداتها، وأحَلَّ جميعَ محرَّماتها، وقد صرّح العلماء بأنّ عيسى لم يُرِدْ تأسيس كنيسة لفتْح الأرض جميعاً، وإنّما بشَّر اليهودَ بالنبأ الطيب، نبأ قُرْب حلول مملكة الله التي آمن بها هو، ومَنِ ادّعى عليه غير ذلك فادّعاؤه غير صحيح، ولا يقرّه واقع الأحداث ولا صريح التسلسل التاريخي، وَيُعَدّ هذا الادّعاء تحريفاً لفكْرة عيسى، وهو نفسه لم يكنْ ليَرضى عنه لو نَمَى إلى علمه منه شيء.

٣٥ - أنّ جميع العقائد والمفاهيم التي جاء بها بولس في دينه الجديد مغايرة لِمَا أتى به المسيحُ عيسى عليه السلام، وغريبة في مجتمع الحواريين والتلاميذ، فهو لم يتلقّ مفاهيمه منهم، ولم يكنْ قصْده إرضاءهم، ولا مطابقة تعليمه لتعليمهم، بل كان هدفه الوحيد إرضاء الوثنيين، ونيل مودّتهم وكسبهم إلى جانبه، فأظهر مفاهيمه عن عيسى عليه السلام بصورة مطابقة لمفاهيم الوثنية الرومانية والفلسفة اليونانية في موضوع الألوهية، وألغى جميع شرائع التوراة

ليضْمن عَدَمَ نفور الوثنيين من ديانته، وليضْمن أيضاً عدَمَ ذوبانها في اليهودية، وذلك كان سبب اتّهام خصومه له بمحاولة إرضاء الوثنيين، وفعْلاً كانت محاولته ناجحة، إذْ ساعدت على كسْب عطْف العالَم الوثنيّ عندما ظَهَر لهم أنّ ما في دين بولس مِن أفكار ومعتقدات وعبادات إنما هي مستعارة من البيئة الميحطة بهم، فالعـالَم الـوثنيّ ألْبَسَ عقائدَه وعباداتِه وطقوسَه الوثنية ثوبَ المسيحية، وطـوّع المسيحيةَ لتـطلُّعاتِه، فانتصارُ المسيحية على الوثنية انتصار ظاهريّ، فالرّوم لم يتنصّروا، ولكنّ النصارى تَروَّموا.

٣٦ ـ أنّ القارىء لرسائل بولس يَرى من خلالها شدة المعارضة التي لقيها بولس على يد خصومه في جميع المناطق التي رحل إليها لبثّ عقائد دينه الجديد، فقد كانوا يُنْكِرون رسالته، ويعلّمون بتعاليم معاكسة تماماً لتعاليمه، ويَصِفُونه بأنه متقلّب في تعاليمه وأعماله، ويقولون عنه: إنه ليس رسولاً حقيقيّاً لأنه لم يتبع المسيحَ وهو على الأرض، وإنّ تعليمه لا يُقبل ما لم يطابق تعليم الحواريين، وقد أكثر بولس في رسائله الشكْوى من معارضيه، واعترف بأنّ بعض أتباعه تركوه بسبب قدْحِ خصـومه فيه، لكنّه لم يملك أيَّ دليل للردّ على معارضيه سوى الإصـرار على صِدْقـه وعدم كَذِبِه، والشّتْم لهم، فَوَصَفَهم بالافتراء والحسد والخصام وسوء الظنّ والغَيْرة والرياء وعدم الإخلاص وعدم الفهم وفساد الذهن وانعدام الحق والتكسب بالتقوى وحُبّ الجدل والتظاهر بمحبة الناس، وأنهم كلاب وأعداء صليب المسيح ويتكلّمون بالباطل ويَخدعون العقول ويَقْلِبُون بيوتاً بجملتها، وقد كانت المعركة حامية بين البولسيين (أتباع بولس) وبين الموحّدين (أتبـاع المسيح) في القـرن الميلادي الأول، و بالقضـاء التـدريجي على الموحّدين بأعيانهم، خَفّت حِدّة المعركة في القرنين الثاني والثالث، ثم قَضى البـولسيون على كتابات الموحّدين، إمّا بمصادرتها وتحريم قراءتها (كما في إنجيل بَرْنابا)، وإمّا بتحريفها عند الترجمة وتدمير نُسَخِها الأصلية، وبالتالي سيطرت على الساحة الفكرية والعقائدية كتابات بولس وأتباعه.

٣٧ ـ أنّ خطة بولس للانتصار على معارضيه والنجاح فيما يهدف إليه تضمنت ثلاث نقاط وهي :

أ ـ من أجْل أنْ يتفادى غضب الحُكّام الوثنيين حَثَّ أتباعَه على طاعتهم طاعة مُطْلَقَة، وبينّ أنّ ديانته موافقة لكل سُلْطة وولاية بغَضّ النظر عن الدين والعقيدة.

ب ـ كان حريصاً أنْ لا يدعوَ لدينِه في مكان فيه معلِّمون مُخْلِصون من أتباع المسيح عليه السلام حتى لا يَبْنِيَ على أساسٍ لغيره، وزعم أنّ جميع تعاليمه بوحْي من الله، وليست من ابتداعه، فهو وحده المؤْتَمَن على إنجيل الله، ويجب قبول جميع ما بشَّر به.

جـ ـ سلك أسلوب الكذب والنفاق والاحتيال والتلوّن لاجتذاب الأتْباع، وأفتى بجواز الكذب من أجْل أنْ يزداد صدْقُ الله، وجَوّز فِعْل الشرّ والسيئات ليكْثر الخيرُ والحسنات، وهونفسه سلك هذا المسلك عمليّاً وأجاد فيه.

انتهت خلاصة البحث، وفيما يلي النتائج :

ب ـ نتـائج البـحـث:

بناء على ماتقدم في هذا البحث وخلاصته، أستطيع بكل ثقة ويقين أنْ أُدوّن نتائجه كما يلي:

أولاً: أنّ عيسى المسيح الوارد ذِكْره في الأناجيل والذي ظهر في فلسطين نبيّاً لبني إسرائيل، والذي بيّن القرآنُ الكريمُ ولادتَه وأحداثَ سيرة حياته، يختلف كليّاً عن عيسى أو يسوع المسيح الوارد ذكره في رسائل بولس، ففي الأناجيل والقرآنِ الكريم أنّ عيسى بَشَرٌ ورسولٌ وعبدٌ لله مؤيَّد بالمعجزات، بينما هو في رسائل بولس الإله العظيم، وابن الله الفادي، والمخلِّص المنتظَر.

ثانياً: أنّ العقائد البولسية ـ والتي غَلَبَ عليها اسم المسيحية فيما بعد ـ هي نفس العقـائـد التي يدين بهـا المسيحيون في العالم الآن، وأنّ دَوْر بولس فيها هو الابتـداع والاختـراع والإنشاء والتأسيس والتأصيل، فالمسيحية الحالية هي مسيحية بولس، أمّـا المسيح عيسى عليه السـلام الواردِ ذِكْره في الأناجيل والقرآنِ الكريم، فبـريء من المسيحية الحـالية وعقائدها، وبهذه النتيجة جزم المحققون من علماء المسيحية، ولا أقصد العلماء المسيحيين الذين أسْلموا قديماً وحديثاً، وهم كثير، ولا أقصـد أيضاً العلماء المسيحيين الذين صاروا ملاحدة فراراً من الإيمان بمتناقضات المسيحية البـولسية، وهم أيضاً كثير، ولكنْ أقصد العلماءَ المسيحيين الثابتين على المسيحية، والمستمسكين بها، والمدافعين عنها.

ثالثـاً: أنّ المـدافعين عن بولس يجهـدون أنفسَهم في محاولة التوفيق بين العبـارات والعقائد المتناقضة في رسائله، فهم أنفسُهم يعترفون بوقوع التناقض فيها ووقوع الاختلاف الكبير بينها وبين ما أتى به عيسى عليه السلام، ولكنّهم يُفَلْسِفُون

هذا التناقضَ والاختلافَ بما لا يعارض العقائد الأَساسية التي نادى بها بولس، بل ويجعلونها هي الحاكمةَ على غيرها، فَيَحْتَكِمون إلى بولس وعقائده ولا يُحاكمونهما إلى عقْل أو نقْل، فانبنى على ذلك أنهم تركوا كلام عيسى الصريح في الأناجيل في بيان طبيعته البَشَرية وحقيقة دينه ودعوته، وَأَوَّلُوه بتأويلات بعيدة لِكَيْ لا ينافي عقائد بولس وينقضها، وجعلوا كلام بولس الفلسفيّ الغامض حَكَماً على كلام عيسى الصريح الواضح.

رابعاً: أنّ عامّة المسيحيين يجهلون كثيراً من حقائق دين المسيح عيسى عليه السلام، ويَظنّون لجهلهم بدينهم أنّ ما جاء به بولس هو عيْن ما جاء به المسيح ولا فرْق بينهما، وأنّ بولس شارح ومفسّر وموضّح لتعاليم المسيح عيسى عليه السلام، وليس لهم مرجع أساسيّ يَحْتكمون إليه في أصول دينهم وعقائدهم إلا رسائل بولس نفسه، فيعتمدون عليها اعتماداً كليّاً، ولِصفَةِ الجهل هذه الغالبة عليهم كان وَصْفُ الضلال بهم ألصق مِن وَصْف الغضب، فقد وُصِفَ اليهودُ في القرآن الكريم بقسوة قلوبهم، فغضِب الله عليهم ولعنهم، بينما وُصِف النصارى (المسيحيون) بالضلال عن دينهم، وعدم اهتدائهم إلى اليقين فيه، وأنّ بعض قِسِّيسِيهم ورُهْبانهم إذا ظهر لهم الحقُّ وعرفوه لا يستكبرون عنه فيؤمنون به ويخشعون لله الأحد.

خامساً: أنّ القرآن الكريم عندما رَدَّ على العقائد الأساسية في المِلّة النصرانية - أي المسيحية - لم يقصد الردَّ على المسيح عيسى عليه السلام، ولا على الحواريين وأتباعهم من التلاميذ، فجميعهم يعتقدون بما جاء به المسيح عيسى عليه السلام، وهو في نظرهم عبد الله ورسوله إلى بني إسرائيل، وهو ابن مريم الطاهرة البتول من غير زوج ولم تك بغيّاً، وقد أثْنى الله تعالى عليه وعلى أمِّهِ في القرآن الكريم، وبيّن بَشَريّتهما وأنهما صِدّيقان، وأثْنى الله تعالى كذلك على حوارييه، وبيّن إيمانهم بما جاء به، وَوَصَفَهم بأنهم أنْصارُ الله، ولكنّ رُدُودَ القرآن الكريم كانت على عقائد بولس، فقد رَدَّ القرآنُ الكريم على عقيدة التثليث، وَرَدَّ على عقيدة ألوهّية المسيح، وَرَدَّ على عقيدة بُنوَّةِ

المسيحِ لله تعالى، وَرَدٌّ على عقيدة صَلْبِ المسيحِ ، وَرَدٌّ على عقيدة سَرَيان خطيئةِ آدم إلى جميع ذريته، وَرَدٌّ على عقيدة تَحقُّقِ مواعيد الله لإبراهيم بابنه إسحاق ونسْلِه لا بابنه إسماعيل ونسْله، وَرَدٌّ على عقيدة بُنُوَّةِ المسيحيين لله، وبينّ أنّ مِن نعمة الله على عيسى أنْ علّمه التوراةَ والإنجيلَ، وبينّ أنّ عيسى كان يعمل بشريعة التوراة ويُبَشِّرٍ بنبيّ مِن بَعَدِه اسمه أحمد صلى الله تعالى عليهما وسلّم، وهي كما ترى ردود على ما ذَكَرْتُ في هذا البحث من عقائد بولس، لا على ما جاء به المسيحُ عيسى عليه السلام، فهو ودينُه وأتباعُه بُرَآء من بولس ودينِه وأتْباعِه، أو بعبارة أخرى: إنّ المسيحَ عيسى ابنَ مريم عليه السلام ودينَه وحوارييه وتلاميذَه بريئون من بولس والبولسية والبولسيين، والمسيحيون الآن على مِلّة بولس لا على مِلة المسيح ابن مريم عليه وعلى أمّه السلام.

* * * * *

تَمَّ هذا البحثُ بفَضْلِ الله

والحمدُ لله الذي أَتَمَّ النِّعْمَةَ، وَنَسأَ فِي الأَجَلِ لإكْمالِه،

وَكُنْتُ قَد ابْتَدَأتُ تَاليفَهُ غُرَّةَ شَهْرِ ربيع الأول من عام ١٤٠٩ هِجْريّة،

وَفَرغتُ منه نهاية شَهْرِ جُمَادَى الأولى من عام ١٤١٠ من هجرة سيّد المُرْسَلين، صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، ويوافقُ شَهْر ديسمبر كانون الأول من عام ١٩٨٩ من مولد ابنِ مريمَ الطاهرةِ البتول عيسى المسيحِ عليهِ السَّلامُ.

وَسُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرسَلِينَ

وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ

الفهـــرس

★ طبـع بنـاء علـى تصريـح الإدارة العامـة للمطبوعـات ★
بــوزارة الإعـــلام بالريـــاض
تحت رقم ٢٤١٢/م بتاريخ ١٨/ ٤/ ١٤١١هـ
دار الإســـراء للنشـــر والتوزيـــع
الرياض ـ تليفـون ٤٧٨٥١٣٠ ـ ٤٧٨٥٧٦٠
رمز بريــدي ١١٤٧١ ص. ب ٣٤٣٤